

معراج البيان



علام الية

مَعْرِفَةُ الْبَيَانِ

اختيار وتصنيف

علام سلامه

المدرس بدار العلوم

الجزء الأول

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الجزء في المدارس الثانوية ومدارس المعلمين الأولية
وفي السنة الأولى بمدرسة دارالعلوم

[جميع الحقوق محفوظة]

فهرس الكتاب

صفحة	
١	مقدمة في حسن البيان وبلاغة القول
١	حديث الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهم بن أبى رسول الله
٢	تأثير الشعر وأمثله لذلك
٥	حديث غلام فصيح بين أبى عمر بن عبد العزيز
٦	وصف البيان
٦	أقوال جامعة في نعت البلاغة مع جملة من الشواهد البارة
١١	أوصاف بايخة في البلاغات حل ألسنة قوم من أهل الصناعات

باب الوصف

١٣	وصف عمر بن الخطاب (لصمصمة بن صوحان)
١٣	» على بن أبى طالب (لضرار الصدائي)
١٤	» زين العابدين على بن الحسين (لقرزديق)
١٥	» أبى المقفع لبعض إخوانه
١٦	» ملكي الروم والحبشة
١٧	» بعض الوعاظ
١٧	صفة الرجل الكامل (لحسن بن سهل)
١٨	وصف أفضل الملوك
١٩	» رجل لخصه من غير جور في حكمه
١٩	» عبد الله بن طاهر (لأبي دلف)
٢٠	» رجل شرير (لأعرابي)
٢١	» كلام العرب (لعتبة بن أبى سفيان)
٢١	» الكتاب (للباحظ وآثر)
٢٢	» التاريخ (لأبن الأثير)
٢٣	» العلم وثناء تحصيله (للبديع الحمداني)
٢٤	» القلم (لأبي تمام)

صفحة	
٢٥	وصف المطر (لطوى والميكالى)
٢٧	» الشمس (لشاعر قديم)
٢٨	» مرآة (لكشاجم)
٢٩	» روضة صناع (لصفى الدين بن صالح)
٣٠	» العصا (لأعراي)
٣٠	» سيف (للبحترى)
٣١	أوصاف للقرص
٣٢	وصف الفرس والسيف (للبارودى)
٣٣	» أسطول (للإيادى)
٣٥	» القطار الحديدى (لحافظ بك إبراهيم)
٣٦	» قناة السويس (لشوقى بك)
	» البحر والسياسة ، والحلال والتجوم ، ومنظر أودبا للقادم حليا فى البحر والقطار الحديدى ، ومدينة القسطنطينية وخليجها ، ومسجد أيا صوفيا ، ومنزله البندل وسيدى من سادات القسطنطينية (رسالة السيد توفيق البكرى)
٤١	وصف الشمعة (للأترجاني)
٥٢	» قصر وبركة (لابن حمديس)
٥٣	» زلزال مقلية (لحافظ بك إبراهيم)
٥٥	» الأسد (لتنفى)
٥٨	» شعب بزان (للبرد والمتنى)
٥٩	» طيارة (لحافظ بك إبراهيم)
٦٢	باب النصائح والوصايا والخطب
٦٢	نصيحة رجل هشام بن عبد الملك
٦٢	» أعراي لسلطان بن عبد الملك
٦٣	» فتاة لأبها
٦٣	» البديع الحمدانى لوارث مال
٦٤	» أبى أذينة للأسود بن المنذر
٦٥	وصية أمراية لأبها
٦٦	» الرماحى لقومه

صفحة	
٦٦	وصية ذى الإصبع المدوائى لأبيه
٦٧	« عبد الله بن شداد لأبيه...
٧٠	خطبة زياد البراء
٧٣	« لقطرى بن الفجاءة...
٧٦	باب التأين والمرأى والتعازى
٧٦	تأين أبى بكر الصديق لرسول الله
٧٦	« السيدة عائشة لأبيها
٧٧	« الأخف بن قيس
٧٨	« الاسكندر...
٧٩	« القاضى أحمد بن أبى دراد...
٨٠	رثاء الحسين بن مطيرلعن بن زائدة
٨٠	« البارودى لزوجه
٨٢	« المنهى لأم سيف الدولة
٨٣	« أبى تمام لولدين توأمين لعبد الله بن طاهر...
٨٤	« محمد بن حميد الطوسى...
٨٥	« حافظ بك ابراهيم محمود سامى باشا البارودى
٨٧	« التمامى لولده
٨٩	« لبيد لأخيه
٩٠	« الفخرى لأخيه
٩١	« الفارعة بنت شداد لأخيها...
٩٢	« المعرى لفقيه حنفى
٩٣	تمزية رسول الله لمعاذ بن جبل
٩٤	« البديع الهذلى لبعض الرؤساء
٩٥	« لىكال
٩٦	«
٩٦	جمع بين تمزية وتبسة (لعبد الله بن همام السلولى)
٩٧	« (جمال الدين بن بباة)
٩٨	تمزية عن ولاية

صفحة

٩٩	باب الاستعطاف والاعتذار
٩٩	استعطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد
١٠٢	» ابراهيم بن المهدي للأمن
١٠٣	» اسحاق بن العباس للأمن
١٠٤	» الفضل بن الربيع للأمن
١٠٥	» تميم بن جميل للعصم
١٠٦	» الجاحظ لمحمد بن عبد الملك الزيات
١٠٨	» رجل من أهل الشام للنصور
١٠٨	» روح بن زنباع لمعاوية
١٠٩	» ابن الرومي للقاسم بن عبد الله الوزير
١٠٩	» آبن مكرم لبعض الرؤساء
١١٠	» الخوارزمي لبعض الرؤساء
١١١	» اعتذار سعيد بن حميد لبعض الرؤساء
١١١	» لأبي علي البصير
١١٢	» للديع الحمداني
١١٣	» استعطاف عبد الله باشا فكري للغزوة توفيق باشا
١١٤	» اعتذار النابغة الديباني للعتان بن المنذر
١١٦	» رجل الى بعض ملوك العرب

١١٧ باب العتاب واللوم والتأنيب والتهديد

١١٧	رسالة عتاب (الخوارزمي)
١١٧	» » (البديع)
١١٩	» قصيدة (لمن بن أوس)
١٢٠	» رسالة (لعبد الله بن معارية)
١٢٠	» عتاب الوليد بن عبد الملك لأخيه سليمان
١٢١	» قصيدة لثني يصاب سيف الدولة
١٢٣	» عتاب (لسعيد بن حميد)
١٢٣	» رسالة لوم (الخوارزمي)

صفحة	
١٢٤	رسالة تأنيب (لأبن مكرم)
١٢٤	» معاوية بن أبي سفيان يؤنب أبه يزيد
١٢٦	كلمة لرجل يلوم أبه وقد سمعه يكذب
١٢٧	باب الشكوى
١٢٧	رسالة عبد الحميد الكاتب الى أهله وهو منزه مع مرران
١٢٧	» حافظ بك ابراهيم الى الشيخ محمد عيده يشكو حاله وهو ضابط بالسودان
١٣٠	» البديع المهداني الى أبي نصر الميكايل يشكو خليفته بهراة
١٣١	» سعيد بن عبد الملك الى عبيد الله بن سليمان يشكو حاجبه
١٣٢	باب في حسن التقاضى ولطف الاستمناح
١٣٢	كلمة لسليان بن عبد الملك في تأثير لطف القلب في نفس المؤمل
١٣٢	استمناح أعرابي لسيدنا علي
١٣٣	» رجل لعبد الملك بن مرران
١٣٣	رسالة العتابي الى صديق له يستعجه
١٣٤	استمناح أعرابية لعبد الله بن أبي بكر
١٣٥	» حكيم فارسي للهب بن أبي صفرة
١٣٥	» رجل من أهل الشام للتصود
١٣٦	» أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدهان القرشي
١٣٦	» عبد العزيز بن زرارة لمعاوية بن أبي سفيان
١٣٧	» رجل لسليان بن وهب
١٣٧	رسالة رجل من أهل البصرة يستعين صديقه
١٣٨	» السيد مصطفى لطفى المخلوطى فى طلب حاجة
١٣٨	» الصابى فى طلب حاجة
١٣٩	» لمحمد بن عباد فى طلب حاجة
١٣٩	كلمة لعبد الله بن عبد الله بن طاهر فى طلب حاجة
١٣٩	» لأعرابي
١٤٠	» للبديع
١٤٠	رسالة لأبى العيناء

صفحة

١٤١ باب الشكر والتهاني — فصل في الشكر

- ١٤١ رسالة لملك بن أسماء
 ١٤١ » لأحمد بن أبي طاهر
 ١٤٢ » لأبي الفضل الميكالي
 ١٤٣ » لأبي الفضل بن العميد
 ١٤٣ » للحسن بن وهب
 ١٤٤ » للشيخ محمد عبده يشكر لحافظ بك إبراهيم تعريب نخاب الزساء

١٤٥ فصل في التهاني

- ١٤٥ رسالة لابن الرومي يثنى بعيد
 ١٤٦ » البديع يثنى بمولود
 ١٤٦ قصيدة للنازن يثنى بمولود
 ١٤٧ رسالة لابن العميد يثنى بتوأمين
 ١٤٨ » لأبي الفرج البهاء يثنى بولاية

١٤٩ باب القصص والمحاورات

- ١٤٩ المأمون والمرأة المظلمة « العدل أساس الملك »
 ١٥٠ عمر بن الخطاب والحرمزان « الوفاء نور أبلج »
 ١٥١ إبراهيم بن المهدي وأبن بجيتشوع « طيب الاعراق، يستوجب كرم الأخلاق »
 ١٥٢ الأحنف بن قيس وقيس بن عاصم « سبيل الحلم التحلم »
 ١٥٢ معن بن زائدة وإجارته على الخليفة المهدي « من سلقته خدمته وجبت حرمة »
 ١٥٤ » » والأسود « ليس العطاء مع الفضول صراحة » حتى تجود وما لديك قليل
 ١٥٥ معاوية والأحرابية
 ١٥٥ الأحنف بين يدي معاوية « قيمة الرجال، في حسن الاحتياال »
 ١٥٦ » » عمر بن الخطاب « خير الناس أقنعهم للناس »
 ١٥٧ أسيد بن عتقاء وعميلة القزاري « من أعظم المتأثر لانهاض العاثر »
 ١٥٨ آداب الفضل وجعفر ابن يحيى البرمكي وهما غلامان
 ١٦٠ براعة الرشيد في الأدب
 ١٦١ الواثق وابن أبي دوداد

صفحة	
١٦١	المصور والربيع بن يونس « المحبة مفتاح كل خير وطريقها التفضل »
١٦٢	الأعرابي السائل والفتى « الجاهل إن مزح أسخط، وإن اعتذر أفرط »
١٦٣	معاوية والأحنف بن قيس « رب كلام أقطع من حسام »
١٦٤	النجاشي ورسول المهلب « خير صفات الرسول، أن يكون ذا مقول ومقول »
١٦٥	حديث معاوية وليل الأخيلىة
١٦٧	الحارث بن عوف المري ومصاهرة أوس بن حارثة الطائي
١٦٧	« رب ذات خلخال، أرشدت الى أشرف الأعمال »
١٧٠	سودة بنت عمارة ومعاوية
١٧٠	« ولو كان النساء (كنل هنى) « لفضلت النساء على الرجال »
١٧٢	أم ستان بنت حشمة ومعاوية
١٧٤	لطيفة
١٧٤	« أخرى
١٧٥	باب العمرانيات والخلقيات — مختار من مقدمة ابن خلدون
١٧٥	(١) فى أن الاجتماع الانساني ضرورى
١٧٨	(٢) فى أن الظلم مؤذن بخراب العمران
١٨١	منزلة السلطان وبيان أن منافعه عامة كثيرة، وأن مضاره خاصة يسيرة
١٨٣	صفة الإمام العادل (لحسن البصرى)
١٨٥	مختار من نظرات السيد مصطفى لطفى المنفلوطى
١٨٥	(١) الرحمة
١٩٠	(٢) أين الفضيلة
١٩٣	(٣) الغنى والفقر
١٩٦	رسالة سهل بن هارون فى البخل
٢٠٠	قصيدة حافظ بك ابراهيم فى الدعوة الى مكارم الأخلاق واصلاح شأن المرأة
٢٠٢	قطعة لسالم الأسدى فى حسن الخلق
٢٠٣	« للوزاق فى فكرم الصفيح
٢٠٣	« لبشار فى استبقاء الصديق
٢٠٣	قصيدة معن بن أوس فى استصلاح ذى القربى

صفحة

٢٠٥ قطعة له في اللغة ومكارم الأخلاق
٢٠٥ قصيدة للفتح الكتلى في كرم الأخلاق
٢٠٦ قطعة لمسكين الدارنى في حفظ الأمرار
٢٠٦ » لبشارى فضل الاستشارة...

باب الأجوبة الحاضرة

٢٠٧ تمهيد لابن عبد ربه فى منزلة الأجوبة
٢٠٧ أجوبة لىاس
٢٠٨ جواب أبى تمام
٢٠٩ ثلاثة ألقبوا بالأمون
٢٠٩ أجوبة معن بن زائدة
٢١٠ أجوبة أبى العىاء
٢١١ أجوبة ابن أبى دىاد

باب الحكم والأمثال — الفصل الأول فى الحكم المثورة

٢١٢ مختار من حكم مولانا رسول الله
٢١٣ » سيدنا أبى بكر
٢١٣ » عمر
٢١٣ » حناب
٢١٤ » صلى
٢١٤ » معاوية
٢١٥ » بزرجمهر حكيم الفرس
٢١٦ » أكرم بن صىنى
٢١٧ » الأحف بن قىس...

الفصل الثانى فى الحكم المنظومة

٢١٨ قطعة لشاعر جاهلى
٢١٨ » الصلتان العبدى
٢١٩ » للعباس بن مرداس

صفحة	
٢١٩	قطعة لمحمد بن بشير
٢٢٠	» للأضبط بن قريع
٢٢٠	قطعتان لعبد بن الأبرص
٢٢١	قطعة لعدي بن زيد
٢٢١	قطعتان لابن الرومي
٢٢٢	نخبة من لامية الطغرائي
٢٢٣	» حكم المتنبي
٢٢٣	» معلقة زهير بن أبي سلمى
٢٢٤	الفصل الثالث
٢٢٤	أمثال مختارة من أمثال الميداني
٢٣٢	الفصل الرابع
٢٣٢	أبيات ^{درسة} يمثل بها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خلق الإنسان، علمه البيان . والصلاة والسلام على أفصح عدنان
وخطاط ، المؤيد ببلاغة القرآن ، وعلى آله اللسن المقول ، الأبناء الفيصل ،
وعلى صحابته هداة الأنام ، ومصابيح الظلام ، وأمرء الكلام .

وبعد : فإن صناعة البيان من أشرف الصناعات مقاماً ، وأعزها مراماً ،
وأكثرها شعاباً وأوعرها لهاياً ^(١) . من تحفها فقد فاز بحسن الرّطب ، وأوتي الحكمة
وفصل الخطاب . وما امتاز الإنسان ، من سائر صنوف الحيوان إلا باللسان القائل ،
والجنان العاقل . ولأمرئاً قالت الأوائل : المرء بأصغريه قلبه ولسانه . وقال
حكيم الشعراء :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وقال سيدنا رسول الله في غير تحيلة ولا نحر : "أنا أفصح العرب بيد أي من قریش
ونشأت في بني سعد بن بكر" .

وما صناعة البيان إلا ملكة من الملكات ، قوامها ما في الغريزة ، من استعداد ،
وتامها إلقاح النّعيّة ، بالدّربة والاعتیاد ؛ فلن يكون المرء ذابیان ناصع ، ومنطق
بارع ، ما لم تنهياً له حدتان : أولاهما قريحة ثابتة ، وثانيتهما مرآة دائبة ، وهاتان المّدتان
متضافرتان في درك النّاية ، إذا وئت إحداها أعانت الأخرى . فكأى من طبع شحاح
ضعيف ، نهض به فضل درّب وتثقيف ، كالأرض المهزولة الزّهاد ، يذهب من ضعفها

(١) اللهب : وجه من الجبل كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه . (٢) النعيّة : الطيبة .

(٣) الزهاد : الأرض الضعيفة لا تقبل ماء كثيراً .

مضاعفة السَّاد . ورُبَّ قريحةٍ مِباحٍ فَيَاضةٌ، تَقفها قليل من الرياضة، كالأرض الأريضة القرواح، ^(١) يُربِّيها يسير من جَهد الفلاح . وعلى قدر تفاوت البشر في السلائق والتمرين، تتفاضل منازلهم من البيان والتهيين . ولئن كانت الفرائز من مواهب المنعم المتَّان، إن إرهابها وصقلها لمن كسب الإنسان .

وبعد : فقد أطبق أولو الخبرة السديدة والتجارب الرشيدة، من السالفين والخالفين، على أن لا سبيل إلى المراتبة الناجعة في إصلاح المنطق والتحقُّل بحيلة البيان، إلا بمُرسة المختار المصنَّى من أقوال البلغاء، ومُدَارسة المستجاد المنخول مما أُرِعن مصابغ الخطباء وفحول الشعراء وكبار الكتَّاب وقوَّة الحكماء، والاطلاع على مداربين المدَّارة وأولى اللِّسن في الأندية والأسمار : من محاورات ومناظرات، ومساجلات ومقالات، مع التَّفهُم لمعانيها، والتدبُّر لمنازعها ومناحيها، والتفطن لأساليبها، والتبصر في تراكيبها، والتأمل في أخيلتها الساحرة، وتشايبها النادرة، واستعاراتها الأنيقة، وكتاباتِها الدقيقة . ولقد دلَّنا الاستقراء الصالح على أنَّه كلما كان حظ المرء من الاطلاع والحفظ أكثر، كانت مرتبته في البلاغة أسنى وأغفر، ونصيبه من حسن البيان أجزل وأوفر . ولقد وجدنا أن رموس أعلام البيان وأقطاب فحول البلاغة كانوا رُواة ناقلين، قبل أن يكونوا فُصحا قائلين؛ فهذا ابن المقفَّع شيخ الكتَّاب وإمام المترسلين يقول : شربت من الخطب رِيا، ولم أضبط لها رِيا، ففاضت ثم فاضت، فلا هي نظاما، وليس غيرها كلاما . وسمع الرشيد من سهل بن هارون كلاما أعجبه، فقال له : يا سهل ! مَنْ روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يُعجزه القول؟ وكان زهير بن أبى سلمى راوية لطيف الغنوى، والخطيئة راوية زهير، والغرزدق راوية لخطيئة . ويروى أن أبا تمام

كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب مدا المقطعات والقصائد . وكان أبو عثمان الجاحظ والبدیع الهمدانی والخوارزمی والمتنبی والمعری من أعاجيب الدهر في كثرة المحفوظ وسعة الاطلاع .

وبعد : فقد حدّانی كل أولئك أن اصطفیت لشدة الطلاب، وعُشّاق الآداب نُحبة صافية، من أجود الكلام الماثور، من بين منظوم ومثثور، غير متقيد بمصر من المصنوع، ولا مؤثر لقائل مشهور، على قائل غير مذکور، إذا كان رائدی استجادة المقال، لا الإشادة بمن قال . وتوخيت فيما اخترته أن يكون مشتملا على أجل الأغراض التي يدور عليها البيان، وأهم الفنون التي يُعَوِّزها التبيان، وآثرت أن أدرج كل جلس من المعاني في باب من أبواب الكتاب، لأؤلف بين النظائر والأتراب، وليكون من ذلك عون للقارئ على الموازنة بين الأقوال، تختلف تراكيها ومبانيها، ونقصد مقاصدها ومعانيها، وقسمت ما وقع عليه اختياري أجزاء متشاكهة الأبواب والنظام متخالفة في طبقات الكلام، متفاوتة في قربها من الأفهام . ولذلك سميت «معراج البيان» كي تُدرك الغاية من العنوان . والترمت أن أفسر غريب الكلمات، وأوضح مكنون المعاني، وأضبط ما يفتقر إلى الضبط، وعرفت بكثير من جاء ذكرهم في تضاعيف الكتاب .

فإن ألك قد قاربت السداد، وسلكت سبيل الرشاد، فن الله وحده الإرشاد والإسعاد . وإن تكن الأخرى فالحير أردت . وما توفيق إلا بالله م

علام سلامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

في حسن البيان وبلاغة القول

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : وَقَدْ أَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَانَ بْنِ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ فَقَالَ الزُّبَيْرَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا سَيِّدُ تَمِيمٍ وَالْمِطَاعُ فِيهِمْ وَالْحَبَابُ مِنْهُمْ أَخَذَ لَمْ يَحْتَمِهِمْ وَأَمْنَعَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَهَذَا يَعْلَمُ ذَلِكَ .
(يعني عمرا) فَقَالَ عَمْرُو : أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . لَئِنْ مَانَعَ لِحُوزَتِهِ مِطَاعُ فِي عَشِيرَتِهِ شَدِيدِ الْعَارِضَةِ فِيهِمْ . فَقَالَ الزُّبَيْرَانُ : أَمَّا لَئِنْ وَاللَّهِ قَدْ عَلِمَ أَكْثَرُ مَا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي . فَقَالَ عَمْرُو : أَمَّا لَئِنْ قَالَ مَا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتَهُ إِلَّا ضَيْقَ الْعَطَنِ زَيْنَ الْمَرْوَةِ أَحَقُّ الْأَبِّ لَيْثِمٍ انْخِلَ حَدِيثُ الْغَنِيِّ فَرَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا خْتَلَفَ قَوْلُهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِيتَ فَقُلْتَ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتَ وَغَضِبْتَ

(١) الزُّبَيْرَانُ : هُوَ حَصِينُ بْنُ بَدْرِ الْقَيْسِيِّ وَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَدَقَاتُ قَوْمِهِ وَأَقْرَبُهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو عَلَى ذَلِكَ .

وَقَدْ وَهَمَ صَاحِبُ لِسَانِ الْعَرَبِ فَتَنَبَّهُ الْمَفْرَاةَ . (٢) عَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ : سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ تَمِيمٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

ذُرَيْبُ قَاتِ الْبَغْلِ يَا أُمَّ مَالِكٍ لَصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٍ

لِعَمْرٍكَ مَا ضَاعَتْ بِلَادُ بَاهِلِيَا وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضَيِّقُ

(٣) الْحُوزَةُ : النَّاحِيَةُ . وَفُلَانٌ مَانَعَ لِحُوزَتِهِ : أَيُّ يَحْمِي حِمَاةَ . (٤) رَجُلٌ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ : ذُو جِلْدَةٍ

وَصِرَامَةٍ . (٥) الْعَطَنُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ حَوْلَ الْحَوْضِ . وَبِزِيلٍ رَجَبِ الْعَطَنِ : كَثِيرُ الْمَالِ وَاسِعُ الْقُدْرَةِ

وَضَيْقُ الْعَطَنِ عَكْسُهُ . (٦) الزَّمَنُ : الْمَصَابِ بِمَعَاةٍ لَا يَرِجِي زَوَالَهَا . وَرَوَايَةُ الْمِيدَانِيِّ : زَمَرُ الْمَرْوَةِ .

وَالزَّمَرُ : الْقَلِيلُ الْمَرْوَةِ .

قللت أقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لَسِحْرًا وإن من الشعر لحكمة) .
ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحُكْمًا . قال : ووجهه عندي أن من الشعر ما يلزم المقول فيه كازوم الحُكْم للحكوم عليه أصابة للمنى وقصدا للصواب وفي هذا يقول أبو تمام :

ولولا سبيل سَنَّا الشعر ما درى بُعَاةُ العِلا من أين تَوَقَّى المكارم
يُرَى حِكْمَةً ما فيه وهو فكاهة وَيُرْضَى بما يَقْضَى به وهو ظالم
وقد وجدنا في الشعر أبياتًا يُجَرَى على رسمها وَيُضَى على حكاها :

فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذَكَرَ أَحَدٌ عند أَحَدٍ منهم أنف الناقة فضلًا عن
أن ينسبهم إليه اشتد غضبهم عليه فما هو إلا أن قال الحُطَيْبَةُ يمدحهم :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يُسَوِّى بأنف الناقة الذَّنْبُ ؟ !
فصار أحدهم إذا سئل عن نسبه لم يبدأ إلا به .

وكان بنو العجلان يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذا كان عبد الله بن
كعب جدهم إنما سُمِّي العجلان لِتَعْجِيلِهِ الْقَرَى لِلضَّيْفَانِ حتى قال النجاشي ^(٢) بهجوعهم :
إذا الله طادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل ^(٣)
قبيلته لا يغيرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة تحردل ^(٤)
ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل ^(٥)
وما سُمِّي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

(١) البُغَاة : جمع باغ وهو الطالب . (٢) النجاشي : لقب شاعر من شعراء صدر الإسلام وكان
هجا رقيق الفين . (٣) ابن مقبل : شاعر مخضرم واسمه تميم . (٤) هذا البيت إذا قرئ
مفردا كان ظاهره من أجود الملح ولكن مراد الشاعر أن هؤلاء القوم لضعفهم وذلتهم لا يستطيعون أن
يغندروا ولا أن يظلموا . (٥) المنهل : المشرب .

فصار الرجل منهم اذا مثل عن نسبه قال كعبى ويكنى عن العجلان .

وهؤلاء بنو ثُمَيْر بن عامر بن صَعَصَعَة أشرف بيوت قيس بن عِيلَان بن مُضَرَّ
وَجَمْرَة من جَمَرَات العرب وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت؟ قال ثُمَيْرى ^(١) بِلَاءٍ
بها فاه إدلالا بنسبه وانتخارا بمنصبه حتى قال جرير بن الحَخَفَنَى يهجو الراعى الثُمَيْرى : ^(٢)
^(٣)

نفَضَ الطرف انك من نَمِرٍ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت؟ يقول : عامرى ويكنى عن نَمِر .

وكان النَّضْر بن الحارث شديد العداوة لله ورسوله فلما أُسِر يوم بدر أمر النبي
صلى الله عليه وسلم فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه صبرا . فعرضت للنبي
أخته قُتَيْلَة بنت الحارث فأنشدته :

يارا بكا ان الأثيل مَظْلَمَة	من صبيح خامسة وأنت موفق ^(٥)
أبلغ به مَيِّتًا بان تحية	ما إن تزال بها النجائب تُخَفِّق ^(٦)
مبى اليه وعبرة مسفوحة	جادت بوا كفها وأخرى تُخَفِّق ^(٧)
هل يسمعن النضران ناديتَه ؟	ان كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تُؤْوشه	لله أرحامٌ هناك تُشَقِّق ^(٨)
قسرا يقاد الى المنيعة متعبا	يُسِفُ المقييد وهو حانٍ مُؤَيِّق ^(٩)

(١) الجمره : القليلة تستغنى بقوتها عن محالفة غيرها وجمرات العرب بنو عبس وبنو ثُمَيْر وبنو الحارث
ابن كعب وكان أبو عبيدة يقول : هى أربع ويزيد بنى ضبة . (٢) جرير : أشهر شعراء الدولة
الأموية ولا يقاربه من شعرائها الا الفرزدق والأخطل . (٣) الراعى : شاعر مجاهد جرير لأنه اتهمه
بظاهرة الفرزدق عليه وخبر ذلك طويل . (٤) الصبر : الحسب . وصبر الانسان على القتل : نصبه
ليقتل . (٥) الأثيل : واد بناوى المدينة قرب بدر . تقول انك ستدرك الأثيل صبح الليلة الخامسة
اذا لم يهلك عائق . (٦) خفق السهم : أسرع وثاقه خفيف مرية جدا . (٧) وكف الدمع :
سال . (٨) ناشه اذا تواراه . (٩) الرسف والرسف : شئ المقيد . والماني : الأمير .

أحمد هانت ضنء كريمة في قومها والفصل قتل معرق^(١)
 ما كان ضرك لو مننت وربما من القتي وهو المفيظ المحقق^(٢)
 فالنضر أقرب من قتل قرابة وأحقهم ان كان عتق يعتق^(٣)
 لو كنت قابل فدية لفديته بأعر ما يغلي به من ينفيق^(٤)

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر :
 لو كنت سمعت شعرها ما قتلتها !

وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة .
 وما هو إلا القول يسرى فتفتدى له غرر في أوجه ومواسم^(٥)

وسمع أبو عمرو بن العلاء رجلا يقول : انما الشعر كالميسم . فقال : وكيف
 يكون ذلك كذلك والميسم يذهب بذهاب الجلد ويدرس مع طول العهد والشعير يبقى
 على الأبناء بعد الآباء ما بقيت الأرض والسماء . وفي هذا يقول ابن الرومي :
 أرى الشعر ينجي الناس والمجد بالذي تبقيه أرواح له عطرات
 وما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم تحيرات
 ويقول غيره :

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به . والشعر أفضل ما ينجي من الكرم^(٥)
 لولا مقال زهير في قصائده ما كان يعرف جود كان من هيرم

(١) رواية اللسان : ولأنت ضنء نجية . وهي أقوم لان ما التنبيه اذا دخلت حل الضمير وجب أن
 يتبع بإشارة . والضمء : النسل . ورجل معرق أى أصيل . (٢) الحق : شدة الاحتياط وأحقه
 غيره فهو محقق . (٣) أغلى بالثمن وغالى به : طلب فيه ثمنا غاليا أو اشتراه بثمن غال . (٤) المواسم
 كالمواسم : جمع موسم وهو المكواة . (٥) هو هرم بن سنان المرمى ثم الدبائى أحد أجداد العرب
 فى الجاهلية وقد مدحه زهير بن أبى سلمى بقصائد يبلى الزمان ولا تبلى .

ومما يشاكل حديث ابن الأَهم والبرقان، في البراعة والاحسان، ويدخل
 عن باب البيان، ما ذكره بعض الرواة من أَنه لما اسْتُخِلَّ عمر بن عبد العزيز رضي
 الله عنه قَدِم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم اليه وفد أهل الحجاز فاشْرأَب^(١) منهم غلام
 الكلام فقال عمر: يا غلام لِيَتَكَلَّمْ من هو أَسْن منكَ . فقال الغلام: يا أمير المؤمنين
 إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه . فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد
 أجاد له الاختيار . ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحقَّ بِمِجْلَسِكَ منك .
 فقال عمر: صدقت تكلم فهذا السحر الحلال . فقال: يا أمير المؤمنين نحن وفد
 التَّهْنِئَةِ لا وفد المُرْزَةِ ولم يُقدِّمنا اليك رغبة ولا رهبة لَأَنَّا قد آمِنَّا في أيامك ما خِفْنَا
 وأدركنا ما طلبنا . فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشرين .

وأخذ بعض بني العباس رجلا طالبياً فهم بمقبوبته فقال الطالبي: والله لولا أن
 أفسد ديني بفساد دُنْيَاكَ للمكْتُ من لسانِي أَكْثَرَ مما ملكْتَ من سوطِكَ والله ان
 كلامي لنفوق الشعر ودون السحر، وان أيسره لِيَتَقَبَّ الخردل، ويَحْطَأَ الجَنْدَل .

وكانت ملوك بني أمية تكتب الى صاحب العراق: ان امنع أهل الكوفة من
 حضور زيد بن علي فان له لسانا أقطع من ظُبة^(٤) السيف وأحد من شُبا^(٥) الاسنة وأبلغ
 من السحر والكهانة ومن كل نفث في عُقْدة .

(١) اشْرأَب الشيء: واليه: مدعته اليه متعلما .

(٢) المرزئة والرزية: الهبة وأما الترزئة كتجزئة تعريف . قال صاحب اللسان: وفي حديث
 ابن ذي رزن: فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة . وعلى هذا يكون الغلام قد اقتبسها . وبعد فلولا مكان
 السجع لكان ترك الفقرة الثانية خيرا من ذكرها .

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين خرج على بني أمية بالكوفة وقتل سنة ١٢٢ هـ .

(٤) ظُبة السيف: حده وجهها ظبايت وظليون ولانها وار محدوقة .

(٥) شُباة كل شيء: حده .

وصف البيان

قال ابن المعتز يصف البيان : البيان تَرْجَمَانُ القلوب وَصَيْقَلُ العقول وَنَجْمُ الشبهة .
وهو جِبْجِبَةٌ والحاكم عند اختصام الظنون والمفرق بين الشك واليقين وهو من .
سلطان الرسل الذي اتقاه به المستصعب واستقام الأصيل^(١) وبُهِتَ الكافر وسلم المتنوع .
حتى أَشْبَهَ الحق بأنصاره^(٢) ، وخلا ربع الباطل من عُمَّاره . وخير البيان ما كان .
مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقيه ، وموجزا ليخف على اللسان تعاطيه .
وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويكشف .
عن مفزلك ويخرجه من الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليما من التكلف .
بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل .

أقوال جامعة خوالد ، في نعت البلاغة لغير واحد ،

مشفوعة ببعض الشواهد

قال عبد الحميد بن يحيى^(٣) : البلاغة تقرير المعنى في الافهام ، من أقرب وجوه
الكلام . وقال علي بن عيسى الرَّمَّانِي^(٤) : البلاغة إيصال المعنى الى القلب في أحسن
صورة من اللفظ . وقال أحرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة .
والدلالة بقليل على كثير . وقال آخر البلاغة إيجاز في غير عجز وإطناب في غير حُطْل^(٥) .
وقال آخر : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت
صدوره وأعجازه .

(١) الأصيل : الذي يرفع رأسه ولا يلتفت كثيرا . (٢) أشب الشجر : التف وكثر حتى .
لا يجاز فيه . (٣) هو إمام الكتاب وقد ابتكر في الكتابة العربية أمورا كثيرة توفي سنة ١٣٢ هـ .
(٤) إمام من أئمة الأدب والكلام أخذ عن ابن دريد توفي سنة ٣٨٤ هـ . (٥) الخطل :
الكلام الفاسد الكبر .

وقال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته
حررة بعد مرة ويصعد فيه بصره ويصوبه فالتفت إلى وقد لحظني أثناء قراءته
الكتاب فقال : أراك منكرا منى ما تراه . قلت نعم ، وفي الله أمير المؤمنين المخاوف .
قال : لا مكروه إن شاء الله ولكني قرأت كتابا وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله
في البلاغة فإني سمعته يقول : (البلاغة التباعد من الاطالة والتقرب من البغية
والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى) . وما كنت أتوهم أحدا يقدر
على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا ، فإذا فيه : كتابي
إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والالتقياد على أحسن ما تكون
عليه طاعة جند تأخرت أعطياتهم واختلت ^(١) أحوالهم . ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه
المسألة في الإخبار وإعفائه سلطانه من الإكثار . ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر .
وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال حسن الاقتضاب عند البداهة والفرارة عند
الاطالة : فمن احسان الاقتضاب عند البداهة ما يروى أن المأمون دخل بعض
الدواوين فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : انا
يا أمير المؤمنين ^(٢) الناشئ في دولتك المنقلب في نعمتك المؤمل لخدمتك خادمك .
وابن خادمك الحسن بن رجاء . فقال : أحسنت يا غلام وبالإحسان في البسدية
تفاضلت العقول ثم أمر برفع مرتبته .
ومن ذلك ما يروى أن يزيد بن أبي مسلم كاتب المجاج دخل على سليمان بن
عبد الملك فازدراه ونبئت عنه عينه ، فقال : ما رأيت عيني كاللوم قط . لعن الله أمرا ^(٣)

(١) الأعلات : جمع أعلية . وأصلية : جمع صلاه . (٢) اقتضاب الكلام : ارتجاله ،
هاقضب الحديث تكلم به من غير إمداد له . (٣) هو الحسن بن رجاء بن أبي الضعك كان أبوه على
الحراج بدمشق قتل سنة ٢٢٦ هـ . (٤) نبا بصره عن الشيء : تجافى عنه كراهية له .

أجرتك رسنه وحبك في أمره . فقال يا أمير المؤمنين : لا تنقل ذلك فانك رأيتني
والأمر عني مدبر عليك مقبل فلورأيتني والأمر على مقبل وعنتك مدبر لاستعظمت .
منى ما استصغرت واستكثرت ما استقلت . قال : عزمت عليك يا ابن أبي مسلم
لتخبرني عن الحجاج ، أترأه يهوى في جهنم أم قد قر فيها ؟ فقال يا أمير المؤمنين : لا تقل .
هذا في الحجاج وقد بذل لكم النصيحة وأمن دولتكم وأخاف عدوكم وكأني به يوم القيامة .
وهو عن يمين أبيك ويسار أخيك فاجعله حيث شئت . فقال سليمان وقد التفت الى
جلسائه : قاله الله ، ما أحسن بديته وترفيهه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسن المكافاة
في الصابغة ، خلوا عنه .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

فمن تصحيح الأقسام قول قتبية بن مسلم : من كان في يده شيء من مال عبد الله
ابن خازم فليؤدبه ، أو في يده قليقظه ، أو في صدره قليقذه . وقول جرير بن عبد الله
(وقد قال له المنصور : إني لأعماك لأمر كبير) فقال يا أمير المؤمنين : قد أهد الله لك
منى قلبا معقودا بنصيحتك ، ويذا مهسولة بطاعتك ، وسيفا مسلولا على أعدائك .
وقول اسماعيل بن عمرو بن سعيد — وقد قال له عبد الله بن علي بعد قتل من قتل
من بني أمية — : أساءك ما فعلت بأصحابك ؟ فقال : كانوا يدا فقطعتها ، وعضدا
ففتتها ، ومرة فنقضتها ، وركنا فهدمتها ، وجناحا فهدمتها .

وخير من هذا وذلك قول رجل يتظلم للأمون من عامل له : يا أمير المؤمنين لا
ما ترك لي رضة إلا فضها ولا ذهابا إلا ذهب به ولا غلة إلا غلها ولا ضيعة إلا أضاعها

(١) الرسن : الحبل الذي يقاد به البعر . (٢) هو الفاتح العظيم الذي أنضج نراسان وما جاورها ،

ولا عرضاً إلا عرض له ولا ماشية إلا امتشها^(٢) ولا جليلاً إلا أجلاه ولا دقيقاً إلا أدقه . فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته . وقول بعض الحكماء : الإخوان ثلاثة : أخ يخلص لك وقده ، ويبلغ لك في مهمك جهده ، وأخ يقتصر بك على حسن نيته ، دون رفده ومعونته ، وأخ يجمالك بلسانه ، ويشغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وبهتانه .

وما يناسب المقام ويدخل في تصحيح الأقسام ما يروى من أن البادية حطت في أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رموس القبائل فجلس لهم وفيهم غلام سنه أربع عشرة سنة فاستصغره هشام وقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يُجَلِّ بك ولا انتقصك ولكنه شرفني وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه وإن الكلام نشر والسكوت طي . فقال له هشام : أنشرا أم لك ! فقال^(٣) : إنا أصابتنا سنون ثلاث : فسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت الشحم ، وسنة انتقت العظم^(٤) . وفي يديكم فضول أموال فإن كانت لله عز وجل ففرقوها على عبادہ ، وإن كانت لهم فلا تحبسوها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وإن الوالي من الرعية كالروح من الجسد لاحتيا له إلا به . فقال هشام : مارك الغلام في واحدة من الثلاث عذرا . وأمر بمال ففرق في أهل البادية وأمر للغلام بمال فقال : اردده في جائزة العرب فمالى حاجة في خاصة فعمى دون عامة الناس .

وقال معمر أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند « ما البلاغة عند أهل الهند ؟ » فقال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة

(١) العرض ويكمل : المتاع أو ما عدا القدين . (٢) امتش ما في الضرع : أخذ جمبه .

(٣) لا أم لك ولا أباً لك كلمات فيها جفاء وكلامها تستعمل للتعجب في سياق المدح أو الذم .

(٤) قفا العظم : كذا ورى وانتقاء : استخراج منه النقص وهو المنع .

ولكننى لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأتق من نفسى بالقيام بمخصائصها ولطيف معانيها . قال أبو الأشعث : فتلقيت تلك الصحيفة مترجمة فاذا فيها :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ما كن^(١)
الجوارح قليل الحفظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام
السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق
ولا ينتعج الألفاظ كل التنقيح ولا يصفى كل التصفية ولا يهذبها بغاية التهذيب ولا
يفعل ذلك حتى يصادف حكما أو فيلسوفا عليا ومن قد تعود حذف فضول الكلام
وإسقاط مشتركات الألفاظ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة
لا على وجه الاستطراف والتلفظ^(٢) .

ووصف العتّابى رجلا بليغا فقال : كان يظهر ما تخمض من الحجة ويصور الباطل
في صورة الحق .

فمن تصوير الباطل في صورة الحق قول ابن الرومى يمدح الحقد ويحتج له :
لئن كنت في حفظى لى أنا مودع^(٣) من الخير والشر انتحيت على عرضى^(٤)
لما عبتنى إلا بفضل أمانة ورب أمرى يزرى على خلق محض^(٥)
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها بل العيب أن تدان ديننا ولا تقضى
وخير سميات الرجال سمجة^(٦) توفيك ما أسدى من البغض بالبغض
إذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارع من البذر فيها فهم أهلك من أرض^(٦)

(١) الجأش : النفس . (٢) الاستطراف : طرفة أى طيبا غريبا .

(٣) التلفظ : تكلف الطارف . (٤) انحنى على الشيء ، وله : قصده . (٥) زرى طيه :

طابه ، وأزرى طيه قليلة . (٦) يقال : هو رجل أهلك من رجل أو نيك من رجل أو نيك من رجل . أى حسبك وكافيك .

ولولا الحقوق المستكاث لم يكن ليتقضى وترا آخر الدهر ذو تقضى
وما الحقد إلا توهم الشكر فى الفقى وبعض السجايا يتبين الى بعض
لحيث ترى حقدًا على ذى إساعة فثم ترى شكرًا على حسن القرض

أوصاف بليغة فى البلاغات على السنة قوم من أهل الصناعات
قال من ولد عقائل هذا المنشور، وألف فواصل هذه الشذور : تجمع قوم من
أهل الصناعات فوصفوا البلاغة من طريق الصناعة :

(١) فقال الجوهري : أحسن الكلام نظاما ما تقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة
ووصل جوهر معانيه فى سُمُوط ألفاظه فاحتملت بهور الرواة .

(٢) وقال العطار : أطيّب الكلام ما تجنّ عبر ألفاظه بمسك معانيه ففاح
تسيم تشقه وسطمت رائحة عبّقه فتغلّفت به الرواة وتعطرت به السراة .

(٣) وقال الصائغ : خير الكلام ما أحميته يكبر الفكر وسبكته بمشاعل النظر
وخلصته من خبث الاطباب فبرز بروز الابرز فى معنى وجيز .

(٤) وقال الصيرفى : خير الكلام ما نقدته عين البصيرة وجلّته يد الروية
ووزنته بمعيار الفصاحة فلا نظير يزيّفه ولا سماع يهرجه .

(٥) وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصّبت عليه منقحة القريحة وأشعلت
عليه نار البصيرة ثم أخرجته من غم الاخام ورققته بفطيس الافهام .

(١) السمط : الخيط الذى ينظم فيه . (٢) النش : الاستنشاق . المقي : لصوق الطيب
بجائى . وتغلف الرجل بالطيب : ادهن به . والبراة : الأشراف . (٣) الكبر : زق يتفخ فيه
الحداد . والمشاعل جمع مشعل وهو القنديل وموضع شعل النار أى الهايبا . (٤) زيف الدرام :
طرائى أنها زائفة أى مغشوشة . وهرجها ، أبطلها . (٥) الفطيس كسكين : المطرقة النبطية .

(٦) وقال النجار : خير الكلام ما أحسنت نجر معناه بقدوم التقدير، ونشرته.
بمنشار التدوير، فصار بابا لبيت البيان، وعارضة لسقف اللسان .

(٧) وقال الخائف : أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه بسدى معانيه فخرج.
مُفَوَّفاً مُنِيرًا مَوْشًى مَحْبَرًا .

(٨) وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك المعنى ثم جعل.
الاختصار له عقالا والاجادة له مجالا فلم يند^(٣) عن الآذان ولم يشد^(٢) عن الأذهان ،

(١) العارضة : الخشبة العليا التي يدور فيها الباب . وعوارض البيت خشب سقفه . (٢) المنوف : الرقيق من الثياب أو الذي فيه خطوط بيض . والمنير : المنسوج على نيرين أى المضاعف النسيج . والموشى : المنقوش . والمحبر : المحسن . (٣) الخطام : كل ما وضع في أف البعير ليقاد به جمعه خطم .
وتد : هرب .

باب الوصف

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان لصَعْصَعَةَ بن صُوحَانَ : صف لي عمر بن الخطاب فقال :

كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر ، قَبُولاً للعذر ، سهل المحاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب .

وصف علي بن طالب

قال معاوية لِضَرَّارِ الصَّدَائِي : يا ضرار صف لي عليا . قال : أعفني يا أمير المؤمنين قال : لَتَصِفَّنَّه قال : أما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديداً القوي (١) يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتطلق الحكمة من نواحيه ؛ يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ؛ يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . وكان فينا كأحدنا يحينا إذا سألناه وينبئنا إذا استبأناه ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيئته ولا نتدنه لعظمته ؛ يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ولا يئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرنى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في عرايه قابضا على لحيته يتململ تامل السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا إليك غنى ، غرى (٢)

(١) المدى : الناية . (٢) السدول جمع سدول وهو السر . (٣) السليم : اللسوع وأما

سمى كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت اليداء مفازة مع أنها مهلكة .

ضري . ألي تعرضت أم الى تشوقت؟ هيات هيات! قد يابتك ثلاثا لارجعة فيها
فعمرك قصير، وخطرك حثير، وخطبك يسير . آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة
الطريق .

فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من دُبح وأحدها في حجرها .

وصف الفرزدق للإمام زين العابدين على بن الحسين

حج هشام بن عبد الملك فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر لشدة الزحام^(٤)
فنصب له منبر بفس عليه فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن الحسين بن علي بن أبي طالب
(وكان أحسن الناس وجها وأعظمهم رائحة وأكثرهم تحشوما) وطاف بالبيت وأتى
ليستلم الحجر فتحنى له الناس هيبة واجلالا ففاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل
الشام : من الذى أكرمه الناس هذا الاكرام وأعظموه هذا الاعظام؟ فقال هشام :
لا أعرفه « لئلا يعظم فى صدور أهل الشام » فقال الفرزدق وكان حاضرا :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطائه ^(٥)	والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رآته قریش قال قائلها :	الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم اذا ما جاء يستل ^(٦)
فى كفه خيزران ريحه عتيق	من كف أروع فى عرينه شميم ^(٧)

(١) الخطر: القدر والمثلة . (٢) الخطب: الثأن . (٣) أخضله: به . (٤) استلام
الحجر: لمسه أو تقبيله والمراد الحجر الأسود . (٥) البطحاء والأطبع: مسيل فيه دفاق الحمى .
والمراد بطحاء مكة . (٦) الأروع: من يعجبك بحسه أو شجاعته . (٧) العرين: ماتحت مجتمع
الحاجب من الأنف . (٨) الشم: ارتفاع قصبه الأنف وحسبها وقد يراد منه الأفة .

(١)	فلا يكلم الا حين يتمم	يفضي حياء ويغضى من مهاتمه
(٢)	طابت عناصره والخيّم والشيم	(٢) مشتقة من رسول الله نبّته
(٣)	عن نيلها عرب الاسلام والعجم	يتمى الى ذروة العز التي قصرت
(٤)	كالشمس ينجاب عن اشراقها القم	ينشق نور الهدى عن نور غمرته
(٥)	يحده أنبياء الله قد ختموا	هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
(٦)	تستوكفان ولا يعرفهما عدم	كلنا يديه غياث عم نفعهما
(٧)	رحب الفناء أريب حين يعتم	لا يخلف الوعد ميمون تقيته
(٨)	كفر وقربهم منجى ومعتصم	من معشر حبه دين وبفضهم
(٩)	في كل بدء ومخوم به الكلم	مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
(١٠)	ولا يدانهم قوم وان كرموا	لا يستطيع جواد بعد غايتهم
(١١)	فالدين من بيت هذا ناله الأثم	من يعرف الله يعرف أولية ذا
(١٢)	العرب تعرف من أنكرت والعجم	وليس قولك : من هذا ؟ بضائه

وصف ابن المقفع^(٨) لبعض اخوانه

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عني وكان رأس ما عظمه فى عني صغراً الدنيا فى عينه . وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يستهى ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد . وكان لا يأسر عند نعمة ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجاً من

(١) نسب صاحب الأغانى هذا البيت والذي قبله للجزين الكفاني يمدح بهما عبد الله بن عبد الملك بن مروان وعطاً من رواهما للفرزدق مرتين ان معناها أحقر من أن يمدح به زين العابدين . (٢) النبع : شجر تنخذ منه القسي والسهام . (٣) الخيم : السجى . (٤) التجاب : اتشع وذهب . (٥) القم : السواد ليس بشديد كالقنمة . (٦) استوكفه : استقطره . (٧) التقيى : النفس والعقل والمشورة والطيرة . (٨) اسمه عبدالله وهو ثابثة المرسلين وامام المرجين وناقل كتاب كيلة ودمنة من الفارسية الى العربية قتل سنة ٤٢هـ . (٩) أشر كبطرؤنا بمعنى . (١٠) استكان : ذل وخضع (من السكون) .

(١) سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يمارى فيما علم . وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة . وكان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذا القائلين (٢) . وكان ضعيفا مستضعفا فإذا جدَّ الجَدُّ فهو الليث حاديا . وكان لا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فيهما وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لا يشكو وجهه إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرم (٣) ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا يتقم من العدو ولا يففل عن الولي ولا ينخص نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطلقتها ولن تطيق . ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وصف ملكي الروم والحبشة

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافهم إلى فتكون المواشرات فيما معهم من ديواني . فكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظائهم . فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال : بذل عُرْفَه وَجَرَّدَ سَيْفَهُ فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا يُطَرِّجُ جَنْدَهُ ولا يُخْرِجُ رَجِيته ، سهل النوال ، حزن النكال ، الرجاء والخوف معقودان في يده . قلت : فكيف حكمه ؟ فقال : يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومفتبط . قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال : يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ فَتَنْفُضِي لَهُ الْعْيُونَ .

(١) المرء : الجدال وقد يراد منه مدافعة الحق وردده . (٢) بذه يذه : حلاه وفلقه في حسن أو رمل كأننا ما كان . وبزه يزه : غلبه وغصبه . (٣) أدلى بحجته : أبداها وآتى بها على حصة . (٤) تبرم : ضمير . (٥) اخطف اليه : تردد عليه . (٦) يقال أبطره ذرعه : إذا حله فوق ما يطبق لحذف المفعول الثاني . (٧) حزن النكال : خشن العقاب . (٨) الاغتباط : الشكر على النعمة .

قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصفائى اليه وايقبالى عليه، فسأل الترجمان ما الذى يقوله الرومى؟ قال يذكر ملكهم ويصف سيرته . فتكلم مع الترجمان بشئ، فقال لى الترجمان : انه يقول : ان ملكهم ذو أنأة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم حشف قيمته فهم يتراءونه رأى الهلال خيالا، ويخافونه مخافة الموت نكالا وسقمهم عدله وردعتهم سطوته فلا تبتنه مراحة^(١) ولا تؤمنه غفلة . اذا أعطى أوسع . واذا عاقب أوجع . فالناس اثنان : راج وخائف، فلا الرابى خائب الأمل، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له؟ قال : لا ترفع اليه العيون أجفانها، ولا تتبعه الأبصار انسانها، كأن رعيته قطا رفرت عليها صقور صوائد . //

وصف بعض الوعاظ

قال بعض المتكلمين يصف قوما من الزهاد والوعاظ : جلوا بكلامهم الأبصار العديدة، وشغبوا بمواعظهم الاذهان الكثيلة، ونهبوا القلوب من رقتها، ونقلوها عن سوء عاداتها، فشققوا من داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من الئى الفاضح، ونهجوا لنا الطريق الواضع .

صفة الرجل الكامل

كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضى :

أما بعد فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ذى عفة^(١) وزهادة طعمة^(٢)، قد هذبته الآداب واحكته التجارب ليس بظنين فى رأيه ولا يطمعون

- (١) الامتنان : الابتذال من الهامة وهى الحقارة . (٢) المزاحة والمزاح والمرح واحد .
(٣) هو وزير المأمون وختمه أبوزوجه بوران توفى سنة ٢٣٦ هـ . (٤) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة توفى سنة ٢٢٣ وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس . (٥) الطعمة بالضم : طريق الكسب وبالكسرية الأكل والسيرة فيه . (٦) الظنين : التهم .

في حسبه . إن أثبتن على الأسرار قام بها . وإن قلّد مُهماً من الأمور أجزاً فيه له
 سنن مع أدب ولسان، تقعه الرزاة ويسكنه الحلم، قد قرعن ذكاء وفطنة وعَضَ
 على قارحة من الكال . تكفية اللحظة وترشده السكنة، قد أبصر خدمة الملوك
 وأحكمها، وقام في أمورهم فُهم فيها . له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع
 العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء . لا يبيع نصيب يومه بخرمان ضده . يكاد
 يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه . دلائل الفضل عليه لأشعة،
 وأمارات العلم له شاهدة، مضطماً بما استنض، مُستقلاً بما حُمل، وقد آثرتك
 بطلبه، وحبوتك بارتيازه ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحسن تأتيك .

فكتب ابن سحابة اليه :

إني عازم أن أرغب الى الله عز وجل حولاً كاملاً في ارتياد مثل هذه الصفة،
 وأفرق الرسل اللغات في الآفاق لالتماسه . وأرجو أن يمين الله بالاجابة فأفوز لديك
 بقضاء حاجتك . والسلام .

وصف أفضل الملوك

قيل لكسرى : أى الملوك أفضل ؟ فقال : الذى إذا حاورته وجدته حليماً،
 وإذا خبرته وجدته حكيماً، وإذا غضب كان حليماً، وإذا ظفر كان كريماً، وإذا استمتع
 متع جسيماً، وإذا وعد وفى وإن كان الوعد عظيماً، وإذا شكى اليه وُجد رحيماً .

(١) أجزاً : أغنى . (٢) فرالدابة : كشف عن أسنانها ليصرف مبلغ عمرها . (٣) الذكاء :
 تمام السن وإكتماله أو حدة الذهن . (٤) القرس القارح : الذى استكمل القوة باكتمال العمر وظهوره
 في الأبل البازل . والسن التى تثبت له عند فروجه تسمى قارحاً وقارحة . والجملة كلها تخابة عن استيفاء صفات
 الكال . (٥) يسترق : يستعيد . (٦) يقال هو مضطلم لهذا الأمر وبه إذا كان قديراً عليه .
 (٧) استقل بالحل : نهض . (٨) الارتياض : الطلب . (٩) تأقى للامر : ترفق
 وأتاه من وجهه .

وصف رجل لخصمه، من غير جور في حجة

كان أحمد بن يوسف متصرفا عن غسان بن عباد وجزت بينهما هنات بجمرة^(١) المأمون . ثم قال المأمون يوما لخاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فاني أريده لأمر جسيم وكان قد عزم على تقليده السند، فتكلم كل بما عنده في مدحه فقال أحمد بن يوسف : هو « يا أمير المؤمنين » رجل محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرق الى أمر إلا تقدم فيه . ومهما تخوف عليه فإنه لن يأتي أمرا يتدبر منه^(٢) لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل فجعل لكل خلق نوبة^(٣) . اذا نظرت في أمره لم تدرك أى حالاته أعجب أما هداه اليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه . فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال : لأني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمتا لما أسديت أنى نصحتك في الصديق وفي عدائي
واني حين تسدني لأمر يكون هواك أغلب من هواي^(٤)

وصف أبي دلف لعبد الله بن طاهر

دخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه فسأله عن عبد الله بن طاهر فقال :^(٥)
خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب نصيب أسدا حاتيا قائما على برائته يستعد به^(٦)

(١) كاتب بلغ من كتاب المأمون وكان بارعا في الرسائل ويكنى أبا جعفر . (٢) الهنات : جمع هنة وقد جمع على هنات والمراد أمور . (٣) تطرق الى الأمر : انتهى اليه طريقا . (٤) النوبة : الفرصة والدولة والمرّة ، جمعا كعزف . (٥) يريد هواي وبه الضرورة . (٦) أبو دلف كعب بن القاسم بن عيسى البكري من قواد المأمون ثم المعتصم وكان جوادا شجاعا وفيه يقول الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفي سنة ٢٢٦ هـ . (٧) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين من كبار ولاة المأمون ولحق مصرمة ستين تقريبا قال صاحب كتاب أدب الخوارج : أن الطليح العبد لاوى الموجود بالله بار المصرية ، منسوب اليه اه . (٨) يقال هو فاعم الجيب أى القلب والصدر .

وَلَيْكَ وَيَشْقَى بِهِ عَدُوُّكَ رَحِبَ الْفِئَاءِ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ لِمَنْ زَاغَ عَنْ قَصْدِ
مَحَبَّتِكَ . قَدْ فَقَّهَ الْحَزْمَ وَأَيَّظَهُ الْعَزْمَ فَقَامَ فِي تَحْرِ الْأُمُورِ عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ يُرْمِيهَا
بِأَيْدِهِ وَيَكِيدُ وَيَقْلَعُ بِحَدِّهِ وَيَجِدُّ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ :

أَكْرَعَ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي احْتَنَى كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا .
فَقَالَ قَائِلٌ : مَا أَفْصَحَهُ عَلَى جَبَابَتِهِ ! قَالَ الْمَأْمُونُ : إِنْ بِالْجَبَلِ قَوْمًا أَعْجَادًا ،
كَرَامًا أُنْجَادًا ، وَإِنَّهُمْ لِيُؤَفُّونَ السِّيفَ حِفْظَهُ يَوْمَ التَّرَالِ ، وَالْكَلَامَ حَقَّهُ يَوْمَ الْمَقَالِ .

وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال :

إِنْ سَأَلَ الْخَلْفَ ، وَإِنْ سَمِلَ سَوْفَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ ، وَإِذَا
هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَبِيلِ تَوَقَّفَ ، يَنْظُرُ نَظَرَ الْحَسُودِ ، وَيُعْرِضُ لِعَرَاضِ الْحَقُودِ ، بَيْنَمَا هُوَ
خَلٌّ وَدُودٌ ، إِذْ هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ ، فَنَاقُوه شَاسِعَ ، وَضَيْفُهُ جَائِعَ ، وَشَرُّهُ شَائِعَ ، وَسِرُّهُ
ذَائِعَ ، وَلَوْنُهُ فَاقِعَ ، وَجَفْنُهُ دَامِعَ ، وَدِيَارُهُ يَلَاقِعَ . رَدَى الْمُنْظَرُ سَيِّئَ الْخَبَرِ ، يَغْلُ
إِذَا أَيْسَرَ ، وَيَلْمَعُ إِذَا أَعْسَرَ ، وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ ، إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِنْ خَاصَمَ بَغَرَ ،
وَإِنْ خَوَّطَبَ نَقَرَ .

(١) الأبد : القوة . (٢) الجبل : بلاد بين أذربيجان و عراق العرب و خوزستان و بلاد
الديلم . (٣) الأعجاد : جمع ماجد أو مجيد كأشهاد في شاهد وشهيد والمجاهد والمجيد : الحسن الخلق
السمح . (٤) الاتجاد : جمع نجد بكسر الجيم أو أرضها وهو الشديد البأس . ومن كلام علي :
أما بنوها ثم فأنجاد أعجاد . (٥) فناء البيت : الساحة أمامه جمعه أفنية والشاسع : البعيد
والجمله تخاية عن أنه بخيل لأن من طاعة البخيل عندهم أن يبنى عيابه بعيداً عن الحى حتى لا يقصد ،
قالت الفارصة :

ولا يحبل إذا ما حل مثبداً يخشى الرزية بين الماء والبادي

(٦) الدافع : الشديد الصلوة وربما أكد به الأبيض . (٧) الهلع : الخش الجزع .

وصف كلام العرب

قال عتبة بن أبي سفيان : ان للعرب كلاما هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها بكلمات مؤتلفات ، ان فسرت .^(١) بغيرها عطلت ، وان بدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك . أنها ممكنة اذا سمعت وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة اذا طلبت .^(٢)

وصف الكتاب

قال الجاحظ : الكتاب رطاء ملى علما ونظرف حشى ظرفا وبستان يحمل في ريدن . وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء . ولا أعلم جارا أبر : ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وأقل . جنابة ولا أقل لاملا وإراما ، ولا أقل خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ولا أبعد من عَضِيبة ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مرأ ولا أترك . لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال « من كتاب » . ولا أعلم قورينا^(٤) أحسن مؤاناة ولا أعجل مكافأة ولا أحضر معونة ، ولا أقل مؤونة ، ولا شجرة أطول . عمرا ولا أجمع أمرا ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجنى ولا أسرع ادراكا في كل أوان ، ولا أوجد في غير آبان ، « من كتاب » . ولا أعلم نتاجا في حدائة سنة وقرب ميلاده . ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من التدابير الحسنة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأخبار اللطيفة ومن الحكم الرقيقة ومن المذاهب القديمة ،

(١) التصليل : ترك الشيء ضياعا . (٢) هذا النوع من الكلام يسمى السهل الممتنع .

(٣) الرذن : الكم جمه أردان . (٤) العَضِيبة : البتان والنخبة . (٥) الصلف : تمذح

المرء بما ليس عنده . (٦) المؤاناة : حسن المطاوعة والمواقة وأصله بالهمزة وفي الحديث : خير النساء المؤاتية لزوجها .

والتجارب الحكيمة، والأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتراخية، والأمثال السائرة، والأمم البائرة، « ما يجمع الكتاب » .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بكتبك ؟

فقال : هي ان خلوت لَدُنِّي ، وان اهتممت سَلَوْتُ ، وان قلت ان زهر
الوستان ، ونور الجنان ، يملوان الابصار ويُمَتِّعان بحسبهما الاحاط فان بستان الكتب
يملو العقل ويسحذ الذهن ويحيي القلب ويقوى القريحة ويعين الطبيعة ويبعث
نتائج العقول ويستثير دَفَائِن القلوب ويمتنع في الخلوة ويؤنس في الوحشة ويضحك
بنواجره ويسر بفرائبه ويفيد ولا يستفيد ويعطى ولا يأخذ وتصل لذته الى القلب
من غير سامة تدرك ولا مشقة تعرض لك .

وصف التاريخ

قال ابن الأثير يصف التاريخ :

التاريخ مَعَاد معنوى يُعيد الأعصار وقد سَلَفَتْ ، ويلبس أهلها وقد ذهبت
آثارهم وعَفَتْ وبه يستفيد عقول التجارب من كان غِيْرًا ، ويلقى من قبله من الأمم
وهَلَمْ جَزًا . فهم لديه أحياء وقد تَضَمَّنَتْهم بطون القبور ، وعنه غُيِبَ وقد جعلتهم
الأخبار في عِدَاد الحضور . ولولا التاريخ لَهَلَّت الانساب ، ونُسِيت الاحساب ،
ولم يعلم الانسان ان أصله من تراب . وكذلك لولاه لما ت الدول بموت زعمائها
وعَمِيَ على الأواخر حال قدمائها ، ولم يُحِطَ عالم بما تداولته الأرض من حوادث
سمائها . ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المتزلة ، فمنها ما أتى باخباره

(١) البائرة : البائدة . (٢) عفا الشيء : هلك . (٣) عمى عليه الأمر : التيسر . وكذلك عمى عليه .

المجمله ، ومنها ما أتى بإخباره المَفَصَّله . وقد ورد في التَّوراة مُفردا في سفر من أسفارها ، وتضمَّن تفصيل أحوال الأمم السالفة ومُدَّ أعمارها .

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتاب وضبطه ، تصرف إلى التواريخ بحمل دواعيها وتجعل لها أول حظ من مساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها ، عن حفظ مكتوبها ، وتقتاض برقم صدورها ، عن رقم سطورها ، كل ذلك عناء منها بإخبار أوائلها ، وأيام فضائلها ، وهل الإنسان إلا ما أسسه ذكره وبناه . وهل البقاء لصورة لمحده ودمه لولا بقاء معناه .

وصف العلم وعناء تحصيله

كتب بديع الزمان الهمداني « من رسالة إلى القاضي علي بن أحمد » :

والعلم (أطال الله بقاءه) (١) بقائه (القاضي) شيء كما تعرفه بعيد المرام ، لا يُصَاد بالسهم ، ولا يُقَسَّم بالأزلام ، ولا يُرى في المنام ، ولا يُضبط بالقياس ، ولا يُورث عن الأعمام ، ولا يُكتَب للثام ، وزرع لا يزكو حتى يصادف من الحرص ترى طيبا ، ومن التوفيق مطرا صيبا ، ومن الطبع جوا صافيا ، ومن الجهد روحا داما ، ومن الصبر سقيا نافعا .
والعلم نفيس لا يباع إلا بمن زاد ، وصيد لا يalf إلا بالأوغاد ، وثيء لا يدرك إلا بتزعج الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض لا يصاب إلا باقتراض المدد ، واستناد الحجر ، ورد الضمير ، وركوب الخطر ، وأدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وأعمال الفكر ، ثم هو معتاض على من زكا زرعه ، وخلا ذرعه ، وكرم أصله

(١) الأزلام : قديح الميسر أرى القمار واحدها زلم وهي أيضا قديح كانوا يكتبون عليها أمرا ونهيا ويستطلقونها عند الشروع في أمر . (٢) المطر الصيب : الشديد الانصباب . (٣) الروح : نسيم الأربع وتحركها . (٤) الأوغاد : جمع وفد وهو الأحق الضعيف . (٥) الروح هنا : جيزيل عليه السلام . (٦) اعتاض الأمر طيه : اشتد وعصره . (٧) يقال : ضاق ذرعه بكذا : أي ضعف ولم يستطع . وخلا ذرعه لكذا : تفرغ له .

وفرعه، ووعى بصره وسمعته، وصفاً ذهنه وطبعه، فكيف يناله من أنفق شبابه على
 الأحشاء^(١)، وقطع خلوته بالفناء، وأفرغ جده في الكيس، وهزله في الكاس . والعلم
 ثمر لا يصلح إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في النفس، وصيد لا يقع إلا في البذر،
 ولا ينشأ إلا في الصدر، وطائر لا يخدمه إلا قفص اللفظ، ولا يعاقبه^(٢) إلا شرك
 الحفظ، وبحر لا يخوضه إلا الملاح، ولا تطيقه إلا ألواح، ولا تهيجه إلا رياح، وجبل
 لا ينسجم إلا بخطا الفكر، وسما لا يصعد إلا بمعراج الفهم، ونجم لا يلمس إلا بيد
 الحسد .

وصف القلم

قال أبو تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

ملك القلم الأعلى الذي شَبَّاهُ ^(٤)	تصاب من الأمر الكلي والمفاصل
لصاب الأناعي القائلات لُبابه	وأرى الحق ^(٥) اشتارته أيد عواسل ^(٦)
له ريقه طَلٌّ ولكن وقعها	بآثاره في الشرق والغرب وأبل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب	وأعجم أن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتلأ الخمس اللطاف وأفرغت	عليه شَعَاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت	لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزى الدهن الجلي وأقبلت	أطاليه في القرواس وهي أسافل
وقد رعدته الخنصران ^(٧) وسدوت	ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ^(٨)	ضني وممينا خطبه وهو ناعل

(١) يقول : أفاق شبابه على الأكل والشرب . (٢) يعاقبه : يضاده . (٣) تسم
 الجبل : ملاه . (٤) الشاة : الحسد . (٥) الأرى : صل النحل . (٦) شار
 العسل واشتارته واستشاره : استخرجه . (٧) الخنصران : الخنصر والبصر وهذا تغليب كالمقرين
 للشمس والقمر . (٨) المرهف : المرقق .

وصف المطر

قال عمر بن على^(١) المطوحي : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد .
(أدام الله عزه) أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه (تدعى ثجاب) على
سبيل التنزه والتفرج فكانت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه . واتفق أنا ووصلنا^(٢)
والسماء مُمَصِّحِيَّةً والجو صاف لم يطأوز ثوبه بلم الغمام والأفق فيروز لم يعقب به كافور .
السحاب فوق الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع مُنْسَقَةِ الأوراق والغصون قد
سُتِرت ما حوالها من الأرض فترلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها مستترين من وُجَّحِ^(٣)
الشمس بِسِتَارَةِ أَغْصَانِهَا وَأَخَذْنَا تَجَاذِبَ أَذْيَالِ الْمَذَاكِرَةِ وَنَسَالِبَ أَهْدَابِ الْمُنَاشِدَةِ .
والمحاوره فما شِعْرُنَا بِالسَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَظْلَمَتْ بَعْدَ مَا أَشْرَقَتْ ، ثُمَّ
جَادَتْ بِمَطَرٍ كَأَفْوَاهِ الْقُرْبِ فَأَجَادَتْ ، وَحَكَّتْ أَنْامِلَ الْأَجْوَادِ وَمَدَامَعَ الْمُشَاقِّ بِلِ
أَوْفَتْ دَلِيلَهَا وَزَادَتْ ، حَتَّى كَادَ غَيْشُهَا يَعُودُ عَيْنًا وَمَمَّ وَبَلَّهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَلَا فَصْبَهَا .
على أَدَاهَا وَقَلْنَا (مَحَابَهُ صَيْفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ) فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرْتَنَا بَرْدًا كَالْغُفُورِ

(١) من أدباء المشرق في القرن الرابع خلد الأمير أبا الفضل الميكل الذي هو عبيد الله بن أحمد ومن

شعر المطوحي :

لا تعرضن على الزواة لصيدة * ما لم تكن بالفتى في تلهيها

(٢) بجوين : كورة بخراسان . (٣) التنزه : التباعد وأرض نزهة وزينة : بعيدة عن الزحف حيث
لا يكون ماء ولا جمع ناس . وقد منع صاحب القاموس واللسان استعمال التنزه في الخروج إلى البساتين والخضر
والرياض ولكن الجوهرى يقول : وخرجنا تنزه في الرياض وأصله من البعد . فهو يبيح هذا الاستعمال على
سبيل التجوز . وقوله تقول . (٤) التفرج : ذهاب النعم ، واستعماله في نفاذ الأشياء ترويحاً للنفس .
لا يعرف عن العرب غير أن له وجهاً من المجاز . (٥) الفيروز : حجر أجوده الأزرق الصافي اللون .
ومن خواصه أنه يصفر بصفاء الحق ويكدر بكدره وزعم صاحب اللسان أنه صبغ . (٦) الباسق :
الطويل . (٧) المتسق : المنتظم . (٨) سماوة كل شيء : شخصه . (٩) الغيث ::
الافساد .

لكنها من تغور العذاب لا من تغور العذاب . فأيقناً بالبلاء وسامناً لأسباب القضاء
فما صرت إلا ساعة من النهار، حتى سمعنا تحرير الأنهار، ورأينا السيل قد بلغ الزبي،^(١)
والماء قد غمر القيعان والأرباب، فبادرنا إلى حصن القرية لئلا نذيق من السيل بأفنتها،^(٢)
وباطنين من القطر بأبنيتها، وأثوابنا قد صئبلت كالفورينا ماء الوابل، وغلف طرازينا^(٣)
طين الوحل. ونحن نحمد الله على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بياض الأحكام والأردان،
ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح، شكر التاجر على بقية رأس المال إذا فجع.
بالأرباب . فبئنا تلك الليلة في سماء تكيف ولا تكف^(٤) وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع
هوام وأربعة^(٥) سحاج^(٦) .

فلما سئل سيف الصبح من غمد الظلام، وصرف بوالى الصبحو عامل النعام،
رأينا صواب الرأي أن توسع الإقامة بها رقبنا، وننخذ الارتحال عنها قرضنا، فما زلنا
نطوى الصحارى أرضاً فأرضاً، إلى أن وافينا المستقر ركضنا . ولما نقضنا غبار
ذلك المسير، الذى جمعنا في ربة الأسير، وأفضينا إلى ساحة التيسير، بعد ما أصبنا
بالأمر العسير، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة، في قطع ذلك الطريق
وطى تلك الشقة^(٧)، أخذ الأمير السيد (أطال الله بقاءه) القلم فعلق هذه الأبيات
ارتجالاً :

- (١) الزبي : جمع زبية، وهى الزابية لا يملؤها ماء وحفرة تحفر للأسد ليصطاد .
(٢) الربا : جمع روبة، وهى ما ارتفع من الأرض . (٣) الصئبل : غشيب أحمر
طيب الريح . (٤) الكافورى : المنسوب إلى الكافور ليأخذه . (٥) الطراز : ضرب
من الثياب السلطانية . (٦) وكف الدمع والماء : سال . (٧) هى الدمع : سال .
(٨) أى مدام أربعة جرت من نواحي العينين . قال فى اللسان : وفى بعض الحديث لحامت عيناه
بأربعة أى بدموع جرت من نواحي عينيه الأربعة أهـ . ويصح الدمع سحاجاً : سال فسحاج مصدر وصف به .
(٩) الربى : حبل فيه عدة حرى يشد به الدواب، كل حرة ربة . (١٠) الشقة : الناحية
يقصدها المسافر والسفر البعيد .

دهتنا السماءَ غداةَ السحابِ بنيت على أفقه ^(١) مُسبلٍ
 بغاءٍ برعدٍ له رنةٌ كبريةٌ تكلى ولم تُشكَلِ ^(٢)
 وثنى بويلٍ عداً طوره فعاد وبالأعلى المَحَلِ
 وأشرف أصحابنا من أذاه على خطر هائلٍ مُعْضَلِ
 فمن لاثذٍ رِفْءِ الجدارِ وآوِ الى نَفَقِ مُهْمَلِ
 ومن مستجيرٍ نادى: الغريقَ هناك، ومن صارخٍ مُعْوِلِ
 وجادت علينا سماءُ السقوفِ بدمعٍ من الوجدِ لم يَمُحِلِ
 كأن حراماً لها أن ترى يَبْيساً من الأرضِ لم يُنَلِ
 وأقبل سيلٌ له رَوْحَةٌ فأدبر كلٌّ عن المَقْبَلِ
 يُقْلَعُ ما شاء من دَوْحَةٍ وما يَلْقُ من محضرةٍ يَحْمِلِ
 فمن داصرٍ رده ظامراً ومن معلمٍ عادٍ كالمَجْهِلِ
 فكفانا بليته ربنا نقد وجب الشكرَ للفضْلِ
 فقل للسماءِ: أرعدى وأبرقِ فانا رجعتنا الى المَزلِ

وصف الشمس

قال رجل من بني الحارث بن كعب يصف الشمس منذ طلوعها الى غروبها :
 غبابةٌ : أما اذا الليلُ جَنَّها فتخفى وأما بالنهار فتظهر
 اذا انشق عنها ساطعُ الفجرِ والمجلِ دُجى الليلِ والنجابِ الجبابِ المَسْتَرِ
 والشمسُ حُرْضُ الأرضِ لو انا كانه على الأنقِ الشرقِ ثوبٌ مُعْصَرِ ^(٣)

(١) أسبلت السماء : أظلمت . (٢) التكل : من قدت ولدها . يقول كزبة امرأة

قدت ولدها ولم يكن لها عهد بالتكل . (٣) المرض : الناحية . والمعصر : المصوغ بالعصر . وهو نبت أصفر .

تجلت وفيها (حين يبدو شعاعها) • ولم تقل (للعين البصيرة منظر
عليها كدروع الزعفران ^(١) يشبه شعاع تلالا فهو أبيض أصفرد
فلما صلت وأبيض منها اصفرارها • وجالت كما جال المهيج المشهور ^(٢)
وجالت الآفاق ضوئا ينيرها • فخر لها صدر الضحى يتسعر ^(٣)
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة • تراه إذا زالت عن الأرض ينشر
كما بدأت إذ أشرقت في منيها • تعود كما عاد الكثير المعسر
وقد شف ^(٤) حتى ما يكاد شعاعها • يسين إذا ولت لمن يتبصر
فأفنت قرونا وهي تلك ، ولم تزل • تموت ونحيا كل يوم وتُنشر

وصف مرآة

قال أبو الفتح كشاجم يصف مرآة أهداها :
أخت شمس الضحى في الحسن والاشراق غير الإغشاء للاجفان
ذات طوق مشرف من بلجين • أبريت فيه صفرة العيان ^(٥)
فهو كالحالة المحيطة بالبد • رست مضين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس ظهو • يترآة تعدو على غزلان
عدلت عكسها الشعاع فبدا • إليها ورجعه نبيان
وهي شمس وإن مثالك يوما • لاح فيها فانها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر • ض ففها تقابل التيران
فالقها منك بالذي ما رآه • خائف فأنثى بغير أمان

(١) شبه : حسه وأظهر بهاءه . (٢) المهيج : اسم مفعول حاجه أى آثاره . والمشهور : المشهور
والموصوف محذوف أى الفرس . (٣) تسعر : اتقد . (٤) شف : رق .
(٥) المشرف : ما جعل له شقة ، والبلجين : الفضة ، والعيان : الذهب الخالص .

وقال ابن المعتز وقد ذكر المرأة :

فَيَبِينَنِي لِي كُلَّمَا رَمَتْ نَظْرَةً
يَقَابِلُنِي مِنْكَ الَّذِي لَا عَدِيْمَتَهُ
وَنَاصِحَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ صَدِيقٍ
بَلْجَةُ مَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ غَرِيْقٍ

وصف روضة

قال صفي الدين بن صالح يصف روضة صنعاء :

روضة قد صبا لها الصُّغْدُ شَوْقًا
جوها تَجَسَّجُ وفيها نَسِيمٌ
صح سكانها جميعا من الدَّاءِ
إِيَّاهُ يَا مَاءَ نَهْرِهَا الْعَذْبَ صَبَّاحِلُ
إِيَّاهُ يَا وَرْقَهَا الْمُرِنَةَ غَنَّى
روض صنعاء نُفَّتْ طَبْعًا وَوَصْفًا
تَهْ عَلَى الشَّعْبِ شِعْبَ بَوَّانٍ وَانْخَرَّ
نَهْرٌ دَافِقٌ، وَجَوْ قَتِيْقٌ،
وَتَمَارٍ قَطَافُهَا دَانِيَاتُ
لَسْتُ أُنْسَى ائْتِمَاعَ شُجُورِ رُغْصَنِ
وَمَلَى رَأْسَ دَوْجَةٍ خَاطِبُ الْوُزْ
وَلِسَانُ الرُّعُودِ يَتَرَفُّ بِالسُّحُ
(١) قد صبا لها الصُّغْدُ شَوْقًا
(٢) جوها تَجَسَّجُ وفيها نَسِيمٌ
(٣) صح سكانها جميعا من الدَّاءِ
(٤) إِيَّاهُ يَا مَاءَ نَهْرِهَا الْعَذْبَ صَبَّاحِلُ
(٥) إِيَّاهُ يَا وَرْقَهَا الْمُرِنَةَ غَنَّى
(٦) روض صنعاء نُفَّتْ طَبْعًا وَوَصْفًا
(٧) تَهْ عَلَى الشَّعْبِ شِعْبَ بَوَّانٍ وَانْخَرَّ
(٨) نَهْرٌ دَافِقٌ، وَجَوْ قَتِيْقٌ،
(٩) وَتَمَارٍ قَطَافُهَا دَانِيَاتُ
(١٠) لَسْتُ أُنْسَى ائْتِمَاعَ شُجُورِ رُغْصَنِ
(١١) وَمَلَى رَأْسَ دَوْجَةٍ خَاطِبُ الْوُزْ
(١٢) وَلِسَانُ الرُّعُودِ يَتَرَفُّ بِالسُّحُ

(١) الصُّغْدُ : موضع بسرقت معدود من جنان الدنيا . (٢) السجج : الذي لا حرفه ولا قر
(٣) إيه : كلمة استزادة . وصاحل وصل : صوت . (٤) دن وأرن : صاح ، والهدبل صوت الجمل
(٥) شعب بوان : موضع بفارس معدود من جنان الدنيا . (٦) القتيق : المشرق . (٧) يهف :
يصيح ، والقبيل هنا صوت من أصوات الغناء العربي .

(١) وفم السحب باسم عن بروق مستطير شُعاعها مستطيل
 (٢) وزهور الرأ تعجب من ذأ شاخصا طرفها المليح الجميل
 فيه لى رُقبة رفاق الحواشي كاد لى الطباع منهم يسيل
 تهادى من العلوم كؤوسا طبيبات مزاجها زنجبيل
 (٣) طاب لى رادها وطاب ضحاها كيف أسحارها وكيف الأصيل

وصف العصا

لى الخجاج أعرابيا فقال : من أين أقبلت؟ قال من البادية . قال : ما بيلك؟
 قال عصا أركها لصلاتي وأعدها لعداتي وأسوق بها دابتي وأقوى بها على سفري
 وأعتمد عليها فى مشي ليوسع بها خطوى وأعبر بها النهر فتؤمئني وألتي عليها كسائي
 فيسترنى من الحر ويقينى من القُر وتُدني ما بعد منى . وهى تحمل سُفرتى وعلاقة
 إداوتى ومشجب ثيابى . أعتمد بها عند الضراب ، وأفرع بها الأبواب ، وأتقى بها
 عقور الكلاب . تتوب عن الرُخ فى الطعام ، وعن الحرْبَة عند مازلة الأقران ، ورتما عن
 أبى وأورثها بعدى ابنى وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى كثيرة لآنحصى .

وصف سيف

قال البحرى يصف سيفا :

يتناول الرُوح البعيد منالهُ عَفُوا وَيَفْتَحُ فى القضاء المُقفل
 يشنى الوعى فالترس ليس يحته من حده والدرع ليس بمعقل

- (١) المستطير : الساطع المنتشر . (٢) الزهور : جمع زهر وهو لم يسمع . (٣) الراد :
- ارتجاع الضعا ، والأصيل : ما قبل الغروب . (٤) ركو الرخ : غرزه فى الأرض . يريد يفرزها لتكون
- حائلا بينه وبين المارة وذلك من آداب الصلاة . (٥) الاداوة : اناة صغيرة من جلد ينفذ لاء .
- (٦) المشجب والشجاب : ما تعلق طيه الثياب . (٧) هش الشجر : خبطة ليسافط ورقة قرماه
- الدواب . (٨) حده : منه . والمبقل : الملجأ والحصن .

ماض وان لم تُمَضِّه يد فارس بَطِّل ومبقول وان لم يُصَقِّل
مُضَغ الى حَكِّ الرَّدَى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يَعُدِّل
متوقِّدٌ يَبْرِي بأول ضربة ما أدركت ولو أنها في يَدْبَلِ^(١)
فاذا أصاب فكل شئ مَقْتَلٌ واذا أصيب فإله من مَقْتَل
حملت حمائله القديمة بقله^(٢) من عهد عاد غضة لم تَذْبَلِ^(٣)

وصف فرس

قال محمد بن الحسين يصف فرسا :

هو حسن القميص، جيد القُصُوص^(٣)، وثيق القَصَب^(٤)، نقي العصب، يُبْصِر^(٥)
بأذنيه^(٦)، ويتَّبِقُ بِيديه، ويداخل برجليه، كأنه موجٌّ في لُجَّةِ أوسيل في حُدُور^(٧).
يُنَاهِبُ المَشْيَ قبل أن يبعث، ويلحق الأرانب في الصُّعُوداء^(٨)، ويمجاوز جوارى الظباء
في الامتواء، ويسبق في الحُدُور جرى الماء. إن عَطِفَ جاره، وإن أرسل طاره،
وإن كَلَّفَ السير أمن وسار، وإن حُسِّسَ صَفْن^(٩)، وإن استوقف قَطَن^(١٠)، وإن رُمِيَ^(١١)
أَبْن^(١٢)، فهو كما قال تَابُطُ شرا :

ويسبق وفد الريح من حيث تَتَحَيَّ يُمْنَخَرِقُ من شَدَّةِ المِتْدَارِكِ^(١١)

- (١) يرى هنا : يقطع ويذبل جبل . (٢) يقول : إن ضله لبريقه وصفائه يرى أخضر
كأنه البقلة النضة . (٣) فيص الفرس : اهابه . (٤) القص : ملحق كل عظيمين .
(٥) القصب : العظام ذات المنح واحدة قصة . (٦) تبوع الفرس : أبعد الخطو في جريه .
(٧) الحُدُور والحُدُور والأحدور : المنحدر . (٨) الصُّعُوداء : العقبة الشاقة .
(٩) صفن الفرس يكلس : قام على ثلاث قوائم وعازف صافر الرابطة .
(١٠) ابن : ترقب . (١١) منخرق الرياح : مهاجم والميتدراك : المتابع .

ووصف اعرابي فرسا فقال : لما أرسلت الخليل جاءوا بشيطان في أشتان ،
فأرسلوه فلعن لعن البرق ، واستهلّ استهلّ الودق^(١) ، فكان أقربهم إليه ، الذي تقع
عينه من بعد عليه .

ووصف ابن القرية فرسا أهدها الجمحاج الى عبد الملك بن مروان فقال : حسن
القد ، أسيل اتخذ^(٢) ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف .

ووصف اعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيل من مستطير تقع^(٣)
كأن هودبها أعلام ، وأذانها أقلام ، وفرساتها أسود آجام :

وصف الفرس والسيف

قال البارودي يصف الفرس والسيف :

وقد أسير أمام القوم ضاحية	والجو بالبارات البيض مشعل
بكل أشقر قد زانت قوائمه	مجموله ذير يمني زانها العطل
كأنه خاض نهر الصبح فأنبذت	يمناه وانبت في أعطافه الطفل ^(٥)
رزق حوافره ، سود نواظره ،	خضر جحافله ، في خلقه ميسل ^(٦)
كأن في حلقه ناقوس راهبة	بات تحركه أوراقد زججل ^(٧)
يمر بالوحش صرعى في مكائنها	فما تين له شدا فتخزل ^(٨)

- (١) الودق : المطر استهل : اشتد انصبابه . (٢) اسمه أيوب وهو محدود من
الفصحاء البلاء وله أخبار كثيرة مع الجمحاج كله الجمحاج سنة ٨٤ هـ . (٣) الأسيل : الأملس
المسوى . (٤) الهوادي : جمع هاد وهو مقدم الفرس أو دونه .
(٥) الطفل : احمرار الشمس عند الغروب . (٦) الجفلة من ذوات الحافر : بمنزلة الشفة
والجفلة أيضا : رقتان في ذراعي الفرس . (٧) الزجل : رفع الصوت أو نظريه . وفي البيت
ضرورة لا يستقيم معها الكلام الا اذا جعل رائد خبرا لكأن محذوفة أى أو كان صوته راعد .
(٨) انخزل : انقطع أو ثقل مشيه أو انفرط .

يرى الإشارة في وَحْيٍ قَفَّهَمَهَا	ويسمع الزجر من بُعد فيمثل
إِنَّ مَرَّةً بِالْقَوْمِ حَلَّوْا عَقْدَ حُبُوتِهِمْ	واستشرفت نحوه الأبواب والمُقل ^(١)
تَقْصُودُهُ بَنَتْ نَحْمِيسَ فَهُوَ يَتَّبِعُهَا	ويستشيط إذا هَاهُا به الرجل
أَمْضَى بِهِ الْهَوَلُ مِقْدَامًا وَيَصْغِيحُنِي	ماضِي الْفِرَارُ إِذَا مَا اسْتَفْعَلَ الْوَهْلُ ^(٢)
يُمِرُّ بِالْهَامِ مَرَّةَ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ	وَقْتَ الضَّرَابِ وَلَمْ يَتَّعَلَّقْ بِهِ بَلَلٌ
تَرَى الرِّجَالَ وَقُوفًا بَعْدَ فَتَكَتِهِ	بِهِمْ، يَنْقُتُونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُتِلُوا
كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ	تَهْفُؤُهَا الرِّيحُ أحيانًا وَتَعْتَدِلُ
لَوْلَا الدَّهَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهْلًا	لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّأْلَاءِ يَشْتَعِلُ
يَقْلُ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبْضَتُهُ	كُلَّ الْحَدِيدِ وَلَمْ يَثَارْ بِهِ قَلْلُ

وصف أسطول

قال علي بن محمد الأيادي يصف أسطول الفاطمي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ
فأجاد ما أراد :

أَعْجَبَ بِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ	وبجسده وزمانه المُستَغْرَبِ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ	يبدو لعين الناظر المستعجب
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ	إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ ^(٤)
دَهْمَاءٌ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابُ تَصْنَعُ	تَسْبِيحِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبُ ^(٥)
مِنْ كُلِّ أَيْبُضٍ فِي الْهَوَاءِ مَلْشَرٍ	مِنْهَا وَأَتَمَّحُمُ فِي الْخَلِيجِ مُغِيبُ

(١) الحيوه : جلسة خاصة وهي أن يجتمع الجالس بين ظهره وساقيه جماعة أرغوها .

(٢) هَاهُا به : زجره . (٣) الفرار : حد السيف ونحوه . والوهل : الفزع . (٤) الاجدل :

الصقريجه أجادل . والمتنصب : المتنصب . (٥) يشير الى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس

الرهبان والى لون أشرعتها الذي هو البياض .

(١)	في البحر أنفاس الرياح الشَّدْب	تُجَلَّاة في البر يقطع مسيرها
(٢)	في الجانين دُورَيْنَ صُلْبٍ صُلْبٍ	مُجفوفة بمخازف مصفوفة
(٣)	من كاسيات ريشه المتشَدَّب	كقوادم النسر المُرفرف عُرِّيت
(٤)	بمَصْعَدٍ منه بُعِيدٌ مَصُوبٌ	وَتَحْتُمُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
(٥)	في كلِّ أَوْبٍ للرياح وَمَذْهَبٌ	خِرْقَاءُ تَذْهَبُ أَنْ يَدُ لَمْ تَهْدِهَا
	يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكَبٍ	جَوْفَاءَ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
(٦)	طَوَعَ الرِّيحَ وَرَاحَةَ الْمُتَطَرَّبِ	وَلَهَا جَنَاحٌ يَسْتَعَارُ يُطِيرُهَا
(٧)	في كُلِّ لَحْزَةٍ زَائِرٌ مُقْلَوْبٌ	يَعْلُوبُهَا حَذْبُ الْعُبَابِ مَطَارَةٌ
(٨)	عَرِيَانٌ مَنْسُوجٌ الذَّلْزَالَةُ شَوْذِبٌ	تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي الْمَوَاءِ مَتَوِّجٌ
(٩)	لَوْ رَامَ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبْ	يَتَرَكَّبُ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُبَابَةٌ
	لِلسَّمْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبْ	فَكَأَنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةً مَقْعَدٌ
	رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْيَفِ مَرْكَبٍ	وَكَأَنَّمَا جَرَتْ ابْنُ دَاوُدَ هُجْمٌ
(١٠)	مِنْهَا بِالسِّنِّ مَارِجٌ مَتَلَهَبٌ	تَجَجَّرُوا جَوَاحِمُ نَارِهَا تَقْقَازُقُوا
(١١)	مِنْ مَحْجَنَةٍ انْصَلَّتْ انْصِلَاتِ الْكُوكَبِ	مِنْ كُلِّ مَسْجُورٍ الْحَرِيقُ إِذَا انْزَبَى
	صَبِغَ يَكْرُ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ	عَرِيَانٌ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ

(١) الشَّدْب : جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أي الرياح التي تقذف ماعلى وجه الأرض وهذا تخاية عن الشدة . (٢) العلب : سكرت بالغة في العذاب . (٣) الرياش : القياس القاصر والمراد هنا ريش الطائر المتهدب : ذوالاهذاب ونسر أهدب : أي سايف الريش . (٤) صعد الشيء : رفعه وصوبه : خفضه . (٥) الأرب : الجهة والطريق . (٦) المتطرب : الحادى الذى يتنقى في سوق الأبل والمراد هنا الرهان . (٧) حذب الماء : تراكمه في جريه والمخلوب : الكثير ، يقال : اغلوب القوم إذا كثروا . (٨) الشوذب : الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهى العود الطويل الذى يشبك فيه القلع . (٩) ذبابة السيف : طرف حده والمراد طرف القرية . (١٠) مجر : ملا حبالحم : البحر الشديد الاشغال . (١١) انصلت : مضى وسبق .

ولو احق مثل الأهلة جُنَح	لَحَى ^(١) المطالب فائتات المهْرَب
يَذْهَبُ فيما ينهن لطافة	ويجئن فعل الطائر المتغَلَّب
كنضاض الحيات رحن لواعبا	حتى يقعن برك ماء الميزِب ^(٢)
شرجوا جوانبها مجادف أثعبت	شادى الرياح لها ولها لتعب ^(٣)
تنصاع من كَثَب كما نفر القطا	طورا وتجتمع اجتماع الرب
والبحر يجمع بينها فكأته	ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خِلافة	تخال في عدد السلاح المُرْهَب
فكانما البحر استعار يزيم	ثوب الجمال من الربيع المُنْهَب

وصف القطار الحديدى

قال حافظ بك ابراهيم يصف القطار الحديدى من قصيدة :

صفحة البرق أومضت فى الغمام	أم شهاب يشق جوف الظلام ^(٤)
أم سيل البخار طار الى القص	مد فأحيا سوايق الأوهام ^(٥)
مر كالبحر لم تكدر تقف العي	من على ظل جرمة المتراعى ^(٦)
أو كشرخ الشباب لم يدرك كاسيه	ه تولى فى يقظة أو منام ^(٧)
لا يزال السرى اذا احتكر الليل	ل وخانت مواقع الأقدام ^(٨)
يقطع اليد والقيافى وحيدا	لم تضمضه وحشة الإنظام

- (١) الحق : جمع لاحق ، تقدم : جمع خادم . (٢) شرح العيبة : أدخل بعض مراها فى بعض .
والمراد هنا شبكوا فى جوانبها المجاذيف . والشادى : السائق . (٣) انصاع القوم : ذهبوا سراعا .
أو اقتتلوا راجعين . والربرب : القطيع من بهر الوحش . (٤) السيل : الولد . (٥) المتراعى :
المتابع . (٦) شرخ الشباب : أوله . (٧) السرى : سيرة الليل واحتكر الليل : اشتد سواده .
(٨) اليد : جمع يدا . وهى الصحراء . والقيافى : جمع قفاه وهى المفازة لأماء فيها .

ليس يثنيه ما يذيب دماغ الضِّبِّ سب يوم الحجير بين الموامي^(١)
 لا ولا يستره ما يحرس النِّبَّ يح في الزمهرير بين الخيام
 هائمًا كالظلم^(٢) أزججه الصب مد وراعته طائشات السهام
 فهو يتبدد في النجاء ويهوى حيث ترمي بحائيه المرامي^(٣)
 يا حديدًا ينساب فوق حديد كأنسياب الرقطاء فوق الرغام^(٤)
 قد مسحت البلاد شرقًا وغربًا بذراعي مشمر مقدم

وصف قناة السويس

مقالة لحامل لواء البيان في هذا الزمان، البالغ في شوقه البلاغة ذروة الإحسان،
 «أحمد بك شوق» صاغها مخاطباً أبنيه حينما عبر قناة السويس ميمًا الأندلس، وقد
 نفته الأحكام العرفية، لبأن الحرب العالمية، ووصف فيها القناة والبرية التي تسقى
 وصفًا تاريخيًا جامعًا، استوصى فيه ما لا بأس هذه البرية من الحوادث الحسام،
 وحشده من جازها من الرسل الكرام، ومن اخترقها من الفاتحين العظام، ووشاه
 بالعظاات الرائعة، وطززه بالحكم الجامعة، وبمنمه بالتشاييه البارعة، حتى جاء في سابع
 تصويره، وبالغ تعبيره، كسبيبة الخيالة^(٦) : تؤاف بين الشتات، وكضوء الغزالة^(٧) :
 سواء فيه الحاضر والقات .

(١) الموامي : جمع مومة وهي القفلة . والضب : حيوان من أخص صفاته احتمال الحزن الشديد .

(٢) الظلم : ذكر النعام . (٣) النجاء : السرة .

(٤) الرقطاء : الحية . والزمام : التراب . (٥) نمن الشيء : زخرفه ورقشه .

(٦) الخيالة والخيال : ما تشبه لك في البقطة أو الحلم من صورة ، وقد اخترت للدلالة على معرض

الصور المتحركة . والسبيبة : شقة من النسج رقيقة ضيقة طويلة ، وقد اخترتها للدلالة على ما قطع عليه

الصور المتحركة (الفلم) ورغبت من كلمة شريط لأن معناها القنوى لا يمت الى المعنى الجديد .

(٧) الغزالة : الشمس .

قال : تلك يا ابني القناة ، لقومكما فيها حياة ، ذكّرني اسماعيل ورياه ، وعليها
مقارح دنياه . دولة الشرق المُرَجاة ، وسلطانها الواسع الحياه . طريق التجارة ، والوسيلة
والمنازلة ، ومَشْرِع الحَضارة . تعبّرنا اليوم على مُزِيْجَة ، كأنها فُلُك النجاة . نخرجت
بنا بين طوفان الحوادث ، وطفيان الكوارث ، تفارق برّا مُغتصبه مُضِرّ الغضبة ،
قد أخذ الأهبة ، واستجمع كالأسد للوثبة ، وتلاقى بمحارِب جواريه ، ونزت
بالشر نوازيه ، وتمثلت بكل سبيل عواديهِ . مملوءة بِبَغْتاتِ الماء ، مترع بِفُجاءاتِ
السما : من نونٍ يَسف الدوارع ، أو طير يقذف اليّض مَصَارِع . فقلت : سيري ؛
عَوْدُكَ بوديسة التابوت ، وبصاحب الحوت ، وبالحي الذي لا يموت . وأسري
يا ابنة اليم ، زمامك الروح ، وربّانك نوح ، فكّم عليك من منكوب ومجروح .
إِنَّ لَلنّوى لَرَوْعَة ، وَإِنَّ لَلنّاي لَلْوَعَة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبّر هذا
الماء ، حين الشر مضطرب ، والباس مُحْتَدِم ، والعدو مُتَمَقِّم ، والخصم مُحْتَكِم ، وحين
الشامتُ جدلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ... (١٢)

ماذا تهمسان ؟ كافي أسمعكما تقولان : أيّ شيء بدا له ، على هذه الضاحية ؟ (١٣)
وماذا شجا خياله ، من هذه الناحية ؟ وأيّ حسن أو طيب ، للملح يتصهّب في كُثيب ؟

الربا : الرائحة الطيبة . (٢) المورّد . (٣) زجاء وأزجاء : ساقه وسيره .
(٤) مضر : جذم ضم من أجدام العرب المستعربة . وهذا التعبير مأخوذ من قول بشار :
إذا ما خضبتنا غضبة مضرية هتكا حجاب الشمس أو تقطر الدما

(٥) الزر : الوشب . والنازية : حدة الرجل الوثاب الى الشر . وجمها : نواز .
(٦) النون : الحوت والمراد النساء . (٧) يريد بالطير الطيارات ، وباليّض ما يليق منها من
سهلكات القذائف . (٨) هو موسى كليم الله . (٩) هو نبي الله يونس . (١٠) جبريل .
(١١) الريان : رئيس الملاحين . وجمه ربايين . (١٢) انسجم الدمع : سال . (١٣) الضاحية :
البادية وكل أرض بارزة للشمس .

ماء عكر، في رمل كدير . قناة حمة^(١)، كأنها قناة صَدئة^(٢)، بل كأنها وعبرها رمال، بعضها متماسك وبعضها مُنهال. وكان راكب البحر مُصِحِر^(٣) وكان صاحب البر مُبِحِر.

رؤيتكما، ليس الجلب بزينة جلده، وليس السيف بحلية غمده. تلك التناثف^(٤) من تاريخكم صحائف . وهذه القفار، كتب منه وأسفار . وهذا الجاز هو حقيقة السيادة، ووثيقة الشقاء أو السعادة . خيط الرقة، من اغتصبه، اختص بالغبلة، ووقف للأعقاب عقبة . ولو سكنت لنطقت العبر، وأين العيان وأين الخبر!

انظرا تريا على العبرين صرة الأيام، حصون وخيام، وجنود قعود وقيام. جيش غيرنا فُرساؤه وقُواده، ونحن بُعرائه وطينا أزواده. ديك على غير حذاره، خلا له الحق فصاح، وكلب في غير داره : انفرد وراء الدار بالنياح .

القناة وما أدراك ما القناة ؟ حظ البلاد الأغبر، من التقاء الأبيض والأحمر . بيد أنها أحلام الأول، وأمانى الممالك والدول : الفراغة حاولوها، والبطالسة زاولوها، والقياصرة تناولوها، والعرب لأمر ما تجاهلوها؛ الى أن جرى القدر لغايته، وأق اسماعيل بآيته، فافتتح البرزخ بعنائه، والتقى البحرين تحت رايته؛ في جمع من التيجان لم يشهدهم كليله^(٥). قد كان يتوَج لو شهده جيوشه وأساطيله . وما لإسماعيل إلا قيصر، لو أنه وُقِّق، والإسكندر، لو لم يُخَفَّق . ترك لكم عن الغد، وكثر الأبد، والمنتهى الأحمد، والوقف الذي أن فات الوالد فلن يفوت الولد .

(١) الحمة : التي فيها الحماة أى العليين الأسود المتن . (٢) عبر النهر : شاطئه . (٣) أحمر : سارق الصمراء . (٤) التناثف : جمع تنوة وهى المفازة . (٥) البهران : جمع بعر كالأهيرة . (٦) الأزواد والأزودة : جمع زاد وهو الطعام . (٧) زاول الشيء : حاوله . (٨) يروي : أن هارون الرشيد فكر في أن يصلب البحرين بقناة وأنه استشار يحيى بن خالد البرمكي في ذلك فقال له : يا أمير المؤمنين « إن حرق السويس حرق في الاسلام » فعدل عن رأيه . (٩) الاحكيل : التاج .

ماذا على الرمال ، من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعاً القهقري بالخيال ، إلى العصر
الخال ، واجر ضا في حداتها الأجيال ، تريا على هذا المكان وجوها تمتل ، وركابا تنتقل ،
وتريا النبوة تهل ، والآيات تستل ، وتريا الملك يترجل ، حتى كأنكما بالزمان الأول .
فها هنا وضع للنبوة المهدي ، وابتدأ بها العهد ، فاقبل صاحب المقام ، ^(١) وعظم الأصنام ،
جنياء البيت الجرام ، خليل ذي الجلال والإكرام . هاجر إلى مصر أكرم من هاجر ،
ثم انقلب منها بأتم العرب هاجر . ^(٢)

ومن هذه التنبآت طلع يوسف يرسف في القيد ، وهو للسيارة صيد ، يسير من
كيد إلى كيد . قلب جرحته الإخوة ، وجنب قزحته النسوة . فيالك « يوسف » من
أسوة ^(٣) عز بعد هون ، ودولة بعد المنزل الدون ، وشعون أقدار وشجون ، وسهول
حياة وحزون ، وبحجوف القصور بعد السجون ، إلى سجون الشمس لك والقمر ،
والكواكب الأثر .
فخرج

وإلى هذا الفضياء خرج موسى حين زال زويله ، وطلبه قتيله ، وزين له الفرار خيله ،
سحوته هذه الرمال . فاذا الأمن سبيله ، وأيمن دليله ، والسلامة زاملته والسلم زميله .
ولو أطلعه الله على غيبه ، لاس النبوة بين يده وجيبه ، إلى أن رفع له المنار ، واكتحل

(١) هو خليل الله إبراهيم . (٢) هي جارية مصرية أهداها فرعون إلى السيدة سارة زوج سيدنا
إبراهيم فوهبها له فاستولدها إسماعيل جد العرب المستعربة . (٣) الأسوة : القدوة وما يتأذى به
الآخرين أي يتعزى . (٤) زال زويله : قزع وحل . (٥) يشير إلى ما كان من أمر موسى
حين وجد قبطيا وإسرائيليا يقتلان فاستنصره الإسرائيل على القبطي فركه وكرة كانت القاضية فلما أصبح وجد
الإسرائيلي نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستنصره فقال له موسى أنك لنوى مين . ثم هم بنصرته على القبطي فظن
أنه يريد به بالأذى فصاح الإسرائيلي يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأس ، فذاع أمره ولم
يلبث أن جاءه رجل وقال له : يا موسى إن الملا يا أمرون بك ليقتلوك فانرج إلى لك من الناصحين . فخرج
إلى بلاد مدين . (٦) الزائلة : ما يحمل عليه من الإبل وغيرها .

بالنور واقتبس من النار، وقيل له: كن بمنى الأحرار الأجبار، وارجع فسَلط الحق على
 فرعون الجبار . فكان عليه السلام أقل من اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على
 المستبد طاغوته ، وخطم المتآله ^(٢) وخطم عظموته ^(٣) ، ماء الحق على لطفه ، ظفر بنار
 الباطل على عنقه ، ظهر العدل على الخيف ، وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الأرض مشيت السماء الطاهرة ، والتيرة الزاهرة ، والآية المتظاهرة ،
 أم الكلمة ، وطريدة الظلّة . سرحوا في عرضها ، فأخرجوها من أرضها ، فضربت
 في طول الأرض وعرضها ؛ يوسف حاديا ، وجبريل هاديا ، والقدس ناديا ،
 والطهارة أرجاء واديا ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة ، وجناح الرحمة ، والإصباح
 من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم ^(٤) ، فنشأ بين الحكيم والعليم ، وترعرع حيث
 ترصرع بالأمس الكليم . فيالك من دار ، لعبت على عرصات الأقدار ، ناويت موسى
 القريب ، وآويت عيسى الغريب . نبوت بالنبي ^(٥) ، وجبوت الأمن عيسى وهو صبي .
 صدرك لا تنضى إليه المطى ^(٦) ، فأنما غضبت لابنك القبطى ^(٧) .

ثم انظروا تريا لإيلا صعبا ، وخيلا عرابا ، وتريا الرعاة انقضوا على الوادى ذئابا ،
 فأخافوا القرى الآمنة ، وأخرجوا من مصر الفراعنة ، واستبدلوا بالملك فيها آونة ؛ وتريا
 الوحوش الضارية والجوارح الكاسرة ، يقودها شر الأكاسرة ^(٨) ، ملأت هذه الفجاج ^(٩) ،
 وكأنها حرجات الساج ^(١٠) ، أو حركات الأمواج ؛ ثم تدفقت تكتسح الديار ، باغية السيف

- (١) الطاغوت: الشيطان وكل رأس ضلال . (٢) خطمه: ثوره أو ضرب الله . (٣) أراد
 بالمتآله المتكبر غير أن معناها القوى المتكسب المتجبد . (٤) يريد السيدة مريم . (٥) الكلمة سيدنا
 عيسى . (٦) الأديم: وجه الأرض . (٧) تاراه وناراه: عدااه . (٨) نبا به المكان: لم
 يوافقه . (٩) أنضى الحية: هنأها . (١٠) العراب من الخيل والابل: العربية . (١١) هم
 العالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر . (١٢) قبيز . (١٣) الفجاج: الطرق الواسعة .
 (١٤) الحرجة: الشجر المنيف . والساج: شجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق عريض جداً .

طاغية النار ، تلك الهياكل والمعاقل ، وتهتك العقائد والمعاقل . وترى الإسكندر
الكريم ، قد لمع كالصارم من هذا الصريم ؛ يحمل الحملات النجائب ، ويفتح بالكتب
والكتائب .

وترى ابن العاص والصحابه ، مبروا من هذه الأجزاء مَرَّ السحابه ؛ يفتحون
الحق ، ويفتكون بالرق ، حتى أخلوا القصور من القياصرة ، وأراحوا مصر الصابرة ،
من صلب الجبابة . وترى صلاح الدين ينفى كالبدر ويدو ، ويروح كالغيث ويقدو .
يُعوث بلا عَدَد ، ومدد إثر مدد ، وذخائر وعدد ، وبُشْرَى كل يوم بفتوح جدد .
وترى نابليون قد ركب طيشه ، وأركب الغرر جيشه . وترى ابراهيم بن علي مشهور
الجواز ، موفور الجهاز ، ملك سُورِيَّة وضبط المجاز . وترى اسماعيل بعث الحاشرين ،
وحشد الحافرين ، وتقرب المسافة لاسافرين . غير وجه السفر ، قيل : بلغ غاية
الظفر ، وقيل : وقع الحافر فيما حفر .
ثم انظروا اليوم ، تريا القنطرة في يد القوم ؛ إن أمِنُوا ركوبها ، وإن خافوا هزوها .

وصف البحر والسفينة

ثم الهلال ثم النجوم ثم منظر أوروبا للقادم عليها ثم القطار الحديدي ثم مدينة
القسطنطينية وخليجها ثم مسجد أياصوفيا ثم متزه البندلر ثم سيدين من سادات
القسطنطينية (السيد توفيق البكري) .

قال : نهضت من القاهرة المعزية ، قاصدا القسطنطينية ، وهي بلدُ الامام ،
ومدينة السلام ، ودار خلافة الاسلام ، فركبت سفينة عَدُولِيَّة ^(٥) الى الثغور الفرنجية

(١) الصريم : الزيل . (٢) الفرد : انظر . (٣) الجراز : السيف البتار . (٤) في القنطرة
تورية بارعة . (٥) العدولية : المنسوبة الى عدول وهي بلدة بالبحرين ، قال طرفة يصف السفينة :
عدولية أو من سفين ابن يامن يجود بها الملاح طورا وجنبا

بجرى بنا الفلك في خضم عجاج^(١)، ملطيم الأمواج، أخضر الجلد، كأنه إفرد. بجر حباب^(٢)،
لا يقطع الخليل بأوتاد وأنساب^(٣)، تصطبغ فيه التينان^(٤)، وتضطرب الدمايص^(٥)
والحيتان^(٦)، وأخذت السفينة تشق اليم^(٧)، شق الجلم^(٨)، في ريج رخاء^(٩)، أوزعزع^(١٠) ونكجاء^(١١).
فهى تارة في طريق معبد^(١٢)، وميث مطكود^(١٣)، وطورا فوق حزن وقردد^(١٤)، وصرح ممرود^(١٥).
فبينما هي تنساب كالحباب^(١٦)، اذا هي تلحق بالرياب^(١٧)، وتلحق كالعقاب^(١٨). فتخسبها تارة
تحت القتام^(١٩)، جبلا تقشع عنه الغمام^(٢٠). وتحالها مرة طائما على شفى^(٢١)، قد غاب الالهامة^(٢٢).
أو كنفها. والبحر آونة كالزجاج الندي^(٢٣) أو السيف الصدي^(٢٤)، يلوح كالصفحة المدحوة^(٢٥).
أو المرأة المجاوة^(٢٦). وحينما يضرب زخاره^(٢٧)، ويموج مواره^(٢٨). فكأنما سبرت الجبال^(٢٩)
مس وكأنما ترى قبايا فوق أفيال^(٣٠)، وكأن قبورا في اليم^(٣١) تحفر^(٣٢)، وألوية عليه^(٣٣) تنشر^(٣٤). وكأن العبد^(٣٥)
يسحقض عن زبد^(٣٦). وكأن الدوى^(٣٧)، من جرجرة الأذى^(٣٨)، زير الأسد^(٣٩)، وهزيم الرعد^(٤٠).
يكتب الخلية ذات القلا^(٤١) ع وقد كاد جئوها ينظم^(٤٢) الممر^(٤٣).

- (١) المبيج: المصوت. (٢) الإفرد: السيف. (٣) العباب: ما تدق من الماء.
(٤) الخليل هو الخليل بن أحمد امام النحو والفقه واستنبط علم العروض الذى به تعرف أوزان الشعر.
العريق. والوند ثلاثة أحرف آخرها ساكن مثل حل أو وسطها ساكن مثل مند والسبب حرفان ثانيهما ساكن
مثل قد أو كلاهما متحرك مثل بم ومن الأسباب والأوتاد تتركب أوزان الشعر. (٥) الاسطغاب:
اختلاط الأصوات. والتينان: جمع فون وهو الحوت. والدمايص: جمع دعووس وهو درية من دواب
الماء. (٦) الجلم: ما تجز به الغم. (٧) الرخاء من الريح: الينة. والزعزع: الشديدة والنكجاء:
التي تحن من غير الجملات الأصلية. (٨) المعبد: المهد والميث: الكين والمطر: المبتد والمخزن:
الأرض الغليظة. والقردد: الأرض المرتفعة والمرد: المجلس. (٩) الحباب: الثبان والرياب:
السحاب. (١٠) القتام: القبار. (١١) شفى كل شئ: حرفه يقول: حل شفى الفرق أو نحو
ذلك لحذف المضاف اليه وأر معنى الواو أى وكفا. (١٢) المدحوة: المبسوطة.
(١٣) الأوتر والرخار: الطامى. (١٤) الألوية: جمع لواء وهو العلم. (١٥) اللد: الماء.
الذى له مادة لا تنقطع. مخض اللبن: حركة شديدة لاستخراج زبد. (١٦) الدوى: خفيف الريح.
ونحوه وقعه دوى بالتشديد. أصل الجرجرة: الصوت يردده البعير في حلقه. والأذى: المروج. وهزيم
الرعد: صوته.

فأنا كانت الإصيلة ، وسرى النسيم العليل ، رأيت البحر كأنه مبرد ، أو درع مسرد ، أو أنه مأوية ، تنظر السماء فيها وجهها بكرة وعشية . وكأنما كُسر فيه الحلي^(١) أو مُزج بالرحيق القطري^(٢) . وكأنما هو قلادة العقيان^(٣) ، أو زجاجة المصور يؤلف عليها الأصباغ والألوان . حتى إذا أخضل الليل^(٤) ، وأرنى الذيل ، بدا الهلال كأنه خنجر من ضياء ، يشق الظلمة ، أو قلادة ، أو سوار قاذة ، أو سنان لواء الضراب ، أو الليل فيل وهو ناب ، أو عرجون قديم ، أو نون من خط ابن العديم^(٥) ، أو برش خضيم ، أو تحلب قشع^(٦) ، أو ماء نرج من أنبوب في روض ، أو تمند في أسفل حوض^(٧) ، أو وثى مرقوم ، أو دملج من فضة مقصوم ، أو قلامة ظفر ، أو صنار في شبك في بحر .
أيا ضوء الهلال لطفت جدا . كأنك في قم الدنيا ابتسام

ثم إذا غاب الهلال ، وتوارى في الجمال ، ألفت الكون من السواد ، في لبوس حديد ، أو لباس حداد^(٨) . وكأنما الماء سماء ، وكأن السماء ماء . وكأن النجوم در ، يمج في بحر ، أو تقوب في قبة الديجور^(٩) ، يلوح منها النور ، أو سكاك دلاص ، أو فلق رصاص ، أو عيون جراد ، أو بحر في رماد ، أو الماء صفائح فضة بيضاء ، شمرت بمسامير صفار . من نضار . فلا تفتأ السفينة تكابد الويل ، من البحر والليل ؛

(١) كبه : قلبه كأكبه والخلية : السفينة العظيمة . والجوجو : الصدر والمسرد من الدروع : ما تداخل حلقة بعضها في بعض والمأوية : المرأة . (٢) قطريل : موضع بالعراق ينسب إليه الشراب . (٣) العقيان : الذهب . (٤) أخضل : أظلم . (٥) العرجون : أصل بكاسة ثمر النخل . (٦) ابن العديم هو كمال الدين بن أحمد توفي سنة ٦٦٦ وهو امام من أئمة الخط . (٧) التمند : الماء القليل . (٨) الدملج : حلية تلبس في المضد . (٩) الصنار وإلماء : الحديدية المعققة التي في رأس المنزل ثم استعيرت للحديدية المعققة التي يصاد بها السمك . (١٠) الجمال : جمع جملة وهي ستر نحو ما تسميه التاموسية . واللبوس كاللباس . (١١) الديجور : الظلام . (١٢) السكاك : جمع سك وهو المنيار . والدلاص : الدرع المساء اللينة . والفلق : جمع قلعة وهي القطعة .

حتى يلوّح من الأفق الضياء، كابتناسم الشفة الأعمى^(١) . فإذا السفينة كأنها سركتهم
الظلام، وكشفه الضرام^(٢) .

وبعد ثلاثة أيام وكسر، قضيناها في البحر، وصلنا الى أوربا . فإذا أرض
أريضة^(٣)، وبلاد عريضة، وجنة وحرير، وملك كبير .

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق
ولا واقه ما الفرح نُقل من الغرق الى الأوح، ولا من كان في غش فبدت له يوح^(٤) .
ولا بدوى طرق احدى اللالي، قرية بكر بن حاصم اللاللى، بأحير منى نظرا، وأدهش^(٥) .
ما رأيت ففكر^(٦) .

ثم بعد برهة من الزمن، نهضنا لأظعن، ورحلنا الى القسطنطينية، فركبنا البهله
(وابور البر) في ليلة مصرية^(٧)، فسرى بنا وكأنه ثعبان، له عينا تَقْدَان، ينساب
في القيعان، ويلتوى على الرطآن^(٨)، أو أنه مبتدأ متعده الأخبار، أو كلم مجرورة بحرف
جار، أو أنه بيت ذو قطيع، من البحر السريع، فتارة وصل على الجبال، وأخرى
جدول بين الأدغال^(٩) . وآونة ينطلق كالحواد، ومرة يثب كالجراد . وقد يدور
في الصعيد، تتكدروف الوليد^(١٠) . ان ازتقى فدعوة المظلوم، أو المحط فروح الظلوم .

- (١) اللب: السمراء . (٢) الضرام: اشتعال النار في نحو الخلقاء والمراد به النور .
(٣) الأريضة: الزكية المحبة للعين الخليفة لخير . (٤) الغرق كرج: القشرة الصفقة بيضاء
البيض . واللوح: الهواء، والفيش: ظلة آخر البله . ويوح: الشمس . أما البدوى فخره طويل تجده
في الجزء الثاني من المقد الفريد في كلام الأعراب . وخلاصه أنه شاهد في تلك القرية أشياء لم يكن
وأها فدهش منها . (٥) العرية: الباردة وهي من صفات الريح وصف بها البله توسعا .
(٦) القيعان: جمع قاع وهو ما انحفض من الأرض . والرعان: جمع رعن وهو مقدم الجبل .
(٧) الوتل: تيس الجبل والأدغال: جمع دغل وهو الشجر الكثير اللثف . (٨) الصعيد: التراب .
والخدروف: همة يدورها الصبي بحيث في يده فيسمع لها دوى .

هَزِجْ بِحُكِّ ذِرَاعِهِ بِذِرَاعِهِ (فعل) المكب على الزناد الاجزم^(١)
 أسرى في الليال، من طيف الخيال، وأمضى في الذهاب، من العقاب (وترى
 الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرمر السحاب)^(٢) كأنه غراب^(٣) البين، ان نعب ففرقة بين
 اثنين . راحلة لا ترعى الشيع والسعدان، ولا تسير الذميل والوخدان، ولا ترد عين
 أثال، ولا تعقرها الرحال^(٤) . فما زال يطوى المنازل على السجل، بين ارتحال وحل،
 الى ان وصلنا دار السعادة، وألقينا بها عصا الوفاة .

فما تبالة^(٥) محصباً أهضامها، ولا بابل معلقة آجامها، ولا دمشق في ملك الوليد،
 ولا بغداد في زمن الرشيد، باخضم رفهنية وحضارة، وأروع زبرجا^(٦) وشارة^(٧) . برحو
 تلاعه، خضر آكامه وأجراعه،^(٨) معشب^(٩) محاجر، منبتق بالمياه مفاجره . يشقه خليج
 كأنه سيف مسلول، أو^(١٠) سجنيل مصقول . وعلى شاطئيه قرى ودساكر، ورساتيق حلى^(١١)
 ومقاصر، وقصور بيض على الخضراء، كالنجوم في السماء، أو أشعة فلک في ماء .

في قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينبت^(١٢)

- (١) البيت لمترة بقوله في وصف القباب، والمزج : المراكب الصوت والاجزم : المقطوع اليدين .
- (٢) اقتباس الآية القرآنية هنا ناب عن موضعه فان راكب القطار يرى الجبال سائرة مع أنها ثابتة .
- (٣) الشيع والسعدان تبتان ترطاهما الابل . والذميل والوخدان ضربان من سيوها . ومن أثال ماء .
- (٤) تبالة : بلد خصيب باليمن والاهضام : بطون الاردنية جمع هضم .
- (٥) الآجام : جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف . وبابل : مدينة قديمة كانت بالعراق ويقال انه كان بها
- بساتين معلقة فوق أبنية . (٥) الرفهنية : الرفاهية والزبرج : الزينة . والشارة : الهية .
- (٦) الحو : جمع أحوى وهو الشديد الخضرة والثلثة : ما انخفض من الارض . والبحرة : الرملة
- الطية وجمعه أجراع . (٧) الحجير كجلس ومنبر : الحديقة . (٨) السجني : المرأة .
- (٩) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم . (١٠) الرساتيق :
- بيوت مجتمعة . والمقاصر : جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة . (١١) ينح الثمر : حان قطافه .

وكان كل شاطئ منهما قد انتهت الحسن اليه ، فلا يُفَضَّل أحدهما على الآخر إلا لكونه يُطل عليه . فاذا رأيت ثم رأيت حين دُلوك الشمس ، وقد شَمَّع نورها^(٢) كل بناء وغرس ، وقد عكس في الماء ، صور ما يحيط به من الأشياء ، أبصرت في الماء قباباً من ذهب ، وأهلة من لُهب . وكُشباناً من زُمرّد ، وودياناً من زَبَرَجَد ، وجبالاً وأبقاعاً ، وحُصُوناً وقلاعاً ، وسدراً ودُلاعاً ، وسُقُوفاً من جواهر ، وعمّداً من حمر صر ، وصَرَحا من قوارير ، وتماثيل وتصاوير ، ودورا وحُورا ، ونارا ونورا ، وحللاً تُظهِر وتُشهر ، وسيوفا تُغمد وتُشهر ، واقارا تصاغ وتكسر . فكأنما تقرأ في البر ، قصيدة من شعر ، وتنظر في البحر فانوساً من صهر .

أما المدينة العتيقة ، فتلوح كأنها جبل ذو طول وعرض ، أو غمام مُطَبَّق على الأرض . وكان مآذنها أجمّة من القَصَب والأُسل ، بأعلى الجبل . فان دخلتها وجدتها واسعة الرُقعة ، جيدة البُقعة ، ورأيت اختلافاً في البقاع ، وتبايناً في الأوضاع . اذ ترى القصر ذا الشُرُفات من سِنْدَاد ، والجُوسق كأنه إرم ذات العماد ، بينهما دور كحَقَاء اليربوع ، أو الاطلال البالية في الربوع . ويختلل المدينة طرق بعضها كأفاريز البساتين ، والبعض كرهوس الشياطين . وفيها أسواق كل سوق أضيّق من حِجَاط ،

(١) الدلوك: ميل الشمس للغروب . (٢) شَمَّع : أضاء . (٣) الابقاع : جمع بقع وهو التل . (٤) الدلاع : ضرب من محار البحر .

(٥) أصل الفانوس : النام ثم استعمل فيما توضع فيه الشمعة من زجاج ثم توسع فيه . (٦) الأجمّة : الشجر الكثير المتلف . والأسل : شجرة . (٧) هو قصر بالذيب بالقرب من الكوفة . (٨) الجوسق : القصر رأياً قوله كأنه إرم ذات العماد فقد جرى فيه حل ، لا يذهب اليه القصاصون من أن إرم مدينة بحية سبينة بالذهب والأجوار الكريمة وما هذا الا حديث خرافة وما إرم ذات العماد إلا قبيلة عاد . (٩) الأفاريز : جمع أفرز وهو طنف الحائط الذي هو تنوء ينشأ فيه أو شوك يمنع تسلقه . يريد أن بعض هذه الطرق يشبه الطرق في البساتين لوجود مسلكه . (١٠) هذا التشبيه مثل قول آخرى القيس : كانياب أغوال في أنه تشبيه بالتموم . (١١) الحِجَاط : إدار العين من العظم .

وأَحَقْل من عَكَاظ، لَا تَزَال تَهْق بِطَرْفِ الْهِنْد، وَمَلَحْ فَارَسَ وَالسَّنْد، وَتُحَفْ فَوْجَةُ
وَالْتُرُكَّانَ . (١) وَأَفْلَاذُ الْبَحْرَيْنِ وَعَمَان .

وَقَدْ يَخَال من يَحُوزُ فِيهَا، وَيَتَغَلَّبُ فِي نَوَاحِيهَا، أَنَّهُ فِي دُنْيَا صَغِيرَةٍ لَا فِي بِلَدَةٍ
كَبِيرَةٍ، فَتَمَّ عَرَبِيٌّ وَعَجَمِيٌّ، وَرُومِيٌّ وَكُرْدِيٌّ، وَطَاظِمَةٌ صُفْرٌ، وَصَقَالِبَةٌ حُمْرٌ، وَالْمَاهِمَةُ
وَالسَّرْبُوشُ، وَالْقُبْعَةُ وَالْكَنْبُوشُ، وَلِسَانُ التُّرُكَّانِ، وَفَصَاحَةُ الْخَطَّانِ، وَرِطَانَةُ
الرُّطْ (٥) وَالسُّودَانِ، وَسَنَّةٌ وَشَيْعَةٌ، وَنَصْرَانَةٌ وَيَهُودِيَّةٌ، وَجَسَدٌ مَشَاةٌ وَرِكَابَةٌ، كَانَتْهُمْ
فِي يَوْمِ الْمَهْرَجَانِ .

رَجَالٌ يَعِدُ الْفَرْدَ مِنْهُمْ يَحْفَلُ كَمَا صَرَفَ الدِّينَارُ كَثْرَ الدَّارِهِمْ
لَهَا تَصِفُ الْمَرَأَةَ يَوْمًا وَجُوهَهُمْ - وَلَكِنْ صَفَاحُ الْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ (٦)
وَمَشِيخَةٌ حَلَبُوا الزَّمَانَ شَطْرًا عَنْ شَطْرٍ، كَانُ الشَّيْبُ عَلَيْهِمْ قُبَارَ وَقَائِعِ الدَّجَرِ .
وَشَبَابٌ فِي أَوَاقٍ الصَّبَا وَالنَّصَابِ، وَرَقَّةُ الْخَضَرِ وَفَيْطَنَةُ الْإِعْرَابِ . وَبَيْنَمَا تَرَى
الْمَدِينَةَ مِنْ هَؤُلَاءِ كَقَرِيَةٍ مِنْ قُرَى التَّمَلِّ، بَيْنَ الضُّحَى وَالطُّغْلِ، إِذَا هِيَ فِي اللَّيْلِ
خَالِيَةٌ، عَلَى حُرُوشِهَا خَاوِيَةٌ، لَا جَرَسَ، وَلَا تَرْجِيحَ حَسٍّ، الْأَقْرَعُ الْحَارِسَ بِالْقَضِيبِ،
وَنُبَّاحَ الْكَلِيبِ (٧) .

(١) الْأَفْلَاذُ : الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَأَفْلَاذُ الْأَرْضِ كَنُوزُهَا . (٢) الطَّاطِمَةُ : جَمْعُ طَطْمٍ وَهُوَ
الْأَجْمَى . (٣) الْقُبْعَةُ كَقُبْرَةٍ : خُرْقَةٌ كَالْبُرْسِ وَالْكَنْبُوشُ وَالسَّرْبُوشُ كَلْبَتَانِ تَرْكِيَتَانِ . (٤) الْخَطَّانُ
جَدُّ الْعَرَبِ الْمُنْتَرِبَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ . (٥) الرِّطَانَةُ : الْكَلَامُ بِالْأَجْمَةِ وَالرُّطْ : جَبَلٌ مِنَ الْهِنْدِ .
(٦) الْبَيْتَانِ لِلْسَيِّدِ تَوْفِيْقٍ . وَالْمُرْهَفَاتُ : السِّيُوفُ . (٧) الشُّطْرُ : النِّصْفُ وَلِكُلِّ ضَرْعٍ شَطْرَانِ وَغَيْرُ
بَعْضٍ يَدُ وَالْمُنَى حَنْكُهُمُ التَّجَارِبُ . (٨) الْأَوَاقُ : الْجُنُودُ وَنَحْوُهُ مِنَ التَّرَفِّ وَالْمَرْحِ .
(٩) الطُّغْلُ كَثْرَةُ الْبَلْبِلِ، وَكَبْلُ : مَا قَبِلَ الْغُرُوبَ . (١٠) الْعُرُوشُ : السَّقُوفُ وَالْخَاوِيَةُ عَلَى غُرُوشِهَا :
الْمَتَبَعَةُ السَّاقِطَةُ عَلَى سَقُوفِهَا وَهُوَ خَيْرُ الْمَرَادِ بَلَّ الْمَرَادِ أَنَّهَا لَسَكُونُهَا كَأَنَّهُ لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ، فَلَوْ زَادَ قَبْلَ عَلَى
عُرُوشِهَا (كَأَنَّهَا) لَكَانَ خَيْرًا لَهُ . (١١) الْجَرَسُ : الصَّوْتُ . (١٢) الْكَلِيبُ : جَمَاعَةُ الْكَلَابِ .

وفي القسطنطينية اليوم محال، تشد اليها الرحال، وتضرب بها الأمثال .

فمن ذلك أيا صُوفِيَّة، وما أدراك ماهيه، مسجد كانه هَيْكَل لجبل قد طرح
تُربِه وِرْضامه، ورُكِبَتْ أحماره وعظامه . قبة بِخَوَفاء، كأنها قبة السماء، فان أُوقِدَتْ
رأيت بها الكواكب غير سائرة، والافلاك غير دائرة . ودعائم كل دِعامه، كالخق
استقامة . وأرض من مرمر أَلأَق، وحجر بَرَّاق، يصف ما يحيط به من الأشياء،
فكانه وجه مرآة وِضَاء^(٤) . وكأنما تلتمع السيوف، في تلك السقوف . ويكاد يُرى
القمر، في ماء ذلك الحجر . الى محاريب وحنايا، وخبايا وزوايا، كأنها مما صنع
لُبلُن لسليلان، بالصَّفاح والصَّفوان^(٦) . فان دخلتها في العشاء الآخرة، أبصرت الشموع
صِنوانًا وِغِيرَ صِنوان^(٧)، كأنها رماح وفي كل رِج سِنان . وكان أقباسها نَفْضِة الحيات^(٨)،
أو إشارة السَّابَّة في التحيات . ورأيت الناس بين رُجِّع ومُجَبَّد، وإيقاظ ومُجَبَّد^(٩) .
شَيْبٌ ما زالوا يَنْسِلُون بالوضوء السواد، حتى يُحْيَى نَحْو المِداد، وشَبَّاب، قِيَامٌ للصلاة
كَسَطَر في كتاب، والكل يُمَارُون بدعوة الاسلام، تحت أستار الظلام .

وكم على سِيف الخليج^(١٠)، من روض وِثِيج^(١١)، ومرأى بهيج، ورَسَاتِيق وِرْغان،
وخُلُج وُقُدران . فكأنما هذا المكان، شَعْب بَوَّان، أو روض من رياض الجنان .

(١) هذا المسجد كان كنيسة شادها قسطنطين سنة ٣٢٥ م ثم احترقت سنة ٥٣٢ م بلجدها أحد
القباصرة وأضافها الى القديسة صوفيا ثم جعلها السلطان محمد الفاتح مسجدا . (٢) الرضام : الصنود
الظيمة . (٣) الألاق : الساع . (٤) الوضاء : الحسن النظيف . (٥) المحاريب :
جمع محراب وهو الثغرة وصدر البيت وأكرم مواضع ومقام الامام من المسجد والموضع يتفرد به الملك من
الناس، والحنايا : جمع حنسة وهي القوس . (٦) الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة كالصفائح .
والصفوان واحد صفوانة وهي الحجر الصلب الغضنم . (٧) الصنوان : القريثان فأكثر من الشجر وقد
استعاره للشروع المجتمعة . (٨) النفضة : تحريك الحية لسانها . (٩) المجبد : النائمون .
(١٠) السيف : ساحل البحر أو الوادي . (١١) الوثيج : ذو الشجر الكثير الخلف .

ومن أهر ما يُجلى للنظر، مُتَنَزَّهٌ ^(١) «البندل» . وهو رياض في رياض ، وبساتين في حياض . ويهاد وبجاد، وبجاف وإسناد، وأطيار تصدح، وأمواه تنصع ، وأعطار تنفح، وكأنما في كل ناحية لوح مصور، أو برد مخبر، أو طرز على خز، أو وثنى على قز، أو فسيفساء مفروشة، أو دنانير منقوشة .

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن ^(٧) المصطاف والمُتَرَبِّعا
وقد حَفَّ الشجر الدواح، بتلك البطاح، فمن شوع ودرماء، وخلاف وطحاء،^(١٠)
وريحان نضر، وعيدانة مُربحة من سدر . وقد تلاحقت غصونها، وتعرشت ^(١١)
خيطانها وفنونها، وخصب بينها العرج، وأزهر الياسمين والبفسج . فكان تحت ^(١٢)
كل عرش إيوان، وفوق كل فرش ديوان . وفي كل تريب جونة عطار، أو مسك ^(١٣)
بين أنهار . وقد علق الطير بهذا الشجر، كأنها ثمر: من قواخت وقطاي، وجباري ^(١٤)
وقاري، وكان كل ورقاء على عود، حسناء في يدها عود، ترجع من ثآلب الأغانى، ^(١٥)

- (١) البندل: كلمة تركية معناها السدود وذلك المنزه بجوار سدود . (٢) النجاف: جمع نجف وهو مكان مقداد في بطن الوادى لا يعلوه ماء . والأسناد: جمع سند وهو ما قبال الإنسان من الجبل وما لا .
(٣) صدح: رفع صوته بفناء ونضج: سال . وقع: ناح . (٤) المخبر: المزين الحسن .
(٥) الطرز: الشكل والنظر: ثياب من الصوف والحريز، والوشى: نقش الثوب، والقر: الحرير .
(٦) الفسيفساء: ألوان من الخز تركب في حيطان البيوت من الداخل . (٧) المصطاف: مكان الاصطاف والمترج: مكان التريج أى قضاء وقت الربيع . (٨) الدواح: العظيم الشديد العلو .
(٩) الشوع: البان والدرماء: نبات أحمر الورق . (١٠) الخلاف: الصفصاف أو ضرب منه من الطحاء: نبت قيل إنه النبيل . (١١) العيدانة: أطول ما يكون من الشجر والمرجة: المائلة المهيئة . (١٢) حرش: أنشأ عريشا وهو ما يستظل به ولم تثر على تمرش المطابع له فالأولى أن يقال حمرشت . والخيطان: جمع خوط وهو النمن النام . (١٣) العرج: شجر سهل .
(١٤) الإيوان: الصفة الطائفة . (١٥) الجونة: واء الطار يحفظ فيه الطيب . والاذنار: جمع ظهور وهو الجريدق به . (١٦) القواخت: جمع قاختة وهى ضرب من الحمام المطوق . والقطاي: الصقر والحبارى: طائر (الذكر والأنثى والواحد والجمع) .

ضروب الخفيف الأول والثقل الثاني، وتفوق في الغناء، أصوات مَعْبَدَ والمَيْلَاءِ، وألحان عَيْنَ والزُقَاءِ. ^(٢) وقد شهِرَ رَوْضَ (البَيْدِلِ) بمائه، في عذوبته وصفائه، فلا يفتأ يَحْتَدِرُ، كما تكسر المرمر، ويلتوى على الأشجار، كالسَّوار، وينبثق من غُدْرٍ، وأفواه أسود ومُرٍّ، ويذهب في الهواء كلسان السراج، ويعود كقبة من زجاج، كأنه في الصَّفَاءِ دمع جَرَى، أو بَرَقَ مَرَى، أو يَلُورُ مُذَابٍ، أو نَصَلَ قِرْصَابٍ ^(٣)، أو سَبِيكة فضة، أو مِعْقَمَ بَضَّةٍ ^(٤). وكان الحَصْبَاءِ، تحت الماء، عُقدَ منشور، أو جواهر منشور.

لعب السيول به فاصبح ماؤه غَلَا يُقَطِّعُ في أصول انْخِرُوع ^(٥)

وكثيرا ما يَبْطِلُ المطر، على هذا الماء والشجر، فاذا معركة شعواء، ^(٦) بين الخضراء والزرقاء، فالوَيْلُ نَبَلٍ، والقنا أَسَلٍ، والبروق غُلْبٍ وأَسَنَةٍ، وفي كل غدِيرِ جَنَّةٍ ^(٧).

وفي هذه البلدة اليوم نَفَرٌ من الأعلام، وأساطين الاسلام. فمنهم (السيد فلان) وهو رجل رَفِيعُ الْعِمَادِ، كثير الرَّمَادِ، رَحْبُ الصدر رَحْبُ الفؤاد، قد صُرِفَتْ اليه وجوه الأمل، فكان بيته قبة أطنأها السُّبُلُ ^(٨)، مِعْطَاءٌ غِطْرِيْفٍ ^(٩)، يرى أن شِقَا في باطن البرة قَسَمٌ بينه وبين الضعيف. أيادٍ قتلن دَفْرًا ^(١٠) والدَّهْمَ بالفواضل، فأم دَفْرٍ وأم الدَّهْمِ ^(١١) ثاكل غِيَاثِ المُرْمِلِ المُنْتَحِجِ، وعصمة في الزمن الكَلَّاحِ ^(١٢)، صرَبِي في سَجَايا مضر وزيد مائة، أجود بالجاه من المال وبالمال من الجاه. تَكْمَبُ في الكَرَمِ،

-
- (١) الخفيف الأول والثقل الثاني: صوتان من الغناء العربي. (٢) معبد من أشهر المنين في أيام بني أمية والميلاء والزقلاء من أشهر المنين لعهد بني أمية وضأن مغبة محسة في عهد الرشيد وكلهن جوار. (٣) القِرْصَاب: السيف الفاطم. (٤) البضة: الرخصة الجسد الزقية الجلد. (٥) النلابة: الماء الذي يجري بين الأشجار. (٦) الشعواء: المنتشرة. (٧) الأسل: الزمخ، والجنة: الوفاة ويريد الدرع. (٨) الأطناب: جمع طنب وهو جبل يشد به الخباء والسرادق. (٩) الغطريف: السيد الشريف والسني السرى. (١٠) أم دفر وأم الدهم: امتنان من أمراء الداهية. (١١) المرمل: المحتاج. والمنتاح: السائل. والكلاح: الشديد.

والسموع في الذّم، وعمرو بن العاص في الرأى، والمغيرة في الذّم، والشعبي في العلم، وابن أبي دؤاد في الحكم^(١)؛ في فصاحة لا تبلغها مقاول هذيل في أكلاها، وقرابة نجد في بطاعتها، وقرىض كالآل، كل بيت شعر خير من بيت مال .

فكان أبياته رماح والقوافي أسنة، وكان شطرى كل بيت منه مصراعاً باب قصر من قصور الجنة . حماسة وسمّاح، كلماء والراح . وبأس في جود، كالنار في العود .

ودماك حسدك الرئيس وأمسكوا ودماك خالفك الرئيس الأكر
خلفت صفاتك في الصيون كلامه كالخط يملأ مسمعى من أبصر^(٢)

ومن هؤلاء (فلان) وهو عقل لقان، وحكمة يونان، في جبة وقباء، وعمامة عجرا^(٣) . عالم قلبه كتابه، وعينه إسطرلابه^(٤)؛ كان بين فكيه حسام على^(٥)، وشمصامة عمرو بن معد يكرب الزبيدي . قد بدّ الأوائل والأواخر، شاعر إلا أنه فيلسوف وفياسوف إلا أنه شاعر . فكره عالم الحقيقة والمثال، لأن الفلسفة شعر إلا أنها حقيقة والشعر فلسفة إلا أنه خيال .

من مبلغ الأعراب انى بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا

(١) مضر وزيد ثناء : أصلان من أصول العرب وكعب هو ابن مائة الأيادي الذي أبرج نفسه حتى مات عطشا والمغيرة هو المغيرة بن شعبة وكان شديد الدهاء والشعبي من أكبر ملهاء الدولة الأموية ، وابن أبي دؤاد هو القاضي في عهد المهدي واسمه أحمد وكان زينة القضاة . (٢) المقارل : جمع مقول وهو الحسن الحسن البيان والأكله يريد به جمع كلاً ولم أعر على الجمع ، والقراضية : الصماليك ، جمع قراضاب وقرضوب ، وقد كان منهم كثير من الشعراء المحسنين كهرو بن الورد والشعري .

(٣) البيان : من قصيدة لئنهي يمدح بها ابن العميد ، ومعنى البيت الثاني أن حماسك الناطقة بطل منزلتك ثابت مثاب قول الله تعالى : أنت الرئيس الأكبر ، كما أن الخط مع كونه من المبصرات يفيد فائدة المسعوطات . (٤) الجراء : الغليظة الضخمة . (٥) الاسطرلاب : آلة تستعمل في معرفة أحوال الكواكب . (٦) هي سيف مشهور .

ضَرَّارٌ نَفَّاعٌ، شَرَّابٌ بَأَقْفَاعٍ، أَمْضَى مِنْ نَضَلٍ، وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ جَوْجُوهٍ^(١)
عَبَلٌ، إِلَى زَهْدِ ابْنِ أَدَمَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ^(٢) . يَقُولُ الْحَقُّ وَلَوْ أَغَصَّهِ الْحَقُّ بِرَيْقِهِ،
وَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ أَحَدًا مِنْ صَدِيقِهِ .

القائل الصدق فيه ما يضر به والواحد الحائِثين السر والعائن

ولا تشنيه الصعاب، عن بلوغ الأسباب .

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُقِرُّ والاقْدَامُ قَتَالُ
لذته في تعبهِ، وراحته في نصبه .

سبحانَ خالقِ نفسي ! كيف لَدَّنتُها فيما النفوس تراه غاية الألم^(٣)

وصف الشمعة

قال أبو بكر الأَرَجَانِيُّ يصف الشمعة :^(٤)

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَتْ يُخْفِيهَا	وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا
غَرِيقَةٌ فِي دَمُوعٍ وَهِيَ تُحْرِقُهَا	أَقْنَامُهَا بِدُومٍ مِنْ تَلْظِيهَا
تَنْفَسَتْ نَفْسَ الْمَهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ	عَهْدَ الْخُلَيطَاتِ الْوَجْدُ يُذَكِّرُهَا ^(٥)
يُخَفِّئُ عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَ بِهَا	نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يَجِيئُهَا

(١) من أمثال العرب انه لشراب بأقع . يضرب لمن جرب الأمور لأن الأتقع : جمع قع وهو الماء المستقع فالذي يكثر الشرب منها إنما هو الخير بمواضعها في الصحارى . وقد غير السيد توفيق المثل لجمع قعاً على اتقاع مع أن الأمثال لا تتغير وزد على ذلك أن التقع لا يجمع على اتقاع وإنما يجمع على اتقع وقاع وأوغره إلى قعاع لم له السمع وهان الخطأ . (٢) الجوجو : الصدر . (٣) ابن آدم : هو أبو اسحاق البلخي من أئمة الصوفية والربيع بن خيثم : إمام الزهاد توفى سنة ٦٧ هـ . (٤) هذا البيت والأبيات الأربعة قبله من كلام المتنبي . (٥) هو تاجع الدين أحمد بن محمد توفى سنة ٥٢٤ هـ بمدينة تستر التي كان قاضياً وأرجان من كورد الالهواز . (٦) أذكي النار : أوقدها .

قد أثمرت وردة حمراء طالعة تجني على الكف أن أهويت تجنيها^(١)
 وردكسالك به الأيدي إذا قُطفت وما على غضبها شوك يؤقها
 صفر غلاثلها، حمر عمامها، سود ذوائبها، بيض ليايها

وصف قصر

قال ابن حمديس الصقلي^(٢) يصف قصرا شيده المنصور بن أعلی الناس بجاية وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتهما أسود تقذف بالماء :

قصر لو أنك قد حلت بنوره أعمى لعاد من الضياء بصيرا
 أذكرتنا الفردوس حين أرىتنا حُرِّفَ رَفَعَتْ بِناءها وقصورا
 فلك من الافلاك إلا أنه حقر البدور فأطلع المنصورا
 وإذا الولائد فتحت أبوابه جعلت تُرحب بالعفا صبرا^(٤)
 عضمت على حلقائهن ضراغم^(٥) ففرت بها أفواها تكبرا
 فكانها لبدت تتهصر عندها من لم يكن بدخولها ماورا^(٦)
 ومُصَفِّح الأبواب تبرا نظروا بالنقش فوق شكوله تنظرا^(٧)
 خلعت عليه غلاثلا موشية^(٨) شمس ترد الطرف عنه حسيرا
 وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نضيرا

- (١) مجنى الأولى بمعنى تتدى والثانية بمعنى تقطف . (٢) هو عبد الجبار بن أبي بكر توفى سنة ٥٢٧ هـ وهو من أربع الشعراء ان لم يكن أبرهم في وصف البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان اذا وصف شيئا من ذلك مثله كالحساء وخيالها في المرأة . (٣) بجاية حكاية : بلد بالمغرب . (٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب الحاجة . والصرير : صوت الباب . (٥) فترافه : فتحه . (٦) لبد تضر : أقام والمضر : الدفع . (٧) نظر : مثل . والشكول : جمع شكل . (٨) الغلاثل : جمع غلاثة وهي شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الغلاظ . والموشية : المنقوشة .

وعجبت من أطيّار عَسْجده التي حامت لثبني في ذُرَاه وُكُورًا
 وضعت به صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا فَأَرَتْكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرًا^(١)
 وكأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ مَشَقُّوا بِهَا التَّرْوِيقَ والتَّشْجِيرَا^(٢)
 وضراغِمَ سَكَنْتَ عَرِينِ رِيَاةِ تَرَكْتَ نَحْرَيرَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْبَا
 فَكَأَنَّمَا غَشَّى النُّضَارَ جُسُومَهَا وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبَلُّورَا
 أَشْدَّ كَانَ سَكُونُهَا مَتَحَوِّكَ فِي النَّفْسِ لَوْ وَجَدْتَ هُنَاكَ مَثِيرَا^(٣)
 وَتَذَكَّرْتَ فَتَكَاتِهَا فَكَأَنَّمَا أَقَعْتَ عَلَى أَذْيَارِهَا لَيْثُورَا
 وَتَحَلَّاهَا وَالشَّمْسُ تَجَلُّوْلُونَهَا نَارَا وَالسَّنْبَا اللَّوَاخِسُ نُورَا
 فَكَأَنَّمَا سَلَتْ سَيُوفُ جَدَاوِلِ ذَابَتْ بِهَا نَارُ فَعْدُنْ غُدِيرَا^(٤)
 وكَأَنَّمَا نَسَجَ اللَّسِيمُ لِمَائِهِ دِرْعَا فَقَلَدَ سَرْدَهَا تَقْدِيرَا^(٥)
 وَبِدِيعَةِ الثَّمَرَاتِ تَعْبَرُ نَحْوَهَا عَيْنَايَ بِحَرِّ عَجَائِبِ مَسْجُورَا^(٦)
 شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ تَزَعَتْ إِلَى مَحْصَرٍ يُؤْثِرُ فِي النَّهْيِ تَأْثِيرَا^(٧)
 قَدْ سُرَّجَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا قَبَضَتْ بَيْنَ مِنَ الْفَضَاءِ طَيُورَا^(٨)
 وكَأَنَّمَا تَأْبَى أَوْقَعِ طَيْرِهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ يَنْهَضَهَا وَتَطِيرَا^(٩)
 مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَلَسَالَ الْجُلُجَيْنِ تَمِيرَا^(٩)

- (١) الطريدة : ما يطارده الصياد وربيته . (٢) الليقة : ما يكون في الدرة من مداد لاصق بصوت أو نحوها ، والفعل منها كجاء . وشتى الكتابة مدحرفها . والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر . (٣) أفعى الكلب والسبع : جلس على مؤخره ناصباً يديه . (٤) السرد : نسج الدرع ، وتقديره : أن تكون تقويب الدرع على قدر مساميرها . (٥) المسجور : المخلوع . (٦) نزع اليه : أشبهه . يقال : فلان ينزع إلى أيه أو ينزع أباه أي يشبهه . (٧) مرجه : حسه وزينه . (٨) الوقع كركم : جمع واقع . (٩) السلسلة : اتصال الشيء بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال . أي السهل الجريان في الخلق ، والجلين : الفضة . والتخير : الناتج من الماء .

نُحْسُ تُعَدُّ مِنَ الْفِصَاحِ فَانْشَدَتْ جَعَلَتْ تُرْقِدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرًا^(١)
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غَضَبٍ فَضَّةٌ لَأَنْتَ فَأَرْسِلْ خَيْطَهَا مَجْرُورًا
وَتَرِيكَ فِي الصَّهْرِ بِمَوْجِ قَطْرِهَا فَوْقَ الزَّبَجِدِ لَوْثُوا مَنشُورًا
ضَحَكَتْ حَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا جُعِلَتْ لَهَا زُهْرُ النُّجُومِ ثَقُورًا

وصف زلزال

قال حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمَانِ مَادَهِيَ الْكَوْنُ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ^(٢)
غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ ضُفَّاتُهَا عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ^(٣)
لَيْسَ هَذَا سَبْحَانَ رَبِّي وَلَا ذَا لَكِ وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
ظَلَّيْنَا فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ عَنْهُ قُورَانٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرُكَانِ^(٤)
رَبِّ أَيْنَ الْمَقَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَدَا سُرْعَى الْكَيْدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ
كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرِّيَّانِ^(٥)
سَابِجٌ تَحْتَنَا مِطْلٌ طِينَا حَائِمٌ حَوْلَنَا مَنَاءٌ مَدَانِي^(٦)
فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقٍ، كَلَاهَا غَادِرَانِ^(٧)
مَا (لَيْسَيْنِ) حَوِجَتِ فِي صَبَايَا وَدَعَايَا مِنْ أَرْدَى دَاعِيَانِ^(٨)

- (١) شدا : ترم . (٢) الفرقدان : نجان في الساء لا يفران وهذا هو البحر في قول المعري :
فاسأل الفرقدين عن أحسا من قيل وآسا من بلاد
وفي أثره جوى شاعرنا . (٣) أنحى عليه ضربا : أقبيل . (٤) نفس منه : فرج .
(٥) الريان كزمان رئيس الملاحين . (٦) مناء مدان : مجاهد مقارب . (٧) الخلاق :
الحظ أو الدين وإنما يكون ذلك في الخلق ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة . (٨) مسين : مدينة
من مدن صقلية قربها هذا الزلزال وتعرف عند العرب بمسين ومن شعر ابن فلاقس (يا من يسينى على مسينى)
وداعيا الردى : الاغراق والاحراق .

وَحَتَّ تَلَكُمُ الْحَاسِنُ مِنْهَا حِينَ ثَمَّتْ آيَاتُهَا آيَاتَانِ
خُصِفَتْ ثُمَّ أُغْرِقَتْ ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَمَحَتْ كَأَن لَمْ تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةُ الْبُلْدَانِ
لَيْتَهَا أَمَهَلَتْ فَتَقْضَى حَقُّوqَا مِنْ وَدَاعِ اللَّسَّاتِ وَالْجِيرَانِ^(١)
لَحْمَةٌ يَسْعُدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ
بَقَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا وَطَفَى الْبَحْرُ أَيْمًا طُفْيَانِ
تَلَكُ تَغْلِي حِقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُ انْشِقَاقًا مِنْ كَثْرَةِ الْفَلْيَانِ
فَتَجِيبُ الْجِبَالُ رَجَبًا وَقَذْفًا بِسُؤَاظٍ مِنْ مَآرِجٍ وَدَخَانِ^(٢)
وَتَسُوقُ الْبَحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا جَيْشُ مَوْجٍ ثَائِي الْجُنَاحِينَ دَانِي
فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّيْلِ جَوْنُ وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّيْلِ قَانِي^(٣)
(جَنَدُ الْمَاءِ وَالثَّرَى لَهْلَاكِهِ خَلَقَ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالْبُيْرَانِ
وَدَعَا السَّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْ لَهُ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي^(٤)
فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحَكَّمَ الْيَأَى سِوَاكَتِ عِزَائِمِ الشَّجَعَانِ
وَوَشَقَّى الْمَوْتُ غِلَّةً مِنْ نَفُوسِ لَا تَبَالِيهِ فِي جَمَالِ الطَّمَعَانِ
أَيْنَ (رَجَبِيُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ مَقَانٍ مَاهُولَةٍ وَغَوَانِي^(٥)
عَوَجَلْتُ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاهَا مَادَهَا مِنْ ذَلِكَ الثَّوْرَانِ
رَبِّ طِفْلِ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرَى ضِيقِ يَنَادِي أُمِّي ! أَبِي ! أَدْرَكَانِي^(٦)
يُؤَنِّتُ هَيْفَاءً تُسْوِي عَلَى الْجَدِّ مَرَّ تَعَانِي مِنْ حَرِّ مَا تَعَانِي

(١) اللغات : جمع لدة وهو الترب أى النظير فى السن . (٢) السواظ : لهب لا دخان فيه ،
الماراج : النار بلا دخان . (٣) اللون الأسود : فهو تأكيد والثانى (بالهذى) : الشديد الحمره
وقد يسهل . (٤) العاتى : المجاوز لحد . (٥) رجيو : مدينه بإيطاليا أمام مسيقى وتعرف عند
العرب بريجيو ، المعانى : جمع منى وهو المقام . (٦) ساخ فى الأرض : دخل فيها وغاب .

وأب ذاهل الى النار يمشى مُسْتَمِيئًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْيَدَانُ
 باحثًا عن بناته وبنيه مُسْرِعًا انْخَطَوْ مُسْتَطِيرًا لِحَيَاتَانِ^(١)
 تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني^(٢)
 غَصَّتْ الْأَرْضُ أَنْجُمَ الْبَحْرِ مَا طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ^(٣)
 وشكا الحوت للنسور شكاة رَدَّدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيَاتَانِ
 أسرفا في الجسوم نَقَرًا وَنَهْشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِفَّةٍ يَشْكُوَانِ^(٤)
 لا رعى الله ساكن القيمم الشَّمَّ وَلَا حَاطَ مَا كُنَ الْقِيَمَانِ^(٥)
 قد أغارا على أكف برآها بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِقْبَانِ
 كيف لم يَرَحِمَا أَنْ أَمْلَاهَا الْفُرَّ وَلَمْ يَرْقُبَا بِتِلْكَ الْبَيَانِ
 لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعُ الزَّمَانِ^(٦)
 مُوَلَّعَاتٍ بِصَيْدٍ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلُ الْأَلْوَانِ
 حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبَيَانِ
 مُنْطِقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ مُفِيحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْئَانِ^(٧)
 مُلْهَمَاتٍ مِنْ دَقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِ
 مِنْ تَمَائِيلٍ كَالنَّجُومِ الدَّرَارِ يَهْدِمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنُقُونِ
 تَجَبُّ صُنْعُهَا وَأَعْجَبَ مِنْهُ صَمْتُهَا ؛ تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ

(١) المستطير : المشرق المشتت . (٢) اللظى : الجهب . ولى : تراخى .

(٣) خص كفرج : اعترض في حلقة شئ . والمراد هنا املاآت وأتخذه الطعام : أحدث له نعمة وأصل

ثأته وأدفعه من الرخامة . (٤) الكفلة : ما يسترى من امتلاء الطعام . (٥) القيمان :

جمع قاع وهو الأرض السهلة المظلمة اقترحت هنا الجبال ومراد الشاعر بها البحر وأقراره .

(٦) يلحنى على كذا : حارة يلحنى بها على فائت وضمر عليها لا كلف ون أكف بيان الضمير ، وصناع :

حاذقة ماهرة في العمل اليدوى . (٧) سواجع الأفنان : الحمام يسجع على النصور .

إليه (مسين) آتسى اليوم بمبأ
 آتسى الدرة التي كانت الحذ
 غاملاً قبلك الزمان اختيلاً
 جاءها الأمر والسراة عكوف
 بين صب مدلة وطروب
 فانظروا كانهوا أهلك بالأم
 انت (مسين) لم تزولى كما زأ
 ابن ايطاليا بنوها بنة
 فسلام عليك يوم تولي
 وسلام عليك يوم تعود
 وسلام من كل حى على الأر
 وسلام على الألى أكل الذئ
 وسلام على امرئ جاد بالدم
 ذاك حق الانسان عند بنى الأئ
 فاكتبوا فى سماء (رجيو) و(مس)
 هاهنا مصرع الصناعة والتصد

ى فقد أوحشت بذاك المكان
 ية فى تلج دولة الرومان
 وهى تلهو فى غبطة وأمان
 فى الملاهى على غشاء القيان^(١)
 وخليع فى اللهو مرنحى العنان^(٢)
 سس وزالت بشاشة العمران
 لت ولكن أمسيت رهن الأوان
 فاطمنى مادام فى الحى بانى
 مت بما فىك من مغان حسان
 بن كما كنت جنة الطليان
 ض على كل هالك فىك فانى
 سب وناشت جوارح العقبان^(٣)
 مع وثنى بالأصفر الزنان
 سان لم أدعكم الى إحسان
 ين) و(كالبيريا) بكل لسان
 وير والحلق والجحأ والأغانى

وصف الأسد

قال أبو الطيب المتنبى يصف الأسد :

ورد أنا ورد البحيرة شاربا
 ورد الفرات زميره والنيلا^(٤)

(١) السراة : الأشراف . والقيان : جمع قبة ، وهى الجارية المغنية . (٢) الخليع : المستتر
 بالشراب واللهو . (٣) النوش والتناوش والانتياش : التناول . (٤) الورد : البحرى .
 والبحيرة : يريد بها بحيرة طبرية .

(١)	متخضب بدم الفوارس لابس	في عيله من لبدتيه غيلا
(٢)	ماقوبلت عيناه إلا ظننتا	تحت الدبحى نار الفريق حولا
	في وحدة الرهبان إلا أنه	لا يعرف التحريم والتحليلا
(٣)	يطأ الثرى مترقا من تيهه	فكانه آس يحس عديلا
(٤)	ويرد عقرته الى يافوخه	حتى تصير لرأسه إكليلا
	وتظنه مما يزجر نفسه	عنا بشدة غيظه مشغولا
(٥)	قصر مخافته الخلعى فكأما	ركب الكي جواده مشكولا

وصف شعب بوان^(٦)

قال أبو العباس المبرد :

كنت مع الحسن بن رجا بفارس فخرجت الى شعب بوان فنظرت الى تربة
كانها الكافور ورياض كانها الثوب الموشى وماء يتحدركانه سلاسل الفضة على
حصباء كانها حصى الدر فجعلت أطوف في جنباتها فاذا في بعض جذرائها مكتوب :

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة ^(٧)	على شعب بوان أفاق من الكرب
وألهاه مرج كالحرير لطافة	ومطرده يجرى من البارد العذب
وطيب رياض في بلاد مريعة ^(٨)	وأغصان أشجار جنباتها على قرب

(١) الثيل : الامة . ولبدتا الأسد : ما على كفيه من الشعر .

(٢) الفريق : الجماعة . وحولوا حال من الفريق . (٣) الآسى : الغليب . (٤) حفرة

الأسد : الشعر المتجمع على قفاه . (٥) الكى : الشجاع المستتر في سلاحه . والمشكول : المقيد .

(٦) هو أحد جنات الدنيا الأربع عند أدباء العرب وقد تقدم ذكرها . (٧) التلعة : ما ارتفع

من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول . (٨) المريضة : الخسبية . والميم أصلية يقال : مرعت الأرض .

وامرعت .

وفي شعب بوان يقول المتنبي :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَعَانِي ^(١)
 طَلَبْتُ فُرْسَاتَنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى
 غَدَوْنَا نَنْقُضَ الْأَغْصَانِ فِيهِ
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَ الشَّمْسُ عَنِّي
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي
 وَأَمَوَاهُ يَصِلُ بِهَا حَصَاها
 يَقُولُ بِشَعْبِ بَوَانَ حِصَّانِي :
 أَبُوكَ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي
 بِمِثْلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
 خَشِيتُ وَأَنْ كَرُمُنْ مِنَ الْخِرَانِ ^(٢)
 عَلَى أَعْرَافِهَا نِشْلَ الْجَمَانِ
 وَجِئْتُ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي ^(٣)
 ذُنَابِهَا تَفِئْتُ مِنَ الْبَنَانِ
 صَبِيلُ الْحَلَى فِي أَيْدِي الْغَوَايِ
 أَعْنِ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعَانِ ؟
 وَعَلَيْكُمْ مَفَارِقَةُ الْجَنَانِ

وصف طيارة

قال حافظ بك ابراهيم يصف طيارة :

يَجْرِي بِسَاحَةِ تَشْدُقُ سَبِيلَهَا شَقُّ الْإِزَارِ
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَثْيِ رِفِيسَتِجِيلِ إِلَى شِرَارِ ^(٤)
 مِثْلَ الشَّهَابِ انْقَضَ فِي
 فَازًا عَلَتْ فَكْدَعُوهُ أَلْ
 وَإِذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ
 أَثْنَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارِ ^(٥)
 أَثَارِ عَفْرِيتٍ وَطَارِ
 مُضْطَرَّ تَخْرُقُ السَّتَارِ

- (١) المعاني : جمع معنى وهو اسم مكان من غنى أى أغام . (٢) طياه وأطياه : استهواه واستماله .
 (٣) يقول : إن اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كالذنانير إلا أنها لا يمكن
 تناولها . (٤) الشرار والشر : ما يطير من النار واحدهما شرارة ومشررة . (٥) العقاب :
 طائر جارح . وجمعه عقبان . ولفظه مؤنث ، والأثنى منه تسمى القوة ، والذكر يسمى القرن وهو ضعيف
 حاتم القوة للأثنى . ومن هذا يتبين السرفى قول شاعرنا : أثنى العقاب .

وَتَيْسُفُ آوَنَةُ وَآ	وَتَيْسُفُ آوَنَةُ وَآ
فِيخَالُهَا الرَّاوُونَ قَدْ	قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارٌ
لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلٌ لِي	ثَمًا مِنْ قَضَاعَةٍ أَوْ نَزَارٍ ^(٢)
أَوْ كَالْقَلُوبِ مِنَ الْحَمَا	ثُمَّ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطَارَ ^(٣)
وَكَاثِنُهَا فِي الْأَفْقِ حَبِ	مِنْ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
وَالشَّمْسُ تَلْقَى فَوْقَهَا	حُلَّلَ اصْفَرَارٌ وَاحْمَرَارٌ
مَلَكٌ تَمَثَّلَهُ لَنَا السَّ	جَا فَيَأْخُذُنَا أَنْهَارٌ

(١) أَسَفُ الطَّائِرِ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ فِي طَيْرَانِهِ . وَالْأَزْدَرَارُ : الْإِخْرَافُ . (٢) يَقُولُ : أَنَّهَا فِي تَقْلِبِهَا فِي الْجَوْتِ تُشَبِّهُ فَرَسًا عَرَبِيًّا امْتَلَأَ فَارِسٌ إِمَامًا مِنْ قَضَاعَةٍ وَإِمَامًا مِنْ نَزَارٍ . وَقَضَاعَةٌ وَنَزَارٌ شُعْبَانُ كَثِيرَانِ مِنْ شُعُوبِ الْعَرَبِ . (٣) الْقُلُوبُ : الْكَثِيرُ التَّغَلُّبِ .

باب النصائح والوصايا والخطب

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك

نُزِعَ الزُّهْرَى يَوْمًا مِنْ عِنْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا سَمِعْتُ
كَأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ تَكَلِّمُ بِهِنَّ رَجُلٌ عِنْدَ هِشَامٍ . دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْفَظْ
عَنْ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةُ رِعْيَتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ ؟ قَالَ :
لَا تَعِدْ عِدَّةً لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا ؛ وَلَا يَفْرُغَنَّ الْمُتَّقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ
الْمُتَحَدِّرُ وَعَمْرًا ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتَ^(١) فَكُنْ عَلَى
حَذَرٍ . قَالَ عِيسَى بْنُ دَاوُدَ : فَخَدِثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَهْدِيِّ^(٢) وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا
إِلَى فِيهِ فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ وَيْحَكَ ! أَعَدَّ عَلَى فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لِقَمَتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ .

نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

قَالَ أَعْرَابِي لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنِّي أَكَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمَلَهُ
فَإِنْ وَرَاءَهُ إِنْ قَبِلْتَهُ مَا تَعْبَهُ . قَالَ : هَاتِهِ يَا أَعْرَابِي فَتَحَنَّنْ نَحْوَ بَسْعَةِ الْإِحْتِمَالِ عَلَى مَنْ
لَا تَأْمَنُ غَيْبَتَهُ وَلَا تَرْجُو نَصِيحَتَهُ وَأَنْتَ الْمَأْمُونُ غِيَا النَّاصِحِ جِيَا . قَالَ : فَإِنِّي سَأُطَلِّقُ^(٣)
لِسَانِي بِمَا تَحَرَّسْتُ عَنْهُ الْإِلْسَنُ تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ رِجَالُ أَسَاءُوا
الِاخْتِيَارِ لِأَنفُسِهِمْ وَابْتَاعُوا دِيْنَكَ بِدِينِهِمْ وَرِضَاكَ بِسُخْطِ رِبهِمُ وَخَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ
يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ؛ فَهُمْ حَرْبٌ لِلْآخِرَةِ وَسَلَمٌ لِلدُّنْيَا فَلَا تَأْمَنُ مِنْهُمْ عَلَى مَا أَثْمَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاذْكُرْ

(١) البغيات : جمع بغية وهي القبالة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها . (٣) فلان ناصح

الجليب : يراد به قلبه وصدره أى أمين ، قال الشاعر : * ونخشت صدرا جيبه لك ناصح *

(٤) ابتاع : اشترى .

لم يألوا الأمانة تضييعا والأمة كسفا وخسفا وأنت مسئول عما اجترعوا وليسوا مسئولين^(١) عما اجترمت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس عند الله غيبنا من باع آخرته بدنيا غيره . فقال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سلّات لسانك وهو سيفك . قال : أجل يا أمير المؤمنين لك لاعليك .

نصيحة فتاة لأبيها

قالت أعرابية تنصح أباها بجُحانة السرف: حبس المال، أنفع للعيال، من بذل الوجه في السؤال، فقد قلّ النوال، وكثر التجاليد^(٢). وقد أتلقت الطارف والتلاد^(٣)، وبقيت تطلب ما في أيدي العباد. ومن لم يحفظ ما ينفعه، أوشك أن يسعى فيما يضره .

نصيحة البديع الهمداني لوارث مال

كتب البديع الى بعض اخوانه يعزيه وينصح له :
وَصَلَّتْ رُقَّتْكَ (ياسيدي) والمصاب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جدير، ولكلك بالصبر أجدر . والعزاء عن الأحبة رُشد كأنه النقي، وقد مات الميت فليحى الحى، فاشدد على مالك بالخمس^(٤)، فانت اليوم غيرك بالأمس . قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وريّك، تضحك ويبكي لك . وقد وُلِّك^(٥) مما أُلِّف بين سراه وسيره، وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره . وسيعجم^(٦) الشيطان عودك فان استلّانك رمالك يقوم بقولون: خير

(١) ألا يألوا : يضر . يقال : إني لا آلوك نصفا أى لا أقصر ، وقال تعالى : "لا يألونكم خيالا" أى لا يقصرون في خيالك وفسادكم . (٢) التجال : جمع تجل وهو الولد . (٣) الطارف : المستحدث من المال وغيره . والتلاد : جمع تلد وهو عكس الطارف . (٤) يريد بالخمس الأصابع وهي مؤنثة في الأكثر . (٥) موله : اتخذ له مالا . (٦) السرى : سير الليل . (٧) عجم الود : ضمه ليعرف مبلغ صلاحه .

المال ما تُثْلِفُه بين الشراب والشَّباب، وتُثَفِّقُه بين الحَبَاب والأحباب، والعيش بين
 القِدَاح والأُفْداح. ولولا الاستعمال، لما أريد المال، فإن أطلعتهم فالיום في الشراب،
 وغدا في الخراب، واليوم وأطرباً للكاس، وغدا وأحرباً من الأفلاس. يامولاي ذلك
 الخارج من العود يسميه الجاهل قُراً، والعاقِل فقراً، وذلك المسحوع من النأى هو
 في الآذان زُمر، وفي الأبواب سُمُر. وإن لم يجد الشيطان مَغَمَرًا في عودك من هذا
 الوجه رمالك بأثرين يُمَثِّلُون الفقر حذاء عيذك، فتجاهد قلبك، وتحاسب بطنك،
 وتناقش عِرْسك، وتمنع نفسك، وتبوء في دنياك بوزرك، وتراه في الآخرة في ميزان
 غيرك. لا، ولكن قصدا بين الطريقين، وميلا عن الفريقين. لamenع ولا إسراف
 والبخل فقر حاضر وضير عاجل وإنما يخجل المرء خيفة ما هو فيه.

ومن يُثَنِّق السائِلات في جمع ماله خافه فقر فالذى فعل الفقر
 فليكن لله في مالك قِسْم، وللرَّوْءة قِسْم، فصل الرحم ما استطعت، وقدر إذا
 قطعت، فلاَن تكون في جانب التقدير، خير من أن تكون في جانب التبذير.

نصيحة أبي أذينة للأسود بن المنذر (٧)

قال أبو أذينة ينصح للأسود بن المنذر :
 ما كَلَّ يوم ينال المرء ما طلبا ولا يُسَوِّغُه المقيدار ما وهب
 وأحزم الناس من أن تُرْصَ عِرْصَت لم يجعل السبب الموصول منقضبا

- (١) حباب الماء والشراب : فقايقه التي تطفو كأنها القوارير . (٢) القداح : سهام الخمر
 واحدا قدح كقرد . والأفداح : جمع قدح بكيل وهو وطاء الشراب . (٣) الحرب : أن يسلب
 الرجل ماله وقد حرب ماله أى سلب ومن هذا قولهم : وأحربا . (٤) النأى : آلة للزمر (فارسي معرب)
 وقد تهمز ياقوه ، وقد جموع على نائيات . (٥) العرس : الزوجة . (٦) التقدير : التروية
 والتفكير في نسوة أمر . (٧) الأسود بن المنذر من ملوك الحيرة في الجاهلية وأبو أذينة أحد أقربائه .
 (٨) سَوَّغَه الأمر : أعطاه إياه . (٩) السبب : الحبل . والمنقضب : المنقطع .

وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكأس التي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بمجد سيف به من قبلهم ضربا
والمفولا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتسبق يزيد ! لقد رأيت رأيا يحمر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ان كنت شهما فاتبع رأسها الدنيا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبها^(١١)
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم : لم تعف حلما ولكن عفوه رهب^(١٢)
هم أهلة حسانت ومجدهم عال فإن حاولوا ملكا فلا عجب
وعرضوا يفداء واصفين لنا خيلا وإبلا تروق العجم والعربا
أيجلبون دما منا ونحلبهم رسلا لقد شرفونا في الورى^(١٣) حلبا
علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهب

وصية أعرابية لابنها

قال أبان بن تغلب : شهدت أعرابية توصي ولدا لها أراد سفرا وهي تقول :
أى بنى أجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك . أى بنى إياك والنيمة فانها تزرع
الضيعة وتفرق بين المحبين . وإياك والتمرض للميوس فتتخذ غرضا وخليق^(١٤)
أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام . وقليا^(١٥) اتورت السهام غرضا إلا كلبته حتى^(١٦)
يئس ما اشتد من قوته . وإياك والجود بدنيك والبخل بمالك . وإذا هزئت فاهرز^(١٧)

- (١) الجزر: القطع : يقال تركتهم جزرا السباع والطير أى قطعا . (٢) عفوه رهبا محذوف منه
إما خبر عفوه وإما فعله على أنه مبتدأ أرفاعل رهبا مفعول لأجله بدليل ما قبله . (٣) الرسل : اللين .
والحلب كطلب : الحلب . (٤) أبان بن تغلب : طاب من صداد أهل البصرة يروى عنه الأصمى كثيرا من
أخبار الأعراب . (٥) اتورت الشيء وتواروه وتبرروه : تداولوه فيما بينهم . (٦) كلبه :
جرسه . (٧) وهى كوى : ضعف . (٨) هززه : سألوه وأصله من هز الشجرة ليستقط ثمرها .

كريمًا يأن لمزك ولا تهزز اللثيم فانه محضرة لا ينفجر ماؤها . ومثل لنفسك مثال
ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء
لا يرى عيب نفسه . ومن كانت مودته يسره وخالف ذلك منه فعليه كان صديقه
منه على مثل الريح في تصرفها . قال أبان : ثم أمسكت فدنوت منها فقلت :
بالله يا أعرابية إلا زدته في الوصية . قالت : أو قد أعجبك كلام العرب يا عراق ؟
قلت : نعم ! قالت : والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع الحلم والسخاء
فقد أجاد الحيلة ^(١) ريطتها وسربالها .

وصية الرياحي لقومه

قال الرياحي في خطبته بالمربد ^(٢) :

يا بني رياح لا تحقرُوا صغيراً تأخذون عنه فاني أخذت من الليث بسائله ومن
الحمار صبره ومن الخنزير حرصه ومن الغراب بكوره ومن الثعلب روغانه ومن السنور ^(٣)
حصره ومن القرد حكايته ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره . ولقد تعلمت
من القمر سير الليل ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين .

وصية ذي الأصبع لابنه

لما احتضر ذو الأصبع العدواني دعا ابنه أسيداً فقال له :

يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش . واني موصيك بما إن
حفظته بلغت في قومك ما بلغته : أن جانبك لقومك محبوبك . وتواضع لهم يرفعوك .

(١) الربطة : الملاء ليست ذات لفتين . والسربال : القميص . والحلة : ما يلبس الانسان ،
ثوبان فأكثر (البدلة) . (٢) المربد : الجرين ثم صار طاعاً على موضع بالبصرة . (٣) الروغان :
الميل عن الشيء لتجنب الضرر . (٤) الضرع : الخضوع . (٥) هو حوثان بن الحارث خطيب
حكم شاعر فارس وهو أحد المعمرين في الجاهلية .

وَابْسُطْ لَمْ وَجْهَكَ يَطِيعُوكَ . وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ يُسَوِّدُوكَ . وَأَكْرَمَ صِغَارِهِمْ كَمَا
تَكْرَمُ كِبَارِهِمْ يَكْرَمُكَ كِبَارُهُمْ وَيَكْتَبِرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ . وَاسْمَحْ بِمَالِكَ وَأَعِزِّزْ جَارَكَ^(١)
وَأَعِنِ مِنْ اسْتِعَانِ بِكَ وَأَكْرَمَ ضَيْفِكَ وَأَسْرِعِ التَّهَضُّبَةَ فِي الصَّرِيحِ^(٢) فَإِنَّ لَكَ أَجْلاً
لَا يَبْعُدُوكَ . وَصِنِ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئاً فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُوكَ .

وصية عبد الله بن شداد لابنه^(٣)

قال الكلبي: لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابناً له يقال له محمد فقال :
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى دَاعِيَ الْمَوْتِ لَا يُقْلِعُ ، وَأَرَى مِنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ ، وَمَنْ بَقِيَ فَأَلِهِهِ^(٤)
يَتَرَعَّ . وَإِنِّي مَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا :

عَالِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَكِنْ أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ شُكْرُ اللَّهِ وَحُسْنُ النِّيَّةِ فِي السِّرِّ
وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّ الشُّكْرَ يَزِيدُ ، وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . وَكَنْ كَمَا قَالَ الْحُطَيْبَةُ :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنْ الْبَقِيَّةُ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُنُورًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتَقِيِّ مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبُ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ

أَيُّ بَنِي : لَا تَزْهَدَنَّ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ذَوْصُرُوفٍ ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ نَوَائِبٍ ،
عَلَى الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ ، فَكَمْ مِنْ رَاغِبٍ قَدْ كَانَ مَرْغُوباً إِلَيْهِ ، وَطَالِبٍ أَصْبَحَ مَطْلُوباً!
مَا لَدَيْهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّمَانَ ذُو أَلْوَانٍ . وَمَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْهَوَانَ . وَكَنْ أَيُّ بَنِي
كَمَا قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ :

(١) الجار : المجاور والذي أجرته من أن يظلم . (٢) الصريح : صوت المستنث وهو أيضاً
المنث واحداً أو أكثر . (٣) هو عبد الله بن شداد بن الهادي اللقي كان من رجالات العرافة
ومن ذوى المكاة عند الجلاج ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ويقال إنه قتل سنة ٨٣ هـ . (٤) نزع إليه
بكس : اشتاق .

وعدّ من الرحمن فضلا ونعمة عليك إذا ما جاء للعرف طالب^(١)
 وإن امرأ لا يُرتجى الخير عنده يكن هينا ثقلا على من يصاحب
 فلا تمنعنّ ذا حاجة جاء طالبا فانك لا تدري متى أنت راغب
 رأيت التوا هذا الزمان بأهله^(٢) وبينهم فيه تكون النوائب

أى بنى : كن جوادا بالمال فى موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق ،
 عيان أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البر ، وإن أحد يخل الخرافة بكتوم السر .
 وكان كما قال قيس بن الخطيم الأنصارى :^(٣)

أجودُ بكنون التلاد وانى بيسرك عن سآتي لخصين^(٤)
 إذا جاوز الإثنين سرفاته بنث وتكثير الحديث فبين^(٥)
 وعندي له يوما إذا ما ائتمنتى مكان بسوداء الفؤاد مكين^(٦)

أى بنى : وإن غلبت يهوى على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فان الكريم
 ييحتال ، والدينى عيال . وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا ، أقل ما تكون فى الباطن
 مالا ، فان الكريم من كرم طبيعته ، وظهرت عند الإنفاق نعمته . وكن كما قال ابن
 خنّاق العبدى :^(٨)

وجدت أبى قد أورثه أبوه خلا لا قد تعد من المعالى^(٩)
 فأكرم ما تكون على نفسى إذا ما قل فى الأزمات مالى

- (١) العرف : المعروف . (٢) التوا مصدر الترى وقصره للضرورة ، والتوى به الزمان : أعوج .
 رأوى به : أحلكه . (٣) شاعر من أهل يرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة .
 (٤) مهمل الشاعر همزة سأل الوزن . (٥) قطع همزة اثنين للضرورة . ونث الحديث : أفشاء .
 (٦) سوداء الفؤاد أو القلب وسويدائه وسواده وأسوده : حبه . (٧) الانتاد : الفقر .
 (٨) اسمه يزيد وهو شاعر قديم . (٩) قلت حركة الهمزة من أوردت الى الدال وحذفت هى الوزن .
 خالخلال : جمع خلة وهى الخصلة .

فَتَحَسُنْ سِيرَتِي وَأَصُونْ عِرْضِي وَيَجْمَلْ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأْيِ حَالِي
وَأَنْ تَلْتُ الْغِنَى لَمْ أَغْلُ فِيهِ وَلَمْ أَخْصُصْ بِحَقْوَرَتِي الْمَوَالِي^(١)

أى بنى : وان سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد؛ فانك ان
أَمْضَيْتَهَا حَيَالًا رَجَعَ الْعَيْبُ عَلَى مَنْ قَالَهَا . وكان يقال : الأريب العاقل ، هو الفطن
للمتغافل . وكن كما قال حاتم الطائي :

وَمَا مِنْ شَيْمَى شَتَمَ ابْنَ عَمَى وَمَا أَنَا مُخْلِيفٌ مِنْ رِيحِي
وَهَلْمَةِ حَاسِدٍ فِي غَيْرِ جُرْمٍ سَمِعْتُ فَقُلْتُ مَرَى فَأُفْهِدِي^(٢)
فَعَابُوهَا عَلَى وَلَمْ تَسُوْنِي وَلَمْ يَمْرُقْ لَهَا يَوْمًا جَبِيْنِي
وَذُو اللَّوْنَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيْقًا وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتِلِسِي^(٣)
سَمِعْتُ بِهِيْهِ فَصَفَحْتُ عَنْهُ حَافِظَةً عَلَى حَسْبِي وَدِيْ

أى بنى : لَا تُؤَاخِجْ أَسْرَأَ حَتَّى تَعَاشِرَهُ ، وَتَتَفَقَّدَ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ ، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ
الْعُسْرَةَ ، وَرَضِيتَ الْخُبْرَةَ ، فَوَاحِخْ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ ، وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْعُسْرَةِ . وكن كما قال
المُقَنَّنُ الكِنْدِيُّ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدَتْ إِخْلَاعُهُمْ وَتَوَسَّمَنْ فِعَالَهُمْ وَتَفَقَّدْ
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِي اللَّبَابَةِ وَالتَّقَى فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَيْنِ فَاشْدِدْ^(٤)
وَإِذَا رَأَيْتَ وَلَا مَحَالَةَ زَلَّةً فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حَلْمِكَ فَارْدِدْ

(١) غلا في الأمر ظلوا : جازوا الحد . والموالي : الأقارب . يقول إن أكثر ما لم أجف أقاربي .

(٢) حيا ل طرف في معنى أزاء . أى ان تركتها تذهب في طريقها الخ . (٣) في معنى هذا قول الشاعر :

ليس الغني سيد في قومه . لكن سيد قومه المتغابي

(٤) قفذه : جازه . (٥) ابتلى كالأى قصر . يقول : اذا غاب عنى ظن يقصر في نكاحي .

(٦) الخيرة وبشيرهاه : العلم بالشيء كالاختبار . (٧) هو محمد بن عميرة الملقب بقبة شاعر رصين المياني

حكيم المعاني من شعراء الدولة الأموية . (٨) اللبابة مصدر لب أى صار ذا لب وهو العقل ،

وكل ما قيل فاشدد من الشطر الثاني معمول له وتكررت الفاء كما كيدا للربط وكذا في البيت التالي .

أى بنى : اذا أحببت فلا تُفِرط ، واذا أبغضت فلا تُسَيطُ^(١) ، فانه قد كذا
يقال : أحبب حبيك هونا^(٢) ما عسى أن يكون بغيبك يوما ما ، وأبغض بغيبك
هونا ما عسى أن يكون حبيك يوما ما . وكن كما قال هذبة^(٣) بن الحشرم العذري :
وكن مقيلا للحلم وأصفع عن الخنا فانك راء ما حبيت وسامع
وأحب اذا أحببت حبا مقاربا فانك لا تدري متى أنت تازع^(٤)
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا فانك لا تدري متى أنت راجع

خطبة زياد البتراء

قديم زياد البصرة واليا لمعاوية ، وأليه خراسان وبيجستان ، والفسق بالبصرة ظاهر .
فاش نخطب أهلها خطبة بتراء (لم يحمده الله فيها) قال :

أما بعد فان الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغبى الموفى بأهله على النار
ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ،
ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعدّه من الثواب

(١) شط وأشط : جاوز الحد . (٢) الهون : الرق ، وما إما زائدة إما صفة لهُونا مثلها
في قوله تعالى : " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما " . (٣) هو شاعر من شعراء الدولة
الأموية جيد البديهة . وهو القائل :

ولست بمفراح اذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى للشر والشر تاركى ولكن حق أحل على الشر أركب

(٤) تزع عن الأمر تروا : انصرف واتهى عنه . (٥) هو زياد ابن أبيه تافهة من نوايج العرب
في السياسة وجد الظر وخطيب يمد في الخطباء المضاعف من الطراز الأول . قال الشهي : ما سمعت تنكبا .
فقط تكلم فأحسن الا أحيت أن يسكت مخافة أن يسيء . إلا زيادا فانه كان كلما أكثر كان أجود كلاما .
ولذلك ضرب به المثل في الخطابة . قال ابن عمار :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب ان كانت يمينك منبرا

توفى زياد سنة ٥٣ هـ . (٦) هذا كقولهم ليلة ليلاء وصوم صائم يراد به التوكيد .

الكرام لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمان السرمدي الذي لا يزول .
 أنكونون كن طرقت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ،
 ولا تذكرون أنكم أهدتم في الاسلام الحداث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف
 يقهر ويؤخذ ماله . ماهذه المواقير المنصوبة والضعيفة المسلوية في النهار الميصر والعدد
 غير قليل ؟ ألم يكن منكم جماعة تمنع القواة عن دجل الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة
 وباعدتم الدين ؟ تعتذرون بغير العذر وتفضون على المختلس . كل أمرئ منكم يذنب
 عن سفيه ، صبيح من لا يخاف طاقبة ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم
 السفهاء ، فلم يزل بكم ما تزون من قيايكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا
 وراءكم كنوسا في مكائس الرب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض
 هداما وإحراقا . اني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين ذ
 في غير ضعف ، وشدة في غير عنف . واني أقسم بالله لا أخذن الولي بالمول والمقيم
 بالظاعن والمقبل بالمدر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي
 الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قنائكم . ان كذبة
 المنبر يلقاء مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم مصيبي . واذا سمعتموها
 مني فاغتمزوها في واعلموا أن عندي أمثاله . من ثقب منكم عليه فانا ضامن لما
 ذهب منه ؛ فايأى ودج الليل فاني لا أوتى بمذليح إلا سفكت دمه . وقد أجلكم
 في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم . وإياي ودعوى الجاهلية فاني

(١) المواقير : جمع ماخوذ وهو بيت الرية (مغرب) . (٢) الثباة : جمع ناه . والقواة : جمع غاو .

(٣) الدجل : السير من أول الليل . (٤) الكنوس : جمع كنس كالكنس والكناس الطي يدخل في كناسه

وهو ما يأوى اليه . (٥) هذه العبارة مأخوذة من مثل أحله أن أخوين خرجا في طلب إبل لما

ركبان اسم أحدهما سعدا والآخر سعيدا كفرش فرجع سعد ولم يرجع أخوه . (٦) اغتمزه فيه : عذبه

من عيوبه . (٧) دعوى الجاهلية : قولهم بالغلان والفرض منها مناصرة العصبية لا إعلاء كلمة الحق .

لا أجد أحدا دعاه إلا قطع لسانه . وقد أحدثم أحدا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ؛ فمن غرق قوما غرقناه . ومن أرق قوما أرقناه . ومن نكب بيتا نقبتا عن قلبه . ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . فكفوا عن ألسنتكم وأيديكم أكفوا عنكم يدي ولساني . ولا يظهركم من أحد منكم رية بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بنى وبين أقوام آحن بفعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمي . فمن كان محسنا فليزد في إحسانه ومن كان مسيئا فليترع عن إساءته . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهيك له سيرا حتى يئدى لي صفحته^(٣) ، فإن فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدمونا سيئتر ومسرور بقدمونا سيئئس .

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعكم ذادة^(٤) ؛ نسوكم بسلطان الله الذي أعطانا ونزود عنكم بقر الله الذي حوّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما أولينا . فاستوجبوا عدلنا وفينا بمناعتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانته^(٥) ولا مجبرا لكم بعتا فادعوا الله بالصالح لا تمتكم فانهم ساستكم المؤدبون ، وكهفكم الذي اليه تأوون . ومتى يصلحوا تصلحوا . ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطلو له شرنكم ولا تدرى كوا

(١) الأحن : جمع أحن وهي المقد . (٢) جعل كلامه دبر أذنه : أطرحه .

(٣) صفة الرجل : عرض وجهه . يقول حتى يجاهرني بالدعوة . (٤) ذادة : جمع ذائد . كما أن ساسة جمع سائس . والدائد : المدافع . (٥) الفى : الغل يحدث بعد الزوال وانخراج . ونحوه مالا أرنةمة : ملكه . يقول ندفع عنكم بطل الله ونعمته التي منعا أرندفع عنكم بما صار في يده من أموال انخراج لأن المال قوة ، والأول أوجه . (٦) تجهير الجند أو البعث : إبقاؤهم في عملهم وحبسهم في أرض العدو .

حاجتكم؛ مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يعين كُلاً على كل . وإذا رأيتموني أنفد فيكم أمراً فاقبلوه على أذلاله ^(١) وأيم الله أن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

(٢) خطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا

صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنني أحذركم الدنيا فإنها خلوة خصرة حقت بالشهوات وراقت بالقليل وتعبت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتعلت بالأمانى وأزيفت بالفرور ؛ لاتدوم حبتها ولا تؤمن بجمعها ؛ غدارة ضرارة، وحائلة زائلة، وفائدة بائدة، أكالة غوالة، بدالة نقالة . لا تعدوا إذا هي تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى : ﴿ كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض فأصبح هشيأ تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ مع أن امرأ لم يكن منها في حبة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرّاها بطناً ؛ إلا منحنه من ضرّاها ظهراً . ولم تطله فيها ديمة رخاء ، إلا هطلت عليه حُرّة بلاء . وحرى إذا أصبحت له منتصرة ، أن تُسمى له خاذلة مُتنكرة . وإن جانب منها اعتذوّذ وب واحلّولى أمرٌ عليه جانب وأوْبى ، وإن

(١) يقال : أبر الأمر على أذلالها أى على أحوالها وطرقها التي تصلح لها . قيل روادح الأذلال ذلك وهو ما مهد من الطريق . (٢) هو أبو نعامه قطري بن الفجاءة التميمي كان رئيس الخوارج مدة طويلة . ولذلك يقول الحريري في المقامة السادسة : فقلده في هذا الأمر الزعامة ، تقلد الخوارج أبا نعامه . وكان مقداماً قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل :

وما للسر خير في حياة * إذا ما عد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ . (٣) الأزارقة : طائفة من الخوارج ينسبون إلى صاحب مذهبهم (عبد الله بن الأزدق) . (٤) الحبرة : النعمة . (٥) ظل المطر الأرض : نزل عليها . والديمة : مطريدوم من سكّون بلا رعد ولا برق . والمزقة : المطرة أو السحابة ذات الماء .

ليس أمرؤ من غَضَارَتِهَا ورَفَاهِيَتِهَا نَمًا، أَرَهَقْتَهُ من نَوَائِمِهَا قِيًا . ولم يُمَسْ أمرؤ
 منها في جناح أمن، إلا أصبح منها على قِوَادِمِ خوف، غَرَارَةٌ غُرُورٌ ما فيها، فأنه
 ما عليها . لا خير في شيء من زادها إلا التقوى . من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه ومن
 استكثر منها استكثر مما يُوبِقُهُ ^(٣) . كم واثق بها قد بَغَعَتْهُ وذى طُمَأْنِينَةٍ اليها قد
 صَرَعَتْهُ وذى احتيال فيما قد خدعته، ولم ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا، وذى نخوة
 فيها قد رَدَّتْهُ ذليلا، وذى تاج قد كَبَّتْهُ للدين وللغم . سلطانها دُولٌ، وعيشها رُقَى ^(٤)،
 وعذبتها أَجَاجٌ، وحُلُوهَا مَرٌّ، وَغِدَاؤُهَا سَمَامٌ، وأسبابها رِمَامٌ، وقطافها سَلْعٌ ^(٥) . حَيًّا
 بَعَرَضَ موت، وصَحَّيْحَهَا بَعَرَضَ سَقَمٌ، ومنيعها بَعَرَضَ احتضام . ملكها مَسْلُوبٌ،
 وَعَظْمُهَا مَغْلُوبٌ، وسليمها منكوب، وجامعها مَحْرُوبٌ ^(٦) . مع أن من وراء ذلك سَكَرَاتُ
 الموت وهَوَلُ المَطَاعِ والوقوف بين يدي الحُكْمِ العَدْلِ (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا
 ويمحزي الذين أحسنوا بالحسن) . أَلَسْتُمْ في مساكين من كان أطول منكم أَعْمَارًا،
 وَأَوْضَحَ آثَارًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا، وَأَعْتَدَ عِتَادًا، وَأَطْوَلَ عِمَادًا؟ تَعْبُدُوا ^(٧)
 لِلدُّنْيَا أَى تَعْبُدْ وَأَتْرُوهَا أَى لِيُثَارَ، وَظَنُّوْا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ . فهل بلغكم أن الدنيا
 سمحت لهم نفسًا بفدية وأغنت عنهم فيما قد أصْلَتْهم بحيلة ^(٨) ؟ بل قد أَرَهَقَتْهم ^(٩)
 بِالْفَوَادِحِ، وَصَغَفَتْهم بِالنَوَائِبِ، وَعَقَرَتْهم بِالمَصَائِبِ . وقد رأيتُم تَنَكَّرَهَا لمن
 دَانَتْ لها وآثَرَهَا وأَخْلَدَ إليها حتى ظَنُّوْا عنها لفراق الأبد، الى آخر الأمد . هل
 زَوَدَتْهم إِلَّا الشَّقَاءَ وَأَحَاتْهم إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لهم إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهم إِلَّا التَّدَامَةَ؟ ^(١٠)

(١) الغضارة : النعمة والسمة والخصب . (٢) الراحة والرفاهية : لين العيش .

(٣) أوبقه : أهلكه . (٤) الرقى : الكدر . (٥) السام : جمع سم . والرمام : البالي من

الحبال . (٦) السمع : بقلة خيبة العلم أو شحير مر أوسم . (٧) المحروب : المداوب المال .

(٨) العتاد : العدة وعند : صار عتادا حاضرا . (٩) يريد : خضعوا . (١٠) أَرَهَقَهُ : حمله

مالا يطيع . (١١) أخلد اليه : مال .

أنهذه تؤثرون أم على هذه تحيرون أم اليها تطمئنون ؟ يقول الله تبارك وتعالى :
 ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون أولئك
 الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .
 فبقيت الدارين أقام فيها ولم يكن على وجل منها . أعلموا وأتم تعلمون انكم تاركوها
 لا بد ، فأنما هي كما نعت الله عز وجل ﴿ لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
 في الأموال والأولاد ﴾ فاتعظوا فيها بالذين كانوا يبنون بكل ريع ^(١) يبشون ويتخذون
 مصانع لعلهم يغلدون ، وبالذين قالوا : من أشدنا قوة ؟ واتعظوا بمن رأيتهم من اخوانكم
 كيف جملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا ، وأنزلوا فلا يدعون ضيفانا . وجعل لهم
 من الضريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرفات جيران ؛ فهم جيرة لا يحيون
 داعيا ولا يمتعون ضيما . ان أخصبوا لم يفرحوا وان حطوا لم يقتلوا . جمع وهم آحاد ،
 جيرة وهم أبعاد . وهم يزرون ولا يسيرون . حباء قد ذهب أضعافهم ، وجهلاء
 قد مات أحقادهم ، لا ينشى جثثهم ، ولا يرحى دفعهم ، وهم كن لم يكن . قال الله
 تعالى : ﴿ فلكم مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾ .
 استبدلوا بظهر الأرض بطنا ، وبالسعة ضيقا ، وبالأكل غربة ، وبالنور ظلمة ؛ ففارقوها
 كما جاءوها حفاة عراة فرأى ؛ غير أن ظعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة وإلى خلود
 الأبد . يقول الله تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ .
 فاحذروا ما حذرکم الله واتتبعوا بمواعظه واعتصموا بحبله . عصمتا الله وإياكم .
 بطاعته ، وورزقتا وإياكم أداء حقه .

(١) الريع : المرتفع من الأرض أو كل شيء أو كل طريق . (٢) المانع : المباني من التصور

باب التأيين^(١) والمرائي^(٢) والتعازي

تأيين أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم
 دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى^(٣)
 بشوب فكشف عنه الثوب وقال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا وانقطع
 لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فغطمت عن الصفة وجللت عن
 البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء . ولولا أن
 موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس . ولولا أنك نبيت عن البكاء لأنفدنا
 طيك ماء الشئون . فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكذلك وإدناف^(٤) يتحالفان ولا يرحان .
 اللهم فأبلغه عنا السلام . اذكرنا يا محمد عند ربك ولتكن من بالك ؛ فلولا ما خلفت
 من السكينة لم نقيم لما خلفت من الوحشة . اللهم أبغ نبيك عنا واحفظه فينا .

تأيين السيدة عائشة لأبيها

لما توفي أبو بكر رضي الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت : نصر الله
 وجهك يا أبيت وشركك صالح سعيك ؛ فلقد كنت للدينيا مذلا بإدبارك عنها وللآخرة
 مئزا بإقبالك عليها . ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك
 وأعظم المصائب بعده فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض
 منك . وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك وأستقضي بالاستغفار لك . أما :

(١) التأيين : ذكر محاسن الميت والثناء عليه . (٢) المرائي : جمع مرافة أو مرئية .

من رثيت الميت بكية وعددت محاسنه ، وأكثر ما يكون شعرا . (٣) مسجى الميت : غطاء .

(٤) الشئون : جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين . (٥) الكمد : الحزن الشديد ، والأدناف : ثقل المرض .

لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا لقد قت بأمر الدين لما وهى شعبه وتفانم صدعه ورجفت.
جوانبه . فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك .

تأيين الأحنف بن قيس^(٦)

مات الأحنف بن قيس بالكوفة لمشى مُصعَّب بن الزبير في جنازته بشير رداء^(٧)
وقال قوم : مات سر العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت : لله درك^(٨)
من بجن في جنّ، ومُدْرَج في كَفَنٍ ؛ فلسال الذى بَجَعْنَا بموتك وإبتلانا بفقدك أن
يُجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرُّشد دليلك ، وأن يُوسِّع لك في قبرك ، ويفرّك .
يوم حشرك ، فوالله لقد كنت في المحافل شريفا ، وصلى الأرامل عَطُوفًا . ولقد كنت
في الحى مسودًا ، وإلى الخليفة موقِّدا . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرايك متبعين ..
« ثم أقبلت على الناس فقالت » : ألا إن أولياء الله في بلاده ، شهود عباده . وإني
لقائلة حقا ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحسن الشناء ، وطيب البقاء . أما والذى كنت
من أَجَلِهِ في مِلَّةٍ ، ومن الحياة الى مُدَّةٍ ، ومن المقدار الى غاية ، ومن الآثار الى نهاية ،
الذى رفع عملك ، لما قضى أجلك ، لقد عشت حميدا مودودا ، وميت سعيدا مفقودا ،
ثم انصرفت وهى تقول :

(١) وهى : ضف . والشعب : الاتصال والالتصام . (٢) خفاقم : خلم .
والصدع : الشق فى شئ . صلب . (٣) رجف : اضطرب شديدا . (٤) قلاء قل :
أبغضه وكذا قلبه . (٥) زرى عليه : عابه . (٦) اسمه الضحاك وكان سيد تميم فى عهده معروفا
بالعقل والدهاء والعلم والحلم الى ثبات جنان وحسن بيان ، وحياته مملوءة بجلال الأعمال وكريم العمال توفيه
سنة ٦٧ هـ . (٧) تلك كانت عاداتهم فى جنازات العظام . (٨) الدر : اللين والعمل ، وقد درك :
كلية تعجب . (٩) أجهه : ستره . والجفن : القبر ، ومن بدائع العربية أن مادة (ج ن ن) تدل
على الستر كالجن والجنون والجنة والمجن والمجنان والجنتين . (١٠) يقولون : مات فلان غير حميد
ولا فقيد أى غير مكترث لفقده انه تقوها : مفقودا ، تريد يحزن الناس فقده .

لله دَرَكٌ يا أبا بحر ماذا تغيب منك في القبر
 لله درك أى حشو ترى أصبحت من عُرْف ومن نُكْر
 ان كان دهر فيك جدّ لنا حَدَّثَانُهُ ووهت قوى الصبر^(١)
 فلکم يد أسديتها ويد كانت تُردّ جرائر الدهر

ثم انصرفت فمثل عنها فإذا هي أمرأته وابنة عمه فقال الناس : ماسمعا كلام امرأة قط أصلى ولا أبلغ منه .

تأين الإسكندر

لما جعل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدّم اليه أحد الحكماء فقال :
 كان الملك يحبّ الذهب وقد صار الآن الذهب يُخبّؤه .
 وتقدّم اليه آخر والناس يبكون ويمزعون فقال : حَرَكًا بسكونه .
 وتقدّم اليه آخر فقال : كان الملك يغلطنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس^(٢) .
 وتقدّم اليه آخر فقال : قد طاف الأرضين وتملكها ثم جعل منها في أربع أذرع .
 ووقف عليه آخر فقال : انظر الى حلم النائم كيف انقضى وإلى ظل الغمام وقد انجلى .
 ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُهَيِّلُ عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل
 ملك العباد ؟

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن
 رَحْب البلاد ؟

(١) حدّثان الدهر : نوابه . (٢) ذكر صاحب بلاغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام
 المنقرية . (٣) أخذ أبو التاهية هذا المعنى فقال :

وكانت في حياتك لى عطات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال آخر : أمات هذا الميت كثيرا من الناس لثلا يموت وقد مات الآن .

وقال آخر : ما كان أقيح اقراطك في التجبر أمس مع شدة خضوبك اليوم !

وقالت بنت دارا : ما علمت أن غالب أبي يُغَلَّب^(١) .

وقال رئيس الطباخين : قد نُضِدت النضائد وأُلقِيت الوسائد ونصبت الموائد^(٢) .

ولست أرى عميد المجلس .

تأيين القاضي أحمد بن أبي دواد^(٣)

قال أبو بكر بن دريد : كان ابن أبي دُؤاد مؤالفا لأهل الأدب من أى بلد

كانوا وكان قد ضم منهم جماعة يُعولم ويؤمنهم . فلما مات حضر بيابه جماعة منهم .

ولما طلع سريره تقدم إليه أحدهم فقال :

اليوم مات نظام الملك واللَّسن ومات من كان يُستعذى على الزمن

وأظلمت سُبُل الآداب اذ حجبت شمس المكارم في غيم من الكفن

وتقدم آخر فقال :

ترك المنابر والسرير تواضعا وله منابر لو يشأ وسرير

ولغيره يُحجى الخراج وإنما يُحجى إليه محامد وأجود

وتقدم ثالث فقال :

وليس قتيق المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الشاء الخلف

وليس صيرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تصف

(١) هي زوجة الاسكندر . (٢) النضائد : جمع فضة وهي ما يحشى من المتاع والوسادة ، ونضد

ونضد : وضع . (٣) كان القاضي أحمد بن أبي دواد غزير الأدب جم المروءات بذولا للعرف معواة

للهورف وكانت منزله من المعتصم والواثق ملكية بحيث كان يزاحم الوزراء . وربما تقدم عليهم توفي سنة ٤٠٤ هـ

رثاء الحسين بن مطير لمعن بن زائدة^(١)

وقال الحسين بن مطير يرى معن بن زائدة :

ألياً على معن وقولا لقبره سَقَتَكَ الغواذى مُرْبَعاً ثُمَّ مُرْبَعاً^(٢)
 فيا قبر معن أنت أول حُفْرَةٍ من الأرض خُطَّتْ للساحاة مُضْجَعاً
 بوايا قبر معن كيف وَارَيْتَ جوده وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعاً^(٣)
 بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ولو كان حياً ضِغْتِ حتى تَصْدَعاً
 حتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مَرْتَعاً
 بولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عِرْنَيْنُ المكارم أجدعاً^(٤)

قال محمود سامي باشا البارودي يرثى زوجه

وقد ورد اليه نعيها وهو بِسَرَنْدِيبَ

أَيَّدَ المنون قدحت أى زِنَادَ وأطريت آية شُعْلَةٍ بفؤادى^(٥)
 أو هنتِ عَزَمِي وهو حَمْلَةٌ فيلقى وحَطَمْتَ عودى وهو رِجٌّ طِرَادَ^(٦)
 لم أدْرِ هل خطب أَلَمٌ بساقتى فأناخ أم سهم أصاب سوادى^(٧)
 أَقْدَى العيون فأسبلت بمدامع تجرى على الخَسْدَيْنِ كالْفِرْصَادِ^(٨)
 ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاعَ لحادث حتى منيت به فأوهن آدى^(٩)

(١) شاعر من حضرمي الدولتين الأموية والعباسية وفان مذهبه في شعره شبيها بمذهب أهل البادية .

(٢) هو معن بن زائدة الشيباني أحد عظماء العرب وأجوادهم المشهورين قتل سنة ١٥١ هـ .

(٣) الفيت المربع : العام المنقح عن الزياد ، وضبطه التبريزي في شرح الحماسة بفتح الميم وتكلف في شرحه على ذلك . والفراوى : جمع غادية وهى السحابة تمطر غدوة . (٤) المترج : المقعم .

(٥) الرنين : الألف . (٦) الفياق : الجيش . والطراد : مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً .

(٧) سواد القلب : كسودائه . (٨) أسبلت السماء : أمطرت . والفرصاد : صبغ أحمر ،

(٩) الآد والآيد : القوة .

يادهر فيم بغتني بجيلة كانت خلاصة مدني وعنادي
 ان كنت لم ترحم ضنائي لبعدها أفلا رحمت من الأمي أولادي^(١)
 أفردتهم فلم ينم توجعا قرى العيون رواجف الأجداد^(٢)
 ألفين دُر عقودهن وضغن من دُر الدموع قلائد الأجياد^(٣)
 يبيكين من ولّه فراق حفيّة كانت لمن كثيرة الإسعاد^(٤)
 نغدودهن من الدموع نديّة وقلوبهن من الموم صوادي^(٥)
 أسليلة القمرين أيّ بغيّة جلت لفقذك بين هذا النادي
 أعزز على بأن أراك رهينة في جوف أغبر قائم الأسداد
 أو أن تبني عن قرارة متل كنت الضياء له بكل سواد
 لو كان هذا الدهر يقبل فديّة بالنفس عنك لكنت أول فادي^(٦)
 أو كان يهّب صولة من فائك لفعلت فعل الحارث بن عباد^(٧)
 لكنها الأقدار ليس بناجع فيها سوى التسليم والإخلاق^(٨)
 هيات بعدك أن تقرّ جوانمي أسفا لبعذك أو يلين مهادي
 ولّى عليك مصاحب لمسيرتي والدمع فيك ملازم ليو سادي
 فاذبا انتهت فانت أول فكرتي واذا أويت فانت آخر زادي
 ورد البريد بغير ما أمّنته نيس البريد وشاه وجه الحادي^(٩)

(١) الضنى : السقم . (٢) الأجياد : جمع جيد وهو موضع القلادة من البقي .

(٣) حتى به كرضى حارة فهو حاف وحفيّ واحتي وتحفيّ : بالغ في الإكراه وأظهر السرور والفرح وأكثّر

السؤال عن حاله . (٤) الصوادي : جمع صاد أو صادية من الصدى وهو العرش .

(٥) الحارث بن عباد من عظام بكر بن وائل وفرسانها ونجماتها وبه يضرب المثل في البأس والوفاء وهو

الذي أسرمها لهما في حرب اليسوس وغير ذلك طويل . (٦) الاخلاق : السكون .

(٧) شاه شوها : قبح . والحادي : الملاحق .

وَيَأْتِيهِ رُزْءًا أَطَارَ نَعِيهِ ^(١)
 بِالْقَلْبِ شُعْلَةٌ مَارِجٌ وَقَادُ
 لَا مَوَالٍ عَلَى جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا
 أَنَّ الْمَلَامَةَ لَا تَرُدُّ قِيَادِي
 سِرًّا نَسِيمٌ فَبَلَغَ الْقَبْرِ الَّذِي ^(٢)
 بِمَعَى الْإِمَامِ نَحِيْقِي وَوِدَادِي
 تَالَهُ مَا جَفَتْ دُمُوعِي بَعْدَ مَا
 ذَهَبَ الرَّدَى بِكَ يَا ابْنَةَ الْأَجَادِ
 فَمَلِكٌ مِنْ قَلْبِي السَّحِيحَةُ كَلَامُ
 نَاحَتِ مُطَوَّقَةٍ عَلَى الْأَعْوَادِ

نخبة مما قال المتنبي يرثي أم سيف الدولة ويعزيه

نَعِمْتُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْمَوَالِي ^(٣)
 وَتَقَتْنَا الْمُنُونِ بِلَا قِتَالِ
 وَتَرْتَبَطُ السَّوَابِقُ مُقَرَّبَاتِ ^(٤)
 وَمَا يُنْجِيْنِ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
 وَمَنْ لَمْ يَشَقِّ الدُّنْيَا قَدِيمًا ؟
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
 نَصِيْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبِ
 نَصِيْبِكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالِ
 رَمَانِي الدَّهْرِ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
 فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَبَالِ
 فَصُرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامُ
 تَكْسَرْتُ النَّصَالَ عَلَى النَّصَالِ
 صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقُنَا حَنُوطُ ^(٥)
 عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْكُفِّ بِالْجَمَالِ
 أَطْلَابُ النَّفْسِ أَنْكِ مَت مَوْتَا
 تَمْتَنِيهِ الْبَوَاقِ وَالْخَوَالِي
 يَمُوتُ بِقَبْرِكَ الْعَافِي فَيَكِي ^(٦)
 وَيَسْغَلُهُ الْبَكَاءُ عَنِ السَّؤَالِ
 وَلَوْ كَانَتِ النِّسَاءُ كُنْ فَقَدْنَا
 لَفَضَّلْتِ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ

(١) وبه أصله : ويل لأمه . والويل : العذاب . ثم ركبت الكلمتان واستعملتا للتعب

وفي الحديث وبه مسرحب . والنسى : الناحى . (٢) يريد الأمام الشافعى .

(٣) المشرفة : السيوف . والتمية الى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب تدفن من الريف وبها

كانت تصنع السيوف الجيدة . والعروالى جمع عالية وهى أهل الرمح . والمراد : الرماح . (٤) المقررات :

جمع مقرب أو مقربة وهو المكرم من الخليل . (٥) الحنوط والحناط : كل طيب يختلط ليط

(٦) العافى : طالب العطاء .

وما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهلل
وأجفع من فقدنا من وجدنا قِيلَ الفقد مفقود المثال
يدفن بعضنا بعضا ويمشى وأخرنا على هام الأوالى^(١)



أسيف الدولة استجد بصبر وكيف يمثل صبرك للجلال
وأنت تعلم الناس التعزى وخوض الموت في الحرب السجال^(٢)
وحالات الزمان عليك شقى وحالك واحد في كل حال
رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال^(٣)
فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

رثاء قويمين

قال أبو تمام يرثى ولدين قويمين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد ويعزیه :

بحمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجعة بالرياض نواضرا لأجل منها بالرياض ذوابلا^(٤)
لو يُنسأ أن لكان هذا غاربا للكومات وكان هذا كاهلا^(٥)
لحفي على تلك الخصال فيهما لو أمهلت حتى تكون شمائل^(٦)
لقدما سكونهما حجا وصباها حاما وتلك الأريحية نائل^(٦)

(١) الأوالى : الأرائل دخلها القلب المكافئ ثم الإعلال بالقلب ، ودفن مشددا لم يسمع والتياض يأباه .

(٢) الحرب السجال : التي يكون الغلب فيها متداولاً ، وهو من الوصف بالجمع فان السجال : جمع سجال وهو الدلو .

(٣) الخصال : المغير من وجهه ، ومراد الشاعر به المروج وقد عيب على الشاعر هذه المقابلة لأن المستقيم يقابله المروج .

(٤) نساء : أنهر . ونواذب البعير : ما بين سنامه وعقه .

(٥) الخائل : الخائن وهو جمع خيلة . (٦) الحجا : العقل جمه أجهاء . والأريحية : الارتفاع المعروف .

ابن الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن سيصيرُ بدرا كاملا
قل للأمير وإن تقيت موقرا منه يُريب الحادثات حُلّالا^(١)
ان تُرَزَّ في طرفي نهار واحد رُزَّأين هاجا لوعة وبَلّالا^(٢)
فالتقل ليس مضاعفا لمطيبة إلا اذا ما كانت وهما بازلا^(٣)

وقال أبو تمام يري محمد بن حميد الطوسي^(٤)

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر
توقيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر^(٥)
ولما كان إلا مال من قل ماله ودُخرا لمن أُمى وليس له دُخْر
وما كان يدري مجتدى جود كفه اذا ما استهلّت أنه خالق العسر^(٦)
ففي كلما فاضت عيون قبيلة دما تحكت عنه الأحاديث والذكر
ففي دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسه شطروفي جوده شطر
ففي مات بين الضرب والطن مية تقوم مقام النصران فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر^(٧)
وقد كان قوت الموت مهلا فردّه اليه الحفاظ المر والخلق الوهر^(٨)
غدا غنوة والحمد نسج رداؤه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

(١) الخلاخل : السيد الشجاع أبو الرزين . (٢) البلبال : جمع بليلة وهي شدة المم .

(٣) الوهم : البطل القلول في ضعف وقوة وضيق كان يعود عليه لأنها تقع على الذكر والأنثى كالكاذبة .

(٤) هذه المرأة من أحسن المراتي يروى أن أبا دلف قال لأبي تمام وددت أني مررت بهذه القصيدة

فان من رثي بمثلها لم يموت . (٥) السفر جماعة المسافرين . (٦) المجتدى : طالب الجدوى . واستهل

الطر : اشتد انصبابه . (٧) يقول : انه لم يقتل إلا بعد أن دافع دفاع الأبطال وقل سيفه من

كثرة الضرب وتكررت رماحه من متابعة الطعن . (٨) الحفاظ : الدفاع عن المحارم .

تردّي ثياب الموت حمرا فما دجأ^(١) لها الليل إلا وهي من سُندس خضر
 كأنّ بنى نهبان يوم وفاته^(٢) نجوم سماء نحر من بينها البدر
 يعزّون من ثاو تُعزّي به العلا ويكي عليه البأس والجود والشعر
 فقي كانّ عذب الروح لا من غضاضة ولكنّ كبرا أن يقال به كبر^(٣)
 فقي سلّته الخيل وهو حي لها وبزّه نار الحرب وهو لها جمر
 لئن أنقض الدهر انحلّون لفقده لعهدى به ممن يُحب له الدهر
 مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة فداة قوى إلا اشتت أنها قبر
 نوى فى الثرى من كان يحيا به الثرى وينمر صرف الدهر فأنله الغمر^(٤)
 عليك سلام الله وقفا فأنى رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال حافظ بك ابراهيم يرثى البارودى

ردّوا على بيانى بعد محمود إلى عيت وأعيا الشعر مجهودى
 ما للبلاغة غصني لا تطاوعنى ؟ وما لحبل القوافى غير ممدودى
 ظننت سكوتى صفيحا عن موّدته فأسلمتني إلى هم وتسبيد^(٥)
 ولودرت أن هذا الخطب أحمى لأطلقت من لسانى كل معقود
 لييك يا مؤنس الموتى وموحشنا يا فارس الشعر والهيّجاء والجود
 ملك القلوب وأنت المستقل به أنقى على الدهر من ملك ابن داود^(٦)
 لييك يا شاعرا ضن الزمان به على التهى والقوافى والأناشيد

- (١) يقول : تسريل بدمائه الحمراء ولم يأت الليل إلا وقد تبدلت ثيابا سندسية خضراء لأنه مات شهيدا . والسندس : ضرب من ورق الدياج .
 (٢) بنو نهبان : رطل محمد بن حيد ومحمد بن طلي .
 (٣) الغضاضة : المذلة .
 (٤) اللانائل : المعطاء . والغمر : الكثير .
 (٥) سبهه : أرقه أى لم يده ينام .
 (٦) ابن داود : سيدنا سليمان .

تجزى السلاسة في أشاء منطلقه
لو حنطوك بشعر أنت قائله
ليك ياخير من هنّ اليراع ومنّ
إن هذ رنك منكوبا فقد رفعت
إن المناصب في عزل وتولية
كم وقفة لك والإبطال طائرة
نسخت يوم كريد كل ما نقلوا
نظري أعداك في سلك الفتاة به
كانهم كلهم والموت قافية
أقول للآلئ الغادي بموكبه
غضوا العيون فان الروح يصحبكم
ياويحه حل فيه ذو قريحته
محمود! إني لا ستحيك في كلي
فاعذر قريضي واعذر فيك قائله

تحت الفصاحة جرى الماء في العود
مغثيت عن تفجات المسك والعود
هنّ الحسام ومن آبي ومن نودي
لك الفضيلة ركا غير مهودود
غير المواهب في ذكر وتخليد
والحرب تضرب صنديدا بصنديد
في يوم ذى قار عن هاني بن مسعود
على روي ولكن غير معهود
يرى به عري غير رعديد
والناس ما بين مكبود ومفتود
مع الملائك تكريما لمحمود
لها بخدر المعاني ألف مولود
حيا وميتا وإن أبدعت تقصيدي
كلاهما بين مضعوف ومحدود

(١) لي : قال ليك أي أجاب . (٢) الصنديد : السيد الشجاع .

(٣) يريد يوم كريد ثورة أهل كريد على الدولة العمانية ، وللباردى في قتال أهل كريد اذ ذاك موافق وصفها في إحدى قصائده . ويرم ذى قار يرم كان بين العرب والفرس بعيد الهمة ، وقد كان رئيس العرب هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني ويعرف بهاني بن مسعود وقد كان النصر للعرب على الفرس وقد أبلى هاني بلاء حسنا في هذه الحرب . (٤) الروى : الحرف الاخير في أبيات القصيدة كاللؤلؤ في هذه القصيدة . (٥) الرعيد والرعيدة : الجبان والتاء في الثاني للبالغة . (٦) المكبود : المصاب الكبد . والمفتود : المصاب الفؤاد . (٧) ذو معنى الذى : وهى لغة طي . (٨) المحدود : ضد المجودود أى الذى الحظ .

وقال أبو الحسن التّهاى يرئى ولده^(١)

حكم المنية في البرية جارى	ما هذه الدنيا بدار قَرارى
ينسا يرئى الانسان فيها مخبرا	حتى يرئى خبَرا من الأخبار
طبع على كدر وأنت تريدنا	صفوا من الأحران والأكدار
ومكلف الأيام ضدّ طباعها	مُتَطَلِّب في الماء جُدوة نار ^(٢)
وإذا رجوت المستحيل فأنما	تبني الزّجاء على شفير هارى ^(٣)
فالعيش نوم والمنية يقظة	والمرء بينهما خيال يمارى
فانقضوا ما ربكم عجلا، انما	أعماركم مفر من الأسفار
وتراكنوا خيل الشباب وبادروا	أن تستردّ فأنهن عوارى ^(٤)
فالدهر يخدع بالنى ويُنص إن	هنا ويهدم ما بنى بيّوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالما	خُلِق الزمان عداوة الأحرار
إلى وتريت بصارم ذى روثى	أعدته لطلّابة الأوتار ^(٥)
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت	منقادة بأزيمة المقدار ^(٦)
أثنى عليه بأثره ولو أنّه	لم يُعتَبَط أثيت بالآثار ^(٧)
يا كوكبا ما كان أقصر عمّره	وكذاك عمر كواكب الأنهار ^(٨)

(١) هو على بن محمد شاعر محسن أثنى عليه ابن بسام في النخبة، دخل مصر وقتل في القاهرة سنة ٤١٦ هـ

(٢) الجُدوة: ملثة: القطعة من النار. (٣) الشفير: جانب الشئ. وهار البناء والجرف: انهدع

يريد أن ينقض ما إذا انقضت فقد أنهار وأسم الفاعل من هار هار فاذا دخله القلب المكافى فهو هار كما في البيت. (٤) تراكنوا الخيل: التناهى بها، وقوله بادروا أن تسترد أى خشي أن تسترد أو بادروا استرداها. وخيل الشباب: ما فيه من قوة وعضوان. (٥) الطلبة: يريد بها الطلب ولم أثر على هذه الكلمة في اللسان والقاموس وليست ما يجاء به قياسا وليس التهاى ممن يحب بشعره. والأوتار: جمع وتر وهو الثارة. (٦) المقدار: القدر. (٧) أثر السيف: فرنده وروقة واعتبط: مات شأبا محضيا. (٨) في البيت.

منى دقيق وذلك أنه جاء بأبسه في كبره وشيخوخته فهو شبه بكواكب آخر الليل التي لا تظور إلا قليلا ..

وهلّال أيام مضي لم يستدِر
عجل الحسوف عليه قبل أوانه
واستل من أترابه ولداته
فكان قلبه قبره وكانه
إن يُعَبِّط صغرا قرب مُقَمِّم
إن الكواكب في علو محلها
ولد المُعَزَّى بعضه فاذا مضي
أبكيه ثم أقول معتذرا له
جاورت أعدائي وجاور ربه
أشكو بَعَادَكَ لِي وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةٍ
هِيَاثَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَسْبَابُ الرَّدَى
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرِيَتْ لَفَايَةُ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطَقٍ
أَخْفَى مِنَ الْبَرْحَاءِ نَارًا مِثْلَ مَا
وَأُخْفِضُ الزُّفَرَاتِ وَهِيَ صَوَاعِدُ
وَشَمَابُ نَارِ الْحَزَنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ

(١) بدرًا ولم يُتَهَلَّلْ لوقت سِرَّارِ
(٢) فحاه قبل مَظَنَّةِ الْإِبْدَارِ
(٣) كالمقلَّةِ اسْتَلَّتْ مِنَ الْأَشْفَارِ
(٤) فِي طَيْهِ سِرٍّ مِنَ الْأَسْرَارِ
(٥) يُبْدُو ضَمِيلَ الشَّخْصِ لِلنَّظَارِ
(٦) لَتَرَى صِغَارًا وَهِيَ غَيْرُ صِغَارِ
(٧) بَعْضُ الْفَسَقِ فَالْكَلِّ فِي الْآثَارِ
(٨) وَفَقْتُ حِينَ تَرَكْتُ الْأُمَّ دَارِ
(٩) شَتَانٍ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي
(١٠) لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتُ فِيهِ مِزَارِي
(١١) مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخَمْسَةِ الْأَشْبَارِ
(١٢) وَاضْطَالَّ عَمْرُكَ قَاطِعَ الْأَعْمَارِ
(١٣) فَبَلَغَتْهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ
(١٤) وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
(١٥) يَخْفَى مِنَ النَّارِ الزَّائِدُ الْوَارِي
(١٦) وَأُكْفِكُ الْعِبْرَاتِ وَهِيَ جَوَارِي
(١٧) أَوْرَى وَإِنْ عَاصِيَتَهُ مِتَّوَارِي

(١) السرار : تجريلة من الشعر . (٢) الإبدار : صيرورة القمر بدرا .

(٣) الأتراب : جمع ترب . والدات : جمع لدة كمدة ، وكلاهما بمعنى الظفر في السن . والأشفار : جمع

شفر وهو أصل منبت الشعر في لجن . (٤) فم الكوكب : يبلغ كبد السماء فصار على قه الرأس .

(٥) الشقة : المسافة . (٦) المضار : الموضع تضمر فيه التحليل . (٧) برحاء الحمى

وعزها : شدة الازدي . (٨) قوله متوار ، على تقدير مبتدأ محذوف مع فاء الربط أى فهو متوار .

وَأَكْثَفُ نِيرَانِ الْأَمَى وَلَوْ بَا غَلَبَ التَّصَبُّرُ فَارْتَمَتْ بِشَرَارِ^(١)
 ثُوبِ الرِّبَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَاثْنُكَ عَارِي
 قَصَّرْتُ جَفَوْنِي أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنُنَا أَمْ صُوِّرَتْ عَيْنِي بِلا أَشْفَارِ
 جَفَّتْ الْكُرَى حَتَّى كَانَ غِرَارُهُ عِنْدَ اغْتِنَاضِ الْعَيْنِ وَخَزِيرَارِ^(٢)
 وَلَوْ اسْتَرَارَتْ رَقْدَةً لَطَعَهَا بِهَا مَا يَنْ أَجْفَانِي مِنَ التَّيَّارِ^(٣)
 أَحْبَبِي اللَّيَالِيَ السَّامِيَّةَ وَهِيَ تُبَيِّتُنِي وَبَيِّتُنِي تَبْلُجُ الْأَمْحَارِ
 حَتَّى رَأَيْتُ الصَّبِيحَ تَهْتِكُ كَفَّهُ بِالضُّوءِ رَفَرَفَ خِيَمَةَ كَالْقَارِ^(٤)
 وَالصَّبِيحَ قَدْ غَمَرَ النُّجُومَ كَأَنَّهُ سَبِيلَ طُنَى فَعَطَفَا عَلَى النُّوَارِ^(٥)

وقال لبید بن ربیعۃ یرثی اخاه لامه اربد

يَكِينُنَا وَمَا تَبَلَّ النُّجُومُ الطُّوَالِغَ وَتَبَقَّى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعَ^(١)
 وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْثَافِ دَارِ مُظْلَمَةٍ فَصَارَ قَتْنِي جَارَ بَارِدٍ نَافِعِ
 فَلَا جَرَجٌ أَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَكُلَّ امْرَأَةٍ يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعِ^(٢)
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُومِهَا وَقَدْ دَوَّ بِالْأَفْعِ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ أَذْهِو سَاطِعِ^(٣)
 وَمَا الْبَرُّ إِلَّا مَضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَارِيَّاتٌ وَذَائِعِ
 أَلَيْسَ وَرَأَيْتُ إِنْ تَرَأَخْتُ مَبْتَنِي لَزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعَ^(٤)

- (١) الشرائك كتاب والشر: ما تطاير من النار واحدتهما بها. (٢) القراز: القليل من النوم.
 والفرد أيضا: حد الرمح والسهم والسيف. (٣) طعابه: ذهب به. والنيار: مرج البحر.
 (٤) الزرف: طرف الخيمة. (٥) النوار كزمان: الزهر أو الأبيض منه فقط. (٦) الباء-
 في قوله بآربد بمعنى من على نحو قولهم: لي منك صديق حميم. (٧) الندو والند واحد حذفت من
 الثاني لانه كما حذفت من يد ودم. والبلاغ: جمع بلقع وهو انخالي القفر وقد يوصف المقرود بالجمع
 وبالعكس فيقال: دار بلاقع وديار بلقع. (٨) يحور: يصير.

فلا تَبْعَدَنَّ إِنِّ المِنيَّة موعِد
علينا فَدَانِ الطُّلُوعِ وطالِع
أَتَجَزَّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدهرُ بالفتى؟
وأى كَرِيمٍ لم تُصِبه القَوَارِعُ؟
لعمرك ما تَدْرِي الطَّوَارِقُ بالحصى
ولا زاحرات الطير ما الله صانع

نخبة مما قال محمد بن كعب الغنوي يرثي أخاه^(٢)

تَقُولُ ابْنَةُ العَمَى قد شَبَّتْ بَعْدَنَا
وكلَّ أَمْرِي بِعَدِ الشَّبَابِ يَشِيبُ
وما الشَّيْبُ إِلَّا غَائِبٌ كَانَ جَائِيَا
وما القَوْلُ إِلَّا مَخْطِئٌ وَمُصِيبُ^(٣)
تَقُولُ سَلِمَى ما لِحِصْمِكَ شَاجِبَا
كَأَنَّكَ يَحْيِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبُ^(٤)
فَقُلْتُ ولم أَعْنَى الْجَوَابِ لِقَوْلِهَا
وللدهرِ فِي السَّمِّ الصَّلَابِ نَصِيبُ
تَتَابَعَ أَحْدَاثُ تَحَرَّرَ مِنْ أَخَوَتِي
فَشِيبَ رَأْسِي وَالخَطُوبُ تُشْدِيبُ^(٥)
لعمري لئن كَانَتْ أَصَابَتْ مَيِّتَةً
أُنحَى وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شُعُوبُ^(٦)
لَقَدْ كَانَ : أَمَّا حِلْمُهُ فَمَرْوَحُ
عَلَيْهِ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ^(٧)
أُنحَى مَا أُنحَى ! لَا فَاحِشَ عِنْدَ بَيْتِهِ
وَلَا وَرَعَ عِنْدَ اللِّقَاءِ هَيُوبُ^(٨)
أُنحَى كَانَ يَكْتُمُنِي وَكَانَ يُعِينُنِي
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تُتُوبُ^(٩)
هُوَ الْعَسَلُ الْمَذَى لِيْنَا وَنَائِلَا
وَلَيْثٌ إِذَا يَلِقَى الْعُدَّةَ غَضُوبُ^(١٠)

- (١) الطَّوَارِقُ : المتكهنات . (٢) كثر اختلاف أهل الأدب في أسم صاحب هذه القصيدة فقد ذكر صاحب البهجة أن اسمه محمد بن كعب ، وذكر البندادي والسبوتي أن اسمه كعب ابن سعد وقد سبقهما إلى ذلك القاضي في أماليه . وفي كل حال فالغنوي شاعر إسلامي .
- (٣) الشُّعُوبُ : الثغور من هزال أو رجوع أو سفر . (٤) حيي بالأمر وعييه : عجز عنه . وقد تدغم الياء ان . (٥) شعوب أي مفرقة وشعوب من أسماء المنيَّة . (٦) مروح عليه : مردود إليه والبراد لا يفارقه . وعزيب : بعيد . (٧) الفاحش : البغيث والورع (هنا) : الجبان الضعيف . والحَيُوبُ : الشديد الخوف . (٨) الماذى : المتخلص من العسل أو جديده أو بجده .

(١)	كأن يَبُوتَ الحَيَّ ما لم يكن بها	بسابس لا يلقى بهن عريب
	بَجُوعٍ خِلَالِ الخَيْرِ من كل جانب	إذا جاءَ جِيَاءَ بهن دُحُوب
	مُفِيدٌ مفيت الفائدات مُعَوَّد	(٢) لفعل الندى والمكرمات كُسُوب
	قنَى لا يبالي أن يكون يحسمه	إذا نال خَلَّات الكرام تُحْصُوب
	حَلِيفَ الندى يدعو الندى فيجيبه	سَرِيعاً ويدعوه الندى فيجيب
	قنَى أُرَيْحَى كَانَتْ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى	(٣) كما اهتزَّ من ماء الحديد قضيب
	إذا ما تراءاه الرجال تَحْفَظُوا	(٤) فلم يَنْطَفُوا الموراء وهو قريب
	حليم إذا ما الحلم ذَيَّنَ أهله	(٥) مع الحلم في عين المدق مهيب
	غَنِينَا بخير حِفْبة ثم جَلَّتْ	(٦) علينا التي كَلَّ الأثام تَصِيب
	فان تكن الأيام أحسن مرة	التي فقد عادت لمن ذُنُوب
	أنى دون حُلُو العيش حتى أمره	(٧) نُكُوب على آثارهن نكُوب

وقالت الفارعة بنت شداد ترى أخاها

(٨)	يا عين بَنَى لمسعود بن شداد	بكاء ذى صبرات تُجَبُّهُ بَادِي
(٩)	من لا يُذَابِلُهُ شحم السديف ولا	يُخَفُّ العيال إذا ما ضُنَّ بِالزَادِ
(١٠)	ولا يَحِلُّ إذا ما حل مُنْقَبِذًا	يُخْشَى الرِّزْيَةُ بين الماء والبادِي

- (١) البسابس : جمع بسبس وهو الفقر الخالي . ويقال : ما بالمكان عريب أى أحد ولا يستعمل في غير النقى . (٢) الحفيد : المستفيد . وأفاد مالا : استفاده . (٣) الأريحي : الذى يرتاح لفعل الخير ويطلب للعرف . (٤) العوراء : الكلمة الشائنة . (٥) لقد أجاد الشاعر الاحتراز في هذا البيت أيما أجاده . (٦) خنَى : أقام . والتجليج : الانقسام والمجموع . (٧) النكوب : جمع نكب وهو النكبة . (٨) الشجر : الحزن . (٩) السديف : شحم السنام وهو أجود شحم البعير . تقول : لا يذأثر بخيار الطعام وقت الفاقة دون ضيفه وعياله . (١٠) المنقبذ : المتنحى المفرد . تقول : لا يفرغ خيشة العفاة والضيقان .

(١)	قَوَّاحٌ مُبْهِمَةٌ، حَبَّاسٌ أَوْرَادُ	قَوَّالٌ مُخَكِّمَةٌ، نَقَّاضٌ مُبْرَمَةٌ،
(٢)	حَمَّالٌ مُضْلِعَةٌ، طَلَّاعٌ أَنْجَادُ	حَلَّالٌ مُمْرِعَةٌ، قَرَّاجٌ مُقْطِعَةٌ،
(٣)	مَنَّاغٌ مَغْلَبَةٌ، فَكَّاكٌ أَقْبَادُ	قَتَّالٌ مَسْقِبَةٌ، وَثَّابٌ مَرْقِبَةٌ،
(٤)	سَدَّادٌ أَوْهِيَةٌ، فَتَّاحٌ أَسْدَادُ	حَمَّالٌ أَلْوِيَةٌ، شَهَادٌ أُنْدِيَةٌ،
(٥)	زَيْنُ الْقَرِينِ وَنِكْلُ الظَّالِمِ الْعَادِي	جَمَاعٌ كُلُّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا
	يَوْمًا رَهَيْنَ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادُ	أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدُ فَكُلُّ قَتِي
(٦)	عِنْدَ الشِّتَاءِ وَقَدْ هَمُّوا بِأَنْجَادِ	هُوَ الْفَتَى يَحْمَدُ الْجِرَانَ مُشْهَدِ
	يَحْلُوهُ الْحَى أَوْ يَفْدُوهُ الْغَادِي	نِعْمَ الْفَتَى وَيَمِينُ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا
(٧)	مُتَعَجِّرٌ بَعْدَ مَا تَقَلَّى بِأَزْبَادِ	الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتَّبِعُهَا

(٨) وقال المعري في رثاء فقيه

(٩)	نَوَّحٌ بِأَكْ وَلَا تَرْنَمُ شَادِي	غَيْرُ مُجْمَدٍ فِي مَلَى وَاعْتِقَادِي
(١٠)	جَسَّ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِي	وَشَبِيهِ صَوْتِ النَّبِيِّ إِذَا قَدِي
(١١)	سَتَ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ	أَبْكَتْ تَلَكُّمَ الْحَامَةِ أُمَّ غَدَّ
	بِأَيْنِ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ حَادٍ؟	صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّأَ الرَّحْ

- (١) الأوراد: جمع ورد وهو القوم يردون الماء. (٢) المبرمة: الأرض المكنتة أو المنخبة. حاملة: النازلة الشديدة والمضلة: المثقلة. ويقال: هو طلاع أنجاد وطلاع أنجد وأنجدة وأنجدة أى ضابط للأموال غالب لها. (٣) المسغبة: الجوع. والمرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقب. (٤) الأوهية: جمع وهى كوزن وهو الشق فى الشيء وهذا جمع نادر لأن أفعله لا يجرى. جمعا إلا لاسم مذكر راعى قبل أنتم مذكراب وأخرية. (٥) يقال: انه لنكل شر اذا كان بلاد على أعدائه. (٦) تقول: هو المحمود المحضروقت التحط وقد هم الناس باطفاء النيران خشية قدوم الضيقان. (٧) المتعجبر: الدم الكثير. (٨) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله حكيم الشعراء وشاعر الحكماء حنابلة من نواحي العرب توفى سنة ٥٤٩ هـ. (٩) الشادى: المتغنى. (١٠) النبى والناسى: المتعجب بوفاء الميت. (١١) المياد: الكثير الاهتزاز.

خَفَّفَ الوَطءَ ما أَظُنُّ أَدِيمَ الـ
 وقبَّحَ بنا وإن قَسَّمُ العوْ
 مِيرانٍ اسطَعْتَ في الهَواءِ رُوَيْدَا
 رب لحد قد صار لحدًا مرارًا
 ودفن على بقايا دفين
 فاسأل الفرقدَيْنِ عمن أَحَسَّا
 كم أقاما على زوال نهار
 تعب كُلُّها الحياةَ فما أُمُ
 ان حُرْنا في ساعة الموت أضعا
 خُلقَ الناسَ للبقاء فَضَعَلْتُ
 انما يَقُولونَ من دارِ أعما
 حَبَّةُ الموتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ
 بان أمرُ الاله واختلف النسا
 والذي حارت البرية فيه
 واللبيب اللبيب من ليس يفتَرُ
 أرض إلا من هذه الأجساد^(١)
 د هوان الآباء والأجساد
 لا اختيالا على رُقَاتِ العباد^(٢)
 ضاحك من تراحم الأضداد
 في طویل الازمان والآباد^(٣)
 من قیل وأتسا من بلاد
 وأنارا يُنْدَجُ في سواد
 جب إلا من راغب في ازدياد
 ف سرور في ساعة الميلاد
 أمة يحسبونهم للنفاد
 ل الى دار شِفوة أو رشاد
 جسم فيها والعيش مثل السهاد^(٤)
 س فداغ الى ضلال وهادي
 حيوان مُسْتَعِدَّتْ من جماد
 بكوين مَصِيرُهُ للفساد

تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل يعزيه بآبن له :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عهد رسول الله الى معاذ بن جبل . سلام عليك
 غلاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فَعَظَّمَ اللهُ لَكَ الأَجْرَ ، وأَحمَكَ الصِّبْرَ ،

(١) أديم الأرض : وجهها . (٢) الرقات : تكلام وزنا ومعنى . (٣) الفرقدان : كوكبان من
 الكواكب لا يفيان وهذا هو السرفي الاختصاصهما بالسؤال . (٤) السهاد : الأرق . (٥) قال
 المنذليل : معنى قولهم في الكتب : أحمد اليك الله أي أحمد مملك الله ، وقال غيره : الى معنى عند أي أحمد عندك الله .

ورزقنا وإياك الشكر. ثم ان أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية وعوارفه^(١) المستودعة تمتع بها الى أجل معدود وتقبض لوقت معلوم ثم افترض علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى . وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة متمكك به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كثير . الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت. واحتسبت . فلا تجمعن عليك يامعاذ خصلتين أن يحيط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك .^(٢) فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطمت ربك وتنجزت موعوده عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . واعلم أن الجوع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا فأحسن الجزاء وتنجز الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد .^(٣)

وكتب بديع الزمان الهمداني يعزى بعض الرؤساء :

إذا ما الدهر جرعيل أناس حوادثه أناخ بآثرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سليلي الشامتون كما لقينا

أحسن ما في الدهر عمومته بالتوائب ، وخصوصه بالرغائب ؛ فهو يدعو الحفل^(٤) اذا أساء ، ويخلص بالنعمة اذا شاء . فليفكر الشامت فان كان أفلت فله أن يشمت . ولينظر الانسان في الدهر وصروفه والموت وصنوفه ومن فاتحه أسرته الى خاتمة عمره . هل يجد لنفسه أثرا في نفسه ؟ أم لتديره عوننا على تصويره ؟ أم لعمله تقديما لأمله ؟ أم لحيله تأخيرا لأجله ؟ كلا بل هو العبد لم يكن شيئا مذكورا خلق مقهورا ورزق

(١) الوارف : التمس ، مفردة طارقة .

(٢) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ينوي به وجهه الله .

(٣) أحبطه : أبطله .

(٤) تنجز حاجته واستنجزها : استنجزها ، والوعد سأل انجازه .

(٥) أى كان قد نزل ، فاقبل محذوف وهذا كثير بعد قد .

(٦) الجفل : الدعوة العامة وعكسها التقري .

مقدورا فهو يحيا جبدا ويهلك صبدا . وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم أصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا . والعاقل من رقع من جوانب الدهر ما ساء بما مرَّ ليذهب ما نفع بما ضرَّ فان أحب أن يحزن فلينظر يمينه هل يرى إلا محنة ، ثم ليعطف يسره هل يرى إلا حسرة . والموت — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — خطب قد عظم حتى هان وأمر قد خشن حتى لانب ونكر قد عم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وخبت حتى صار أقل عيوبها . ولعل هذا السهم قد صار آثرا ما في كآبتها وأنى ما في نجاتها . ونحن معاشر التابع نتعلم الأدب من أخلاقه والجميل من أفعاله فلا ننحس على الجليل وهو الصبر ولا نرغبه في الجزيل وهو الأجر فلا نغير فيهما رأيه ان شاء الله .

وكتب أبو الفضل الميكالى يعزى :

لئن كانت الرزية بمصيبته مؤيلة ، وطرق العزاء والسلوى مبهمة ، لقد حلت بساحة من لا تنتقض بها مرآته^(١)، ولا تضعف عن احتماها بصائر^(٢)ه، بل تلقاها بصدر فسيح، يتحامى أن يفتح الحزن بابه، وصبر^(٣) مشيح، يخشى أن يخبط الجزع أجره وثوابه . ولم لا وآداب الدين من عنده تلمس، وأحكام الشرع من بَنانه ولسانه تُستفاد وتقتبس، والعيون ترمقه في هذه الحالة لتجربى على سننه، وتأخذ بأدابه وسننه . فان تَمَرَّ القلوب فبحسن تماسكه عزأوها^(٤) ، وإن حسلت الأفعال فالى حميد أفعاله ومذاهبه اعتراؤها^(٥) .

(١) المرار : جمع مريرة وهى العزبة القوية . وانتقض : انحل أو ضعف .

(٢) المشح : الجاد فى الأمر ، والمراد هنا : البالغ العظيم .

(٣) التجلد : التجلد .

(٤) الاعزاء : الاتساب .

وكتب أبو الفضل الميكالى يعزى أبا عمرو البحرى :

سقى الله روحه ونور ضريحه ؛ فلقد طاش نبيه الذكر ، جليل القدر ، حقيق الثناء ^(١)
والنشر ، يتجمل به أهل بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودته ، ويفتخر الأثرو حاملوه ^(٢)
بتأخى بقائه ومسنده . حتى اذا تسنم ذروة الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه ^(٣)
كالنجوم الثواقب ، اختطفته يد المقدار ، ومحت آثاره بين الآثار . فالفضل خاشع
الطرف لفقده ، والكرم خالى الرغ من بعده ، والحديث يندب حافظه ودارسه ،
وحسن العهد يبكى كافله وحارسه .

جمع بين تعزية وتهنئة

لما توفى معاوية رحمه الله واستخلف ابنه يزيد اجتمع الناس على بابه ولم يقدروا
على الجمع بين تهنئة وتعزية حتى أتى حشد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال :
يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانك على الرعية ؛
فلقد رزيت عظيما ، وأعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر له على
ما رزيت ؛ فقد فقدت خليفة الله ، ومُنِحت خليفة الله ؛ ففارقت جليلا ، ووهبت
جزيلًا ؛ إذ قضى معاوية نَحْبَه ، فغفر الله ذنبه . ووُلِّيت الرئاسة ، فأعطيت السياسة ،
فأوردك الله موارد السرور ، ووقفك لصالح الأمور . ^(٤)

فاصبر يزيدُ فقد فارقت دَامِقَةً ^(٥) واشكر حِجَاءَ الذى بالملك أصفاكا
لا رُزءَ أصبح فى الأقوام نَعْلَاهُ كما رُزيت ولا عُقْبَى كعقبَاكا

(١) يقال : رجل عقى وامرأة عقى اذا كانا يبق بهما أثر الطيب طويلا وان كان قليلا .

(٢) المراد بالأثر حديث رسول الله لأن المتوفى كان به ضليما .

(٣) تسنم الشيء : علاه . (٤) النخب : الأجل والمدة .

(٥) المقة كمدة : الحبة ، والقفل كوحدة .

أصبحت وإلى أمر الناس كلهم فأنت تراءهم والله يراكم
وفي معاوية الباقي لنا خلف إذا نعت ولا تسمع بمنكا
فكان عبد الله أول من فتح الباب في الجمع بين تعزية وتهنئة فوجله الناس .^(١)
وقد أحسن جمال الدين^(٢) بن نُباتة إذ يقول معزيا

عن ملك ومهتأ بملك :

هنا عما ذاك العزاء المقدما فما حس المحزون حتى تبسم
تفور ابتسام في تفور مدامع شهبان لا يمتاز ذو السبق منها
تدثر بجاري الدمع والبشر واضح كوايل غيث في محي الشمس قد هي
سقى الغيث عنا تربة الملك الذي عهدنا بحياياه أعز وأكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذي تدانت به الدنيا وعز به الجنى
مليكان هذا قد هوى لغيره يرغى وهذا لأيسره قد سما
ودوحة فضل شاذوى تكانات فضن ذوى منها وآثر قد نى^(٣)
كأن ديار الملك قاب إذا انقضى به ضيغ أنشأ له الدهر ضيفا
فان لك أوقات المؤيد قد خلت فقد جددت عليك وقتا وموسما
هو الغيث ولّى بالثناء مشيما وأبقاك بحرا بالموهب مُفجما
إذا الغيث صلى خلف جدوك راكما ثلث عزمه للإعتراف فسلكا^(٤)
يراعك يوم السلم ينهل ديمعا وسيفك يوم الحرب ينهل في الدما

(١) كذا ذكر كثير من أهل الأدب، وروى أن غيره سبقه إلى ذلك . (٢) هو كاتب شاعر
أديب توفى سنة ٨٧٦هـ . (٣) شاذوى أى منسوب إلى شاذى وهو جد الملوك الأيوبيين فان أيوب .
ابن شاذى . (٤) يقول : إذا أراد الغيث أن يقتدى بك في فضله اضطره بحر طائلك أنه
يعترف لك بالفضل والقواق ، وفي البيت تورية بديعة في صلي وسلم ، وقطع حمزة اعتراف بالوزن .

فَعَشَ للورى واسلم سعيداً مهتاً فحظ الورى في أن تعيش وتسلم
أعدت زمان البشر والحدوث والنسب الى أن ملأت العين والكف والفا^(١)

تعزية عن ولاية

كتب حمدون بن نهران الى عامل عِزَل عن عمله :

بلغنى — أعزك الله — انصرفك عن عملك ورجوعك الى متراك فسُِررت
بذلك ولم أَسْتَفِظْ له وأَجْزَع له لعلنى بأن قدرك أَجَلٌ وأعلى من أن يرفعك عمل نتولاه
أو يضحك عزل عنه . ووالله لو لم تختر الانصراف وترد الاعتزال لكان فى لطف
تديرك وثُُوب رويتك وحسن^(٢) تأتيك ما تزيل به السبب الداعى الى عزلك
والباعث على صرفك . ونحن بأن نهشك بهذه الحال أولى مِنَّا بأن نعزلك ، إذ أردت
الانصراف فأوتيتَه وأحببت الاعتزال فأعطيته . فبارك الله لك فى مُنْقَلَبك وهناك النعم
بدوامها ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

(١) يقول : الى أن ملأت العين بهاء والكف عطاء والقم ثناء .

(٢) التائق : حسن الاحتيال لنيل المطلوب .

باب الاستعطاف والاعتذار

استعطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد لأجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أرضعت الرشيد مع جعفر وورثته في حجرها وفدته^(١) برسلها وكان الرشيد يشاورها مظهرًا لا كرامها ، والتبرك برأيها . وكان آلى وهو في كفالتها أن لا يحجبها ولا استشفعته لأحد إلا شفعتها . وآلت أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا ماذونا لها . ولا شفعت لأحد مقترف ذنبا . فكم أسير فكت ، وذهب عنده فتحت ، ومستغفلة^(٢) منه فرجت . فلما قتل ابنها جعفرا وحبس يحيى زوجها وسائر أهل بيته طلبت الإذن عليه ومشت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها . فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها مخفية في مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال : ظنر أمير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك فرب كيد غدتها ، وكربة فرجتها ، وعورة سترتها . فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخله

(١) ذكر صاحب المقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قطبة ، وذكر الطبري أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها حنابة وكذا صاحب نجباء الأبناء . وذكر بعضهم أن اسمها عبادة والله أعلم . (٢) كذا ذكر صاحب المقد ، وذكر الطبري أنها أرضعت مع الفضل ويؤيده قول سليمان الأعمى يرفى جعفرا ويستعطف الرشيد للفضل :

أمين الله في الفضل بن يحيى وضيقك والرضيع له ذمام

(٣) الرسل : اللين . (٤) المستنق : المنق . (٥) مت إليه : توسل بقراءة أرنحوها .

(٦) الظنر : المرضة .

مُخْتَفِيَةٌ قَامَ مُخْتَفِيًا حَتَّى تَلْقَاهَا بَيْنَ عَمَدِ الْمَجْلِسِ وَأَكْبَ عَلَى تَقْيِيلِ رَأْسِهَا وَمَوَاضِعَ مَدِيهَا
 حَمَّ أَجْلِسُهَا مَعَهُ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدُو عَلَيْنَا الزَّمَانُ ، وَيَحْفُونَا خَوْفَانَا لَكَ
 «الْأَعْوَانُ» ، وَيُحَرِّدُكَ عَلَيْنَا الْبَهْتَانُ ، وَقَدْ رَئَيْتُكَ فِي حِجْرِي ، وَأَخَذْتَ بِرِضَاعِكَ الْأَمَانُ
 مِنْ مَدُونِي وَدَهْرِي . فَقَالَ لَهَا : وَمَا ذَلِكَ يَا أُمَ الرِّشِيدِ ؟ قَالَتْ : ظَنَرْتُ بِحَيِّ وَأَبُوكَ
 بَعْدَ أَبِيكَ وَلَا أَصْفَهُ بِأَكْثَرِ مَا حَرَفَهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصِيحَتِهِ وَإِشْفَاقِهِ عَلَيْهِ ،
 وَتَوَعَّضُهُ لِيُتَّقِيَ فِي شَأْنِ مَوْسَى أَخِيهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَ الرِّشِيدِ أَمْرٌ سَبَقَ ، وَقَضَاءٌ حَمٌّ ،
 وَغَضَبٌ مِنْ اللَّهِ نَفَذَ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ يَحْوَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْهَى ﴾ وَيُنْهَى وَعِنْدَهُ
 أَمُ الْكِتَابِ . قَالَ : صِدْقٌ ، فَهَذَا مِمَّا لَمْ يَحْوَ اللَّهُ . قَالَتْ : الْغَيْبُ مُحْجُوبٌ عَنْ
 النَّبِيِّينَ فَكَيْفَ عِنْدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَاطَرَّقَ الرِّشِيدَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ :

وَإِذَا الْمُنْبَى أَنْتَسَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ ^(٥)

فَقَالَتْ بِغَيْرِ رُويَةٍ : مَا أَنَا لِحَيِّ بِتَمِيمَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَاوِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هَذَا بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَالْكَاطِمِينَ السَّيِّئَاتِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ فَاطَرَّقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : يَا أُمَ الرِّشِيدِ أَقُولُ :

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكِدْ إِلَيْهِ بُوْجِهَ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَقُولُ :

سَتَقَطُّعَ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَى كَفٍ تَبَدَّلُ ^(٦)

(١) أَمْرُهُ : أَعْضَاهُ يَجِدُ هُوَ . (٢) نَشِيرُ إِلَى مَا كَانَ أَرَادَ الْهَادِي وَهُوَ مُوسَى بْنُ الْمُهْدِي
 مِنْ حُرَبَانِ أَخِيهِ الرِّشِيدِ الْخُلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَقُتِلَ إِلَى وَلَدِهِ وَاحْتِيَالِ بِحَيِّ بْنِ خَالِهِ فِي رَدِّ الْهَادِي عَنْ عَرْسِهِ
 بِإِذْنِ ذَلِكَ جَهْدِهِ . (٣) سَمِ الْأَمْرِ : قَضَى وَقَدْ . (٤) أُمُ الْكِتَابِ : أَصْلُهُ أَرَالُوحُ
 الْمُحْفُوظُ . (٥) التَّمِيمَةُ : مَا يَمْلِكُ لِلْأَوْلَادِ مِنْ تَخَايَةِ أَوْ غَيْرِهَا دَفْعًا لِلْعَيْنِ أَوْ لِرُضٍ . (٦) الْبَيْنَانُ
 مِنْ تَصْدِيدِ مَعْنَى بَيْنَ أَرْسِ الْآيَةِ فِي بَابِ التَّنَابُ .

قال هارون : رَضِيت . قالت : فبه لي يا أمير المؤمنين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ترك شيئاً لله لم يُوجدْه الله لفقده " ^(١) فأكب هارون مياً ثم رفع رأسه يقول (لله الأمر من قبل ومن بعد) قالت : يا أمير المؤمنين (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) واذكربا أمير المؤمنين أليتك ما استشفعت إلا شفعني . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمُقرِّف ذنباً . فلما رآته صرَّح بمنعها ولأدَّ عن مَطلِّها ^(٢) أخرجت حُقا من زُرَّة ^(٣) خضراء فوضعت بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب فأخرجت منه خَفْضَه وذوائبه وشأياه قد غَمَسَتْ جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين أستمع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ليحيي عبدك . فأخذ هارون ذلك فليَّمه ثم استعبر وبكى بكاء شديداً وبكى أهل المجلس . فلما أفانق رمى جميع ذلك في الحُق وقال لها : لحسن ما حفظت الوديعة . فقالت : وأهل للكفاة أنت يا أمير المؤمنين . فسكت وأقبل الحُق ودفعه إليها . وقال : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قالت : والله يقول : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . ويقول : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي أن لا تمحجنني ولا تمتهني ^(٤) ؟ قال : أحب يا أم الرشيد أن تشتري حُكْمَ فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مُستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضائك عن لم يُسَخِّطك . قال : يا أم الرشيد أأمل على الحق مثل الذي لم ؟ قالت : بلى

(١) أوجده : أحزنه . (٢) الآلية : الخلف . (٣) لا ذليلاً : راغ وانحرف .

(٤) الزمرد والزمرد : من الأحجار النفيسة . (٥) استعبر : جرت عبرته وهي الدفعة قبل أن

تفويض . (٦) ما مصدرية . (٧) امته : ابتلاه وأهانه . (٨) يقول : أحب

أن تطلعي ما تشائين إزاء هذا القسم .

يا أمير المؤمنين أنت أعز عليّ وهم أحب إليّ . قال : فَتَحَكَّمِي فِي تَمَنِيَةِ بَغِيرِهِمْ . قالت :
كَلَّا . قد وهبته وجعلتك في حِلٍّ منه وقامت عنه وبقي مَبْهُوتًا مَا يَحِيرُ لَفْظَةً .

قال سهل بن هرون : وَخَرِجَتْ فَلَمْ تَعُدْ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَ لَهَا عِبْرَةً وَلَا سَمِعْتَ
لَهَا أُنَّةً .

استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون^(٣)

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأَدْخَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : هَيْدِ^(٤)
يَا إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ الثَّارِ مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ «وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»
وَمَنْ تَنَاولَهُ الْإِعْتِرَارُ بِمَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَسْيَابِ الشَّقَاءِ أَمْكَنَ قَادِيَةِ الدَّهْرِ مِنْ نَفْسِهِ وَقَدْ
جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ فَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ
وَأِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ . ثُمَّ قَالَ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
نَخَذَ بِحَقِّكَ أَوَّلًا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي عَالِيٍّ مِنْ الْكَرَامِ فَكُنْتُ

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : شَاوَرْتُ أَبَا إِسْحَاقَ وَالْعَبَّاسَ فِي قَتْلِكَ فَأَشَارَا بِهِ . فَقَالَ : فَا
قُلْتُ لَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ الْمَأْمُونُ : قُلْتُ لَهَا نَبَذُوهُ بِأَحْسَنِ وَتَسَامَرَهُ فِيهِ ، فَإِنْ^(٥)

(١) التَّيْمَةُ وَالْأَمْنِيَّةُ وَالْمَنِيَّةُ : بِمَعْنَى وَاحِدٍ . (٢) يُقَالُ : هُوَ لَا يَجِيرُ جَوَابًا أَيْ لَا يَرُدُّ .
(٣) كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَخُو الرَّشِيدِ لِأَبِيهِ قَدْ ادَّعَى الْخِلَافَةَ بَعْدَ قَتْلِ الْأَمِينِ وَقَبِيلِ حُودَةَ الْمَأْمُونِ .
مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادِ ثُمَّ خَلَعَ وَلَطَبَ عَلَى أَمْرِهِ فَأَعْنَى حَتَّى ظَفَرَ بِهِ .
الْمَأْمُونُ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بَارِعًا فِي الْأَدَبِ حَسَنَ الْفَنَاءِ بَعِيدَ الشَّرِّ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٢٤ هـ فِي خِلَافَةِ ابْنِ أَخِيهِ
الْمُعْتَصِمِ . (٤) هِيَ مِثْلُ أَبِيهِ لِلِاسْتِزَادَةِ أَوْ لِلِاسْتِنْقَاطِ فَهِيَ أَمْرٌ قُلٌّ . (٥) أَبُو إِسْحَاقَ هُوَ الْمُعْتَصِمُ
ابْنُ الرَّشِيدِ . وَالْعَبَّاسُ هُوَ ابْنُ الْمَأْمُونِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي تَصْوِيبِ رَأْيِهِمَا لِأَنَّ ذَلِكَ انْتَجَعَ فِي طَلَبِ الرِّضَا
وَأُتِغِيَ فِي دَفْعِ الْمَكْرِهِ مِنَ الْأَزْوَاجِ عَلَيْهِمَا فِي رَأْيِهِمَا . (٦) أَصْلُ الْاسْتِثَارَةِ : الْمَشَاوَرَةُ . وَالْمُرَادُ هُنَا التَّجَرُّبَةُ .

غيرَ قالله يُغَيِّرُ ما به . قال : أما أن يكونا قد نصحا في عظيم بما جرت عليه السياسة فقد
 قعلا وبلغنا ما يلزمهما وهو الرأي السديد ولكك أيت أن تستجلب النصر إلا من
 حيث عودك الله ، ثم استعبر باكا . فقال : له المامون ما يُبَيِّك ؟ قال : جدلا
 اذ كان ذنبى إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : لانه وإن كان قد بلغ جرئى
 استحلل دمي فإلم أمير المؤمنين وفضله يبلغنا عفوهُ ، ولى بعدها شفاعة الإقرار
 بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال المامون : يا ابراهيم لقد حُببَ إلى العفو حتى
 خفت أن لا أوجر عليه . أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقرؤوا اليانا بالجنايات .
 لا تُقَرِّبُ^(١) عليك . يغفر الله لك . ولو لم يكن في حق تسبك ما يبلغ الصفع عن جرئك
 قبلتك ما أملت حسن تنصيك ولطف توصلك ثم أمر رَدَّ ضياهُ وأمواله .
 فقال ابراهيم :

رَدَدْتُ مالى ولم تبخل علىَّ به وقبل رذك مالى قد حَقَّقْتُ دمي^(٢)
 وقام علمك بى فاحتجَّ عندك لى مقام شاهد على غير مُتَّهم
 فلو بذلت دمي أبهى رضاك به والمال حتى أسأل النعل من قدى
 ما كان ذاك سوى ماريَّة سلفت لو لم تهبها لكنت اليوم لم تُلم

استعطاف اسحاق بن العباس للمامون

قال المامون لاسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي وتأيدك
 له وإيقادك لئاره . فقال : والله يا أمير المؤمنين لأجرام قريش إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أعظم من جرئى إليك ، ولرحمى بك أمتن من أرحامهم ، وقد قال لهم كما
 قال يوسف (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) لا أخوته : ﴿ لا تريب عليكم اليوم .

(٢) حق الله : صاته .

(١) التريب : العزم والتعير بالذنب .

يفقر الله لكم وهو أرحم الراحمين) . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطول، ومُتَّيِّلٌ^(١) خلال العفو والفضل .

قال هيات : تلك اجرام جاهليَّة عفا عنها الاسلام وجُرمك جُرم في اسلامك وفي دار خلافتك .

قال : يا أمير المؤمنين فوالله للمُسلم أحق باقالة العترة وعُقران الذنب من الكافر . وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول : ((سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين العافين عن الناس والله يحب المحسنين)) . والناس يا أمير المؤمنين نِسْبَةٌ دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف .

قال : صدقت ، وَرَثَ بكَ زِنَادِي وَلَا بَرَحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَهْلًا كَ .

استعطاف الفضل بن الربيع للأُمون^(٢)

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل أكان من حق عليك وحق آباءى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تُثابِتَنِي^(٣) وتُحَرِّضَ على دمي ؟ أأُتَّحِبُ أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

(١) امثل طريقته : تبعها فلم يعبها . (٢) ورت بك زنادى ووقدت بك زنادى : مثلاً . يقالان لمن أنجده أو أروده . والمراد بهما الدماء . (٣) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعد نكبة البرامكة ثم وزير الأمين في خلافته . ويقال : انه هو الذى أوغر صدر الرشيد على البرامكة ~~سماهم على منزلهم وفيه يقول أبو نواس :~~

وليس على الله بمستنكر * أن يبيع العالم في واحد

فوق الفصل سنة ٢٠٨ هـ (٤) ثلثه : تنقصه وصرح به . قال الشاعر :

* لا يحسن المريض إلا ثلثاً *

فقال : يا أمير المؤمنين إن عذري يُحَقِّدُكَ إذا كان واضحاً جميلاً فكيف إذا أخفته العيوب ، وقبَّحته الذنوب ؛ فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك ، فانت كما قال الشاعر ^(١) فيك :

صَفُّوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغش بالكُرِّ مسلماً

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كانت تميم بن جميل السُّدُوسِيُّ ^(٢) قد خرج بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب فعظم أمره وبعُدَ ذكره ثم طُفِرَ به وحُمِلَ مُوثَقاً إلى باب المعتصم . فقال أحمد بن أبي دُوَاد : ما رأيت رجلاً عين الموت فما هالَه ولا شَغَلَه عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ؛ فانه لما مثل بين يدي المعتصم فأحضر السيف ^(٣) واليَظْع ، وأوقف بينهما ، تأمله المعتصم (وكان جميلاً وسيماً) فأحَبَّ أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره ؟ فقال : تكلم يا تميم . فقال : أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سُلالة من ماء مهين . جَبَرَكَ صَدْعُ الدِّين ، وَلَمْ يَكْ شَعْتُ ^(٤) المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأتخذ بك شهاب الباطل . إن الذنوب تُحَرِّس الألسنة الفصيححة . وتُغَيِّبُ الأفتلة الصحيحة . ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحججة وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرُّهما إلى أشبههما بك وأولاهما بكرك . ثم قال (على البديهة) :

(١) القائل : هو الحسن بن رباح . (٢) سدوس : بطن من بني شيان ثم من بني بكر .

(٣) هاله : أفرقه . (٤) الظن : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض . (٥) الصدع : الشق في الحائط ونحوه . (٦) الشعث : انتشار الأمر والأشياء المتفرقة .

أرى الموت بين السيف والنطع كما
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
وأى أمرى يأتى بعدد ونجاة
وما جزمى من أن أموت وإني
ولكن خلى صنيعة قد تركتهم
كأنى أراهم حين أنى إليهم
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة
وكم قاتل لا يُعبد الله روحه
فنبسم المعتصم وقال : كاد والله يا نعيم أن يسبق السيف العذل . قد وهبتك للصبيحة ، وغفرت لك الصبوة . ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه .

استعطف الجاحظ محمد بن عبد الملك الزيات

كتب الجاحظ الى ابن الزيات يستعطفه وقد تنكر له وتلون عليه :

أعاذك الله من سوء الفصَب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أطارك من القوة إلى حب الانصاف ، ورجح في قلبك إيشار الأناة ، فقد خفت — أيدك الله — أن أكون عندك من المنسويين الى تزق السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء . وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

- (١) أقلت : تخلف ونجا . (٢) أصلت السيف : استله من غمده . (٣) نمش وجهه : لطمه وهو من بابى ضرب وضرب . (٤) موتوا : كثر فيهم الموت . (٥) الصبوة : الزلة وجهلة الشباب . (٦) خلع عليه خامة : منحه بعض ثيابه وقد يراد به مطلق المعطاء . (٧) من بقاء الكتاب كان وزير المعتصم ثم الوراق لمساوى المتوكل نكبه وعطبه حتى مات سنة ٢٣٣ هـ (٨) تنكره : تغيره . (٩) السرف : مجاوزة الحد . (١٠) الأناة : الحلم والوقار . (١١) التزق : الخفة والعيش . (١٢) هكذا يقول الجاحظ وغيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع الأغاني .

وان امرأ أُنسى وأصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد
وقال الآخر: ^(١)

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

فان كنتُ اجترأت عليك — أصلحك الله — فلم أجترئ إلا لأن دوام تفاؤلك عنى
شبهه بالإهمال الذى يورث الإغفال، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة . ولذلك قال
عينية بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيراً لى منك أُرهبني فأنتفاني ^(٢)
وأعطاني فأغفاني . فان كنت لا تهب عقابي — أيدك الله — لخدمة فهو به لأياديك
عندى ، فان النعمة تشفع في النعمة ، ولا تفعل ذلك لذلك فعد الى حسن العادة ،
وإلا فافعل ذلك لحسن الأحذوة ^(٣) ، وإلا فأت ما أنت أهله من العفو دون ما أأ
أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتُجاني ^(٤) عن
عقاب المِصرح حتى إذا صرت الى من هفوته ذكرك ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف
الشكر إلا لك والإلحاح إلا منك هجمت عليه بالعقوبة . وأعلم — أيدك الله — أن شين
غضبك على تكرر صفحك عنى وان موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة
ذكرى مع اتصال سببى بك ^(٥) . وأعلم أن لك فطنة عليم . وغفلة كريم والسلام .

(١) من الناس من يروى هذا البيت في جملة أبيات لكعب بن زهير ، ومنهم من يرويه لعمد بن حازم
الباهل . راجع الأغاني . (٢) هوسيد بن ذبيان في صدر الاسلام وهو من سلالة حذيفة بن بدر
الفراري الذى كان السبب في حرب داحس والغبراء . (٣) أمناه : صيره قتيلاً . (٤) الأحذوة :
الحديث والسيرة ، جمعها أحاديث . (٥) تُجاني : تُباعد . (٦) أصر على القنب : استمر .
(٧) يقول : هفوته هى تذكر المفوة أوجرها على لسانه . (٨) التشبيه في هاتين الفقرتين من قبيل
عولم في التفضيل : المسأل أحلى من الخلل . يقول : إن مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصفح وإن مقدار
حوت الذكر عند الانقطاع مثل مقدار حباته عند الاتصال .

استعطاف رجل من أهل الشام للنصور

قال رجل من أهل الشام للنصور يستعطفه : يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشقى طرف من الجزع ، ولم يمدح أهل التقوى والنهى من كان حليما بشدة العقاب ولكن بحسن الصنع والاعتذار وشدة التغافل . وبعد فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مسترجع لشكرهم آمن من مكافاتهم . ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقة ، على أن إقالتك عثرات . عباد الله موجبة لإقالة شرك من ربههم وموصولة بعفوه ، وعقابك إيأهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

استعطاف رَوْح بن زَيْنَاع لمعاوية

أراد معاوية معاقبة رَوْح بن زَيْنَاع . فقال : يا أمير المؤمنين أُنشدك الله تعالى ألا تَضَع مِنِّي خَسِيْسَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا أَوْ تَنْقُضَ مِنِّي مَرِيْرَةً أَنْتَ أَمَرْتَهَا ^(٢) أَوْ تُسَمِّتَ بِدَعْدُوا أَنْتَ كَتَبْتَهُ ، وحاسدا بك وقتته ^(٥) ، وأسألك بالله ألا أُرَبِّي حَامِسَك على خطيئتي وصفحك على جهلي . فقال معاوية :

• إذا الله سنى عقد شىء يَلْعَمُرَا ^(٦) •

وعفا عنه

(١) الأولياء : الأهل والأقارب . (٢) المرية : الحبل الشديد القتل .

(٣) أريم الحبل : أجاد فله . والأمر : أحكمه . (٤) كبه : أذله وظافه وصرعه لوجهه .

(٥) وقته : قهره . (٦) سنى الشىء : فتحه وسهله وهذا شطرييت وهو :

وادم لها ليس بالظن أنه إذا الله سنى عقد شىء تيسرا

وقد أَلَمَّ المتنبى بقول رَوْحٍ إذ يقول :

أَزِلْ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَيْتِهِم فَاثَ الَّذِي صِيرْتَهُ لِي حُسْدًا
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حَسَنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتَ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدًا

(١) استعطف ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله :

تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي أَنْ كُنْتُ بَرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعِفْوَانِ كُنْتُ مَسِيئًا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأُطْلَبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَاتَّقِمْ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَحْرِفُهُ ، لِيَتَرَدَّدَ تَطَوُّلًا وَأَزْدَادًا
تَذَلُّلًا . وَأَنَا أَمِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ
يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْمِلَ حَقِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وَدِّي لَكَ ، وَيَحْمِلَ مِنْ رَجَائِكَ
بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ . وَالسَّلَامُ .

وكتب إليه :

لَوْ كَانَ فِي الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ حَالِي لَخَفَّفْتُ عَنْ سَمْعِ الْوَزِيرِ وَنَظَرِهِ وَلَمْ أَشْغَلْ
وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ . وَمَا زَالَتِ الشُّكُوى تَعْرِبُ عَنْ لِسَانِ الْبَلَوَى . وَمِنْ اخْتَلَتْ حَالُهُ
كَانَ فِي الصَّمْتِ هَلَكَتُهُ (٢) . وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصُرُنِي عَلَى سِتْرِ أُخْرَى حَتَّى خَذَلَنِي .

استعطف ابن مكرم لبعض الرؤساء

كتب ابن مكرم يستعطف بعض الرؤساء :

نَبَتْ بِي غِيْرَةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ ، وَقَادَتْنِي الضَّرُورَةُ نَفَقَةً بِأَسْرَاعِكَ
إِلَى وَإِنْ أَبْطَأْتَ عَنْكَ ، وَقَبُولِكَ لِعَذْرَى وَإِنْ قَصَّرْتَ عَنِّي وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة وكتابة وأدب فقد كان وزيراً وابن وزير
ابن وزير أما الكتابة فهو فيها مرق لأنه يرثها عن ثمانية آباء متتابعين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم
الهيبة شديد الأقدام سفاكاً لدماء وهو الذي دس لابن الرومي السم في الطعام خوفاً من لسانه ، توفي القاسم
سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون . (٢) التطول : الانعام . (٣) الهلكة : الهلاك .

سَدَّتْ عَلَى مَسَالِكِ الصَّبْحِ عَنِي فَرَاغَ فِي مَجْدِكَ وَسُودَّكَ ، وَإِنِّي لَا أَصْرِفُ مَوْفَا
أَذِلَّ مِنْ مَوْفَى لَوْلَا أَنَّ الْمَخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً^(١) أَذْنَى مِنْ خَطِيئِي لَوْلَا أَنَّهَا
فِي طَلَبِ رِضَاكَ .

استعطاف للخوارزمي

كتب أبو بكر الخوارزمي يستعطف :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءَ حَلَقِي شَرْقَ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(٢)

كيف يَقْدِرُ — أَيْقَى اللهُ الشَّيْخَ — عَلَى الدَّوَاءِ ، مِنْ لَا يَسْتَدِي إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءُ ؟
وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مِنْ لَا يَعْرِفُ الْأَعْدَاءَ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ ؟ أَمْ كَيْفَ يَسِرُّ بِلَا دَلِيلٍ
فِي الظُّلُمَاءِ ؟ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؟ الْكَرِيمُ — أَيْدَى اللهُ
الشَّيْخَ — إِذَا قَدَّرَ غَفْرًا ، وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلُقَ ، وَإِذَا أَسْرَأَ أُعْتِقَ . وَلَقَدْ هَرَبْتُ مِنْ
الشَّيْخِ إِلَيْهِ ، وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدَيْهِ ، فَلِيَذْنِبَنِي^(٣)
حَلَاوَةَ رِضَاكَ عَنِّي كَمَا أَذَانِي مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّي ، وَلِتَسْلُخَ^(٤) عَلَى حَالِي غُرَّةَ عَفْوِهِ كَمَا
لَا حَتَّ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْحُزْنَ كَرِيمَ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ أَقَالَ ، وَأَنَّ
اللَّيْمَ لَثِيمَ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ ، وَلِيَقْتَنِمَ^(٥) التَّجَاوُزَ عَنْ مَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ ، وَلِيَتَنَهَزَ قُورْصَ
الْاِقْتِدَارِ ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ اسْتَرْتِ ، وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مِنْ اعْتَذَرَ . وَفَقَى اللهُ تَعَالَى
الشَّيْخَ لَمَّا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ ، وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي جَهَنَّمَ أَعْدَائِهِ .

(١) الخطة بالغم : الحال أو القصة أو الطريقة ، وبالكسر ما يمتطيه الإنسان لنفسه من أرض .

(٢) الشرق بالماء كالنصبة بالطعام . والاعتصار : معالجة النقص بشرب الماء قليلا قليلا ؛ والبيت لعدى
ابن زيد المبادئ الشاهر الجاهل حرب قصيدة يستعطف بها النعمان بن المنذر . يقول إن الإنسان إذا غص
بالطعام طاب له الماء ، فإذا شرب الماء ، فإذا يصنع ؟ (٣) الرقة : عروة من حبل فيه عدة عرى
يشد بها الهم والحبل كله رقيق . (٤) لاح : ظهر . (٥) الفرة : بياض في وجه الحيوان . والمراد
هنا الأثر . (٦) المواسم : جمع موسم وهو المكواة . (٧) استطال : تطاول واعتدى .

اعتذار لسعيد بن حميد

(١) كتب سعيد بن حميد يعتذر :

أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه ، ولا يُعَاطِلُكَ عن جُرمه ، ولا يَتَمَسَّ بِرِضَاكَ إلا من
جَهَنَّةَ ، ولا يَسْتَدْعِي بِرِّكَ إلا من طَرِيقَتِهِ ، ولا يَسْتَمْطِقُكُ إلا بالإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ،
ولا يَسْتَمِيلُكَ إلا بالاعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ . نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ ، وَرَدَّتْ بِي إِلَيْكَ
الْحَنَكَةُ^(٢) ، وَبَاعَدَتْ بِي مِنْكَ الثِّقَةُ بِالْأَيَّامِ ، وَقَادَتْ بِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ
الصَّبِيْعَةَ بِقَبُولِ الْعَذْرِ ، وَتُجَدِّدَ النِّعْمَةَ بِإِطْرَاحِ الْحَقْدِ ، فَإِنَّ قَدِيمَ الْحَرَمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ
يُحَقِّقَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَإِنْ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةً ، وَالْمُنْعَةُ بِهَا وَإِنْ
كَثُرَتْ قَلِيلَةً .

اعتذار لأبي على البصير

كتب أبو علي البصير يعتذر :

أنا أحد من أَسْكَنَتْهُ ظِلُّكَ ، وَأَعْلَقَتْهُ حَبْلُكَ ، وَحَبَّوْهُ بِلُطِيفِ رِزْقِكَ وَخَاصِّ
عَنَائِتِكَ ، وَاتَّقَصَّفَ بِكَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَفْنَى بِإِخَائِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ؛ فَهُوَ لَا يَرْغِبُ
إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَتِمَدُّ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِجُ^(٤) طَلِبُهُ إِلَّا بِكَ . وَقَدْ كَانَ قَرِطٌ مَنَى قَوْلَ
إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي أَرَاكَ وَجْهَ مَذْرَى وَقَامَ عِنْدَكَ مُجْتَنِيٌ ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ الْإِيْمَانِ عَلَى
حَسَنِ نَبِيِّ ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى أَحَاقَ بِي لَأَمْنُكَ^(٦) ، وَحَسْبُنِي عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ عِنْدَكَ . وَقَدْ

- (١) هو من أولاد الدهاقين كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح أخذ عن الإمام ابن الأعرابي
ويؤخذ عليه أنه كان كثير الأخذ لكلام غيره . (٢) الحنكة : خبرة التجارب .
(٣) وصلته وقيدته بزمام مودتك . (٤) استنجح حاجته وتنجدها : تخرجها وطلب مجدها .
(٥) أزل الكلام وتأوله : فسره . (٦) أحاق : أنزل . (٧) الاثمنة : اليوم .

أَتَيْتَكَ مُعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ، مُسْتَكِينًا لِمَوْجِدَّةٍ عَائِذَا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقَرِّعِنَا
هَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي، وَلَا تَسْلُبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي، وَإِنْ تَقْتَصِرْ مِنْ عِقَابِي عَلَى الْمَكْرُوهِ
الَّذِي نَالَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ عَلَيَّ، وَتَأْمَرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا يُطَامِنُ هَلَلِي وَتُسْكِنُ إِلَيْهِ
خَفْسِي وَيَأْمَنُ بِهِ رُوحِي ^(٤) «فَعَلْتُ» إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

اعتذار للبديع

كتب البديع إلى القاسم الكرّجى يعتذر :

يعزلى — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوب فى خدمته قلمى، عن
تقدمى، ويسعد برؤيته رسولى، دون وصولى، ويرد شَرْمَةُ الْأُنْسِ ^(٥) به كتابى، قبل
يركابى . ولكن ما الحيلة والعوائق جَمَّةٌ ،

وعلى أنب أسعى وليد حس على إدراك النجاح

وقد حضرت داره، وقبلت جِدَّارَه، وما بى حب الجُدْران، ولكن شَفَقًا
بِالْقَطَّانِ، ولا عشق الحيطان، ولكن شوقًا إلى السَّكَّانِ ^(٦) . وحين عدت العَوَادَى
عنه أملت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا إلى مولاي عن تقصير وقع، وقُتُور
فى الخدمة عَرَضَ . ولكنى أقول :

إِنْ يَكُنْ تَرَكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكُنْ أَنْ لَا أَرَاكَ عَقَابًا

- (١) استكان : خضع وهو من السكون فوزنه اتصال بزيادة الألف للاشباع كما قالوا فى أنظُر (أنظور)
ويرى بعض الناس أنه من الكون وليس يوجبه لأن المعنى لا يبيته . (٢) الموجدة : الغضب .
(٣) يطامن : يمتنع ويحفظ . (٤) الرُّوع : القلب . والرُّوع : الفزع والخوف .
(٥) الشرقة والشرية والمشرقة : مورد الشاربة من الماء . (٦) ألم البديع هنا يقول الشاعر :

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغف على ولكن حب من سكن الديارا

(٧) منعت الموانع .

استعطاف عبد الله^(١) باشا فكرى

قال المرحوم عبد الله باشا فكرى فى استعطاف المغفور له توفيق باشا :

وَكَبَّرَ إِذَا وَاقَيْتَ وَاجْتَنَبَ الْكِبْرَ	كَأَنِّي تَوَجَّهَ وَجْهَهُ السَّاحَةِ الْكُبْرَى
قَبُولًا وَقَبْلَ سُدَّةِ ^(٢) الْبَابِ لِي عَشْرًا	وَقَفَّ خَاضِعًا وَاسْتَوْهَبَ الْإِذْنَ وَالتَّمَسَّ
لِذِي أَمَلٍ يَرْجُوهُ الْبَشَرُ وَالْبُشْرَى	وَبَلَغَ لَدَى الْبَابِ الْخَدِيوَى حَاجَةً
صَفُوحَ عَنِ الزَّلَّاتِ يَلْتَمِسُ الْمَذْرَا	لَدَى بَابِ تَمَحُّجِ الرَّاحَتَيْنِ مُؤَمِّلًا
إِذَا طَاشَ ذُو جَهْلٍ لَدَى غِيْظِهِ قَهْرًا	تَتَوَّاهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ بِحَالِهِ
فَيَرْحَمُ مِنْ فِي الْأَرْضِ رَفَقًا بِهِمْ طَرًّا	يُرَاقِبُ رَحْمَانَ السَّمَوَاتِ قَلْبَهُ
وَمِنْ أَرْجَى ^(٣) آلَاءِ مَعْرُوفِهِ الْعُمْرَا	مَلِكِي وَمَوْلَايَ الْعَزِيزِ وَسَيِّدِي
بِأَمْرِ فَقَدْ جَاءُوا بِمَا زُورُوا نُكْرًا	تَقْنُ كَانَتْ أَقْوَامٌ عَلَى تَقْوُلُوا
عَلَيْنَا إِلَهُ الْعَرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرًا	وَإِنْ مُعَاةَ السُّوءِ أُنْزِلَ فِيهِمْ
وَنَأْخُذُ مِنْهُمْ فِي مَسَاعِيهِمْ ^(٤) الْحِذْرَا	وَعَلَيْنَا أَنْ تَسْتَبِينَ مَقَالِهِمْ
وَبِالْبَابِ وَالْمِيزَابِ وَالْكُتْبَةِ الْغُرَا ^(٥)	حَلَفْتُ بِمَا بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمَرُمِ
لِمَا فَرَّطُوا فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا الْغُرَا	وَبِالْزَّائِرِيهَا يَرْجِعُونَ مَلِكِهِمْ
وَبِالصُّومِ يُؤْلِيهِ الْحَسَنِيُّ بِهِ شَهْرًا ^(٦)	وَبِالْمُصَلَّاتِ الْخَمْسِ يُرَبِّي تَوَابَهَا
وَلَا كُنْتُ مِنْ يَتْنِي مَدَى عَمْرِهِ الشَّرَا	لِمَا كَانَ لِي فِي الشَّرْبَاعِ وَلَا يَدُ

(١) عبد الله باشا فكرى من أكبر رجال الأدب فى عصره وكان حل ثائره فى الزمان يذهب فى شربه ونظمه
 حذبه البغاء من أهل الشأن توفى سنة ١٣٠٧ هـ . (٢) السدة : الطلة تكون يباب الدار وقد
 تستعمل بمعنى الباب نفسه . (٣) الآلاء : النعم . (٤) يشير بالبينين الى قوله تعالى :
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .
 (٥) الحطيم : جن من البيت الحرام . والميزاب : مسيل ماء المطر . والمراد ميزاب الكتبة خاصة .
 (٦) الحنفى بالهمزة : من يظهر السرور به .

ولكن تحتموم المقادير قد جرى بما الله في أم الكتاب له أجرى^(١)
 وفي علم مولاي الكريم خلافتي قديما وحسي علمه شاهدا برا
 فغفروا أبا العباس لا زلت قادرا على الأمر أن العفو من قادر أخرى
 «ملكتم فأنجيح» وأمنح العفو تبني زكاة لما أولاك ربك أو شكرا^(٢)
 أئجمل في دين المروءة أنني أكابد في أيامك البؤس والعسرا
 ولي فيك آمال صميمي بنجيها وفاؤك ، لا أرجو سواك لما ذنرا
 فمن فقد ألفت موضع منة وربك لا ينسى لذي منة أجرا

وقال النابغة الذبياني يتنذر للنعمان ويمدحه^(٣) :

أنيت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد^(٥)
 فلا لتمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد^(٦)
 ما إن نديت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي^(٧)
 إذن فعاقبني ربّي معاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالחסد^(٨)
 مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أئمر من مال ومن ولد^(٩)
 وأحكم حكم فقاء الحى اذ فطرت الى حمام شراع وارِد التمد^(٩)

- (١) قلنا أن أم الكتاب : الوح المحفوظ أو أصل الكتاب . (٢) الامحاج : أحسن العفو
 والبارة مثل . (٣) هو أبو أمانة زياد بن معاوية المرى ثم الذبياني أمام القوالين في الاعتذار .
 فقد أجاد فيه أجادة فات بها السالف وأئس من أدراكه الخالف توفي بين يدي الاسلام .
 (٤) هو النعمان بن المنذر ملك العرب في العراق قبل الاسلام . (٥) أبو قابوس كنية النعمان .
 (٦) الانصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب وتذبح عليها الذبايح لغير الله . والחסد : الدم اليابس .
 (٧) يقال : ماندت بشيء تكرهه أى ما أصبت منه شيئا ما وقد استشهد اللسان بهذا البيت .
 (٨) حمر المال : نماء ولا تقل استنره . (٩) الشراع : المشرقة أى مورد الماء . والتمد :
 الماء القليل .

يُخَفِّهُ جَانِبًا نَيْقًا وَيُتَّبِعُهُ مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْهَلْ مِنَ الرُّمْدِ^(١)
 قَالَتْ أَلَا لَيْتَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حِمَامَتَا أَوْ نَصْفُهُ فَقَدْ
 فَخَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ سِتًّا وَمِثْنِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
 فَكَلَّتْ مَائَةٌ فِيهَا حِمَامَتُهَا وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ^(٢)
 هُنَا الْفِرَاتُ (إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ تَرَى أَوَاذِيهِ الْعَبِيرِينَ بِالزَّبَدِ^(٣)
 يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَجِّجٍ لِحَبِّ فِيهِ رُكَّامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَصْدِ^(٤)
 يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَمِئًا بِالْخَيْرِ رَانَةً بَعْدَ الْآئِنِ وَالنَّجْدِ^(٥)
 يَوْمًا بِأَجُودٍ مِنْهُ سَبَبٌ نَافِلَةٌ وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ
 وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ وَمَا أَحَاطَنِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
 إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلْإِلَهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ^(٦)
 وَخَبِيسَ الْجَنِّ أَنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَنْتُونُ تَدْمُرُ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ^(٧)
 مِنْ أَطَاعَكَ نَافَعْتُهِ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ وَأَذَلَّهُ عَلَى الرَّشَدِ
 وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبُهُ مُعَاقِبَةٌ تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى صَمَدِ^(٨)

(١) النيق : أعل جزء من الجبل . (٢) يقول : أحكم حكما صائبا يحكم تلك الفتاة التي نظرت
 حماما يرد الماء في طريق ضيق بين جانبي جبل — وذلك أدعى لتراحه وشدة اختلاطه — فأتبعته حينما
 كان بحاجة لم ترمد بعد ولم تلبث أن قالت : لو أن لنا هذا الحمام ونصفه إلى حمامي لكان مائة . فأوفى قوله
 أو نصفه بمعنى الواو . وهذه الفتاة هي زرقاء البهامة فيما ترمي العرب وهي التي يقال فيها : (أبصر من زرقاء
 البهامة) ويقال أنها قالت إذ رأت ذلك الحمام : ليت الحمام له : إلى حمامتي : ونصفه قدي : ثم الحمام مبه .
 (٣) الأواذي : جمع آذى وهو الموج . وهو الوادي : شاطئه . (٤) الجب : المصوت .
 واليبوت : شجر الخشخاش . والخصد : نبت . (٥) الخيزرانة : سكان السفينة . والابن :
 النصب . والنجد : العرق والاعياء . (٦) حده : منه . والفند : الخطأ . (٧) خيس :
 ذلل . وتدمر : مدينة يبادية الشام كانت حاضرة ملك آل الفلرب من العاقلة لعهد الرومان . والصفايح :
 الحجارة المرصصة الرقيقة . (٨) الضمد : الحقد .

هذا الثناء فان تسمع لقاءه فلم أعرض أبيت اللعن بالصَّفْد^(١)
ها إن تي عذرة إن لم تكن نَفَعَتْ فان صاحبها قد تاه في البلد^(٢)

اعتذار الى بعض الملوك

قال سعيد بن مسعدة الأخفش : اعتذر رجل من العرب الى بعض ملوكهم
فقال : ان زَلَّيْ وإِنْ كَانَتْ قَدْ أَحَاطَتْ بِحُرْمَتِي فَاَنْ فَضْلِكَ يَحِيطُ بِهَا وَكَرَمُكَ يُوفِي
عليها ثم قال :

اني اليك - سلمت - كانت رحلتى أرجو الاله وصفحك المبذولا
إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي فأحط بذنبي عفوكم المأمولا

(١) الصَّفْد : العطاء . (٢) العذرة : الاعتذار . وتاه : ضاع .

باب العتاب واللوم والتأنيب

عتاب الخوارزمي لتلميذه

كتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذه له يعاتبه بعد خروجه من محنة :
 كتابي وقد خرجت من البلاء، خروج السيف من الحلاء، وبروز البدر من
 الظلماء، وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشاق اليه، وودعتني وهي مودع لا يُبكي،
 عليه؛ والحمد لله تعالى على محنة يُحليها، ونعمة يُبليها ويُوليها . كنت أتوقع بالأمس .
 كتاب الشيخ بالتسليّة ، واليوم بالتهنئة . فلم يُكاتبني في أيام البرء^(١) بأنها غمته .
 ولا في أيام الرءاء بأنها سرته . وقد اعتذرت عنه إلى نفسي، وجادلت عنه قلبي .
 فقلت : أما إخلاله بالأولى، فلا أنه شغله الاهتمام بها على الكلام فيها . وأما تغافله
 عن الأخرى فلا أنه أحب أن يُوفر على مرتبة السابق الى الابتداء، ويقتصر بنفسه .
 على عمل الاقتداء، لتكون نعم الله سبحانه على موفورة من كل جهة، وعحوفة بي من
 كل رتبة . فان كنت أحسنُ الاحتذار عن سيدي فليعرف لي حق الإحسان .
 وليكتب الي بالاستحسان . وان كنت أسأت فليخبرني بعذره، فانه أعرف مقى .
 يسره . ويُرض مني اني حاربت عنه قلبي، واعتذرت عن ذنبه حتى كأنه ذنبي .
 وقلت يا نفسي اغدري أخاك، وخذي ما أعطاك . فع اليوم غد والموعد أحمد .

عتاب البديع الهمداني لأبي القاسم الكرجي

كتب البديع الهمداني الى أبي القاسم الكرجي (يعاتبه) :
 إِنَّا وَإِنْ لَمْ أَتَقَطَّرْ^(٢) لَإِخْوَانِ إِلَّا بِالتَّطَوُّلِ^(٣)، وَتَحَامِلِ^(٤) الْإِرَارِ إِلَّا بِالتَّحَمُّلِ^(٥)
 أحاسب الشيخ — أيده الله — على أخلاقه، ضننا بما عَقَدَتْ يَدِي عليه من حسن الظن

(١) البرء : النقة . (٢) التطاول : الاعتداء والاستهانة . (٣) التطول : التفضل
 من الطول أى الانعام . (٤) التحامل : الجور . (٥) التحمل : الاحتمال .

به، والتغيير في مذهبه . ولولا ذلك لقلت : في الأرض مجال إن ضاقت ضلاله ،
وفي الناس واصل إن رثت حباله ^(١) ، فإن أعارني أذنا واعية ، ونفسا مُراعية ، وقلبا
رجوعا عن الذهاب ، ونزوا عما يقرعه من هذا الباب ، قرشت لمودته ^(٢) خُوان
صُدري ، وعقدت على محبته خنصرى مدّة عمري . وإن ركب من التعالى في غير
حركته ، وذهب من التعالى في غير مذهبه ، أقطعته خِطّة أخلاقه ، وولّيته جانب
إعراضه .

لا أدود الطير عن شجر ^(٣) قد بلوت المرّ من ثمرة

فإني وإن كنت في مُقْتَبَل العمر ، فقد حَلَبْتُ شَطْرِي الدهر ، وركبت ظهري
«البر والبحر ، وإقمت وفدى الخير والشر ، وصاحفت يدى النفع والضّر ، وضربت
إعطى العسر واليسر ^(٤) ، وبلوت طعمى الحلو والمر ، ورَضَعْتُ ثَدْيِي العُرفَ والُنكر .
فما تكاد الأيام تربي من أفعالها غريبا ، أو تُسمِعُنِي من أحوالها عجيبا ... فإ
لى صِغَرِ هذا الصَّغَرِ في عينه ، وما الذى أزدى بى عنده حتى احتجب وقد قصَدْتُهُ ،
ولزم أرضه وقد حَضَرْتُهُ ؟ وأنا أحاشيه أن يتجهل قَدْرُ القُضَل ، أو يتحَدَّ فضل العلم ،

(١) التغيير : الجِدُّ والامراع ، وأصله إمارة الغبار . (٢) يشير البديع بهذه العبارة الى قول

معين بن أوس :

وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى متحول

(٣) نزع عن الشيء : رجع : (٤) الخوان : ما يؤكل طيه . (٥) الخطة : الأرض التى
يخطها المرء لنفسه . والاقطاع : أن يعطى السلطان طاغية من الأرض وهذه تسمى قطيعة وجمعها قطاع ،
ومنها قطاع ابن طولون بين القاهرة والفسطاط . (٦) يقول : ان المرء لا يدفع الطير عن شجر لم يجن
منه الامر الثمر : وهذا مثل ضربه . (٧) حلب الدهر شطريه وأشطره : حثكته التجارب وقد
تقدّم شرحه . (٨) يقال : ضرب اليه آباط الابل أى سافر اليه طويلا حتى أن الابل التى ركبها
أصابت آباطها من كثرة السير . والمراد أنه لا يسن والعسر واليسر طويلا . (٩) أزدى به : أدخل
حاليه العيب .

أَوْ يَمْتَلِى ظَهْرَ التَّيَّةِ ، عَلَى أَهْلِيهِ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخْتَصِنِي بِفَضْلِ إِعْظَامٍ ، إِنْ زَلَّتْ
بِي قَدَمٌ فِي قَصْدِهِ مَرَّةً وَالسَّلَامُ .

(١) عَنَابُ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ لِبَعْضِ أَصْدِقَائِهِ

قَالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزَنِيُّ يِعَاتِبُ صَدِيقًا :

لَمَعْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّي لَأَوْجَلُ	عَلَى أَيْتَا تَعْدُو الْمُنْبِئَةَ ^(٢) أَوَّلُ
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْوُدُّ لَمْ أَحَلْ	أَنْ أَزُوكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَاكَ ^(٣) مِثْلُ
أُحَارِبُ مِنْ حَارِبَتْ مِنْ ذِي مَدَاوِ	وَأَحْبِسُ مَالِي إِنْ قَرِمْتَ ^(٤) فَأَحِلْ
وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَبَرْتُ إِلَى غَدٍ	لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلِ ^(٥)
كَأَنَّكَ تَسْتَفِي مِنْكَ دَاءً مَسَاءَتِي	وَتُخْطِئِي وَمَا فِي رِيَّتِي مَا تَجَّهَلِ ^(٦)
وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيِبُنِي	قَدِيمًا لِنُوصِغِ عَلَى ذَاكَ جَمَلِ ^(٧)
سَتَقَطِعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي	يَمِينِكَ فَانْظُرْ أَيْ كَفَ تَبَكَّلِ ^(٨)
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتَ حَبَالِكَ وَاصِلِ	وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مُتَحَوِّلِ ^(٩)
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصَيِّفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ	عَلَى طَرَفِ الْمِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَبْقَلِ ^(١٠)
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضَيِّمَهُ	إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ حَزَلِ ^(١١)
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبَ رَامٍ ظَنَنْتِي	وَبَدَّلَ سَوْمًا بِالذِّي كُنْتُ أَفْعَلِ

(١) هو معن بن أوس المزني شاعر مخضرم محسن في باب الحكم والشعر انطلق عمر الى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم . (٢) رجل ورجل وأرجل : خائف . (٣) حال : تغير . ويروي (لم أخص) وبزاه وأبزى به وبأزاه : ظلمه . وقد نقل الشاعر حركة الهزة الى النون وحذفها وهو لغة جلدة قرأ بها ورش . (٤) عقل عه : غرم ما زنه من دية . (٥) الرية : التهمة . يقول : ليس في تحتي وما يسوفني مظنة يجب أن تسجلها . (٦) رابح الأمر وأرابني : رأيت معه ما أكره . (٧) رث الحبيل وأرث : بلى . (٨) ضاه : ظلمه وقدمه حقه . والمزحل : المتنحي والمهرب .

قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْرَبِ فَلَمْ أَدُمْ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْتَ مَا تَحْمُولُ^(١)
إِذَا انصرفت فسمي عن الشيء لم تكد عَلَيْهِ بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ

عتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لبعض اخوانه
كتب عبد الله بن معاوية الى بعض اخوانه .:

أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك . وذلك أنك ابتدأتني
بِلُطْفٍ عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاء عن غير جريرة ، فاطمعتي أولئك في إخطائك ،
وأيستنى آتراك من وفائك . فلا أنا في اليوم بجميع لك أطراحا ، ولا أنا في غد
وانتظاره منك على ثقة . فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك ، عن
عزيمة الرأي فيك ، فاجتمعنا على اتلاف ، أو افترقنا على اختلاف . والسلام .

عتاب الوليد بن عبد الملك لأخيه سليمان

قال ثعلب : اشتكى الوليد بن عبد الملك وبلغه قوارص وتعرّض من سليمان
أب عبد الملك ويمن لموته لما له من العهد بعده . فكتب إليه يستب عليه وفي آخر كتابه :

(١) المحن : الترس وقلب له ظهر المحن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن ذلك .
(٢) جدّه جعفر بن أبي طالب وكان عبد الله بن معاوية خطيبا مغوها وشاعرا مجيدا وكاتبا بليغا خرج
بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ثم انتقل منها الى فواحي الجبل ثم الى خراسان فأخذه أبو مسلم وجبسه
ثم قتله ، ومن حكم شعره قوله :

لسنا وإن أحاسنا كرم يوما على الأحساب نتكل
بنى حكما كانت أراكلنا تبني وقعل مثل ما فعلوا
ورعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن حين السخط تبدى المساويا
وأنت أنسى ما لم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا
كلانا ضي من أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تفانيا

(٣) أجمع الأمر : صمم عليه . (٤) عزيمة الرأي : الرأي الواجب الاتباع .

تفتي رجال أن أموت وإن أمت فذلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم لئن مِتَّ ما الدَّاعى عَلَى بَحْثِهِ
مَنْبِئُهُ تَجْرَى لَوْفَت وَحَقُّهُ سَيَلَحُّهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
فقل للذي يبنى خلاف الذي مضى تنها لأخرى مثلها فكان قد

فكتب إليه سليمان :

قد فهمت ما كتب به أمير المؤمنين . فوالله لئن كنت تميت ذلك تأملا لما
يخطر في النفس إني لأقول لاحق به . وأقول منى إلى أهله . فعلام أئني ما لا يلبث
من تمناء إلا ريت ما يئيل السفر بمنزل ثم يقطعون عنه . وقد بلغ أمير المؤمنين
مالم يظهر على لساني ، ولم يرفى وجهي . ومتى سمع من أهل النيمة ومن لا روية
له أسرع ذاك في فساد النيات والقطع بين ذوى الأرحام .

وكتب في آخر كتابه :

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولا يسله الدهر صاحب

فكتب إليه الوليد :

قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، فما أحسن ما اعتذرت به وحذوت طيه . وأنت
الصادق في المقال ، الكامل في الفعل . وما شيء أشبه بك من اعتذارك ، وما شيء
أبعد منك من الذي قيل فيك ، والسلام .

وقال المتنبي يعاتب سيف الدولة على تسويته بأدعياء الشعراء
ويتهددهم على تعرضهم له

يا أعدل الناس إلا في معاملي كيف الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشعم فيمن شعمه ودم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
 سيعلم الجمع من ضم مجلسنا
 أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى
 الخليل والليل والبيداء تعرفى
 وجاهل مدته فى جهله ضحكى
 إذا رأيت نيوب الليث بارزة
 يا من يعز علينا أن نفارقهم
 ما كان أخلقنا منكم بتكريمة
 إن كان سرّكم ما قال حاسدنا
 وبيننا لو رجعتم ذاك معرفة
 كم تطالبون لنا عيباً فيعجزكم
 ما أبعد العيب والنقصان من شرفى
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
 شر البلاد مكان لا صديق به
 وشر ما فنصته راحتي فنص
 بأى لفظ تقول الشعر عذبة
 هذا خطابك إلا أنه مقة
 إذا استوت عنده الأنوار والظلم
 بأنى خير من تسعى به قدم
 وأسمنت كلماتي من به صمم
 والسيف والرحم والقرطاس والقلم
 حتى أنه يد فراسة وفم
 فلا تظن أن الليث يبيتهم
 وجداننا كل شيء بعدكم عدم
 لو أن امرئكم من أمرنا أم^(١)
 فما بالجرح إذا أرضاكم ألم^(٢)
 إن المعارف فى أهل النهى ذم^(٣)
 ويكره الله ما تأتون والكرم
 أنا الثريا وذان الشيب والمهرم
 أن لا تفارقهم فالراحلون هم^(٤)
 وشر ما يكسب الإنسان ما يهيم^(٥)
 شهب البزاة سواء فيه والرحم
 تجوز عندك لا غرب ولا نجم^(٦)
 قد ضمن الدر إلا أنه كلم^(٧)

(١) الأم : الوسط بين القريب والبعيد . (٢) يقول : ان المعرفة عند الغلاء بمثابة اليهود

الواجبة الرطابة . (٣) وصحه : طاب . (٤) زطاف كل شيء : حساسه .

(٥) المقة : المحبة .

عتاب سعيد بن حميد لبعض إخوانه

قال سعيد بن حميد يعاتب بعض إخوانه :

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلٌ	والدهر يَمِيلُ تَارَةً وَيُمِيلُ
لَمْ أَبِكَ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ	إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ ^(١)
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً	وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلَ
فَالْتَمَتُّونَ إِلَى الْإِخَاءِ عِصَابَةً	إِنْ حَصَّلُوا أَفْئَامَهُمُ التَّحْصِيلَ ^(٢)
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْمُنِيَةِ وَالرَّدَى	يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحْوِلُ
فَلَنْ سَبَقْتُ تَبْكِينَ بِحَسْرَةٍ	وَلَيَكُونَنَّ عَلَى مَنْكَ عَوِيلُ ^(٣)
وَلَتُفَجَّرَنَّ بِمُخْلَصٍ لَكَ وَآمِقٍ	جَلَّ الْوَفَاءُ بِجِلِّهِ مَوْصُولُ ^(٤)
وَلَنْ سَبَقْتُ - وَلَا سَبَقْتُ لِيَمِضِينَ	مَنْ لَا يَشَاكُلُهُ لَدَى خَلِيلِ ^(٥)
وَلَيَذْهَبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مُرْوَةٍ	وَلَيُفْقَدَنَّ جَمَالَهَا الْمَاهُولُ ^(٦)
وَأَرَاكَ تَكَلَّفَ بِالْعِتَابِ وَوَدَّ	صَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدَّ بَدَأَ لِلذَّوَى الْإِخَاءَ جَمَالَ	وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهِجَةٌ وَقَبُولُ
وَلَمَّا أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةً	فَعَلَّامَ يَكْثُرُ عِتَابُنَا وَيَطُولُ

لوم الخوارزمي لتلميذه

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى تلميذه له كابر في مجلس أدب :

بلغني أنك تأظرت، فلما تَوَجَّهْتَ عَلَيْكَ الْحُجَّةُ كَابَرْتَ، وَلَمَّا وَضَعَ نِيرُ الْحَقِّ^(٧)
عَلَى صُنْعِكَ تَجَبَّرْتَ وَتَضَاهَرْتَ . وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّكَ أَعْرِفُ بِالْحَقِّ مِنْ أَنْ

(١) صُرُوفُ الدَّهْرِ : نَوَائِبُهُ . (٢) صَدَعَ بَيْنَ الثَّيْبَيْنِ : فَارَقَ . (٣) وَمَقَّةُ كَوْمَدَه : أَحِبُّهُ .

(٤) قَوْلُهُ : وَلَا سَبَقْتُ جَمَلَةً دَعَائِيَةً وَهِيَ مِنَ الْطَلْفِ الْإِحْرَاسِ . (٥) مَزَلَّ مَاهُولٌ أَيْ طَامَرٌ فِيهِ أَهْلُهُ .

(٦) كَلَّفَ بِالْثَمَنِ : كَلَّفَا : أَحَبُّهُ . (٧) النَّيْرُ : الْخَشَبَةُ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى عَتَقِ الثَّوْرِ لِلْعَمَلِ .

تَعَقُّهُ ، وأهيب لمجابهة الإنصاف والمعدل من أن تَشُقَّهُ . كأنك لم تعلم أن لِسَانَ الضَّجَرِ ناطق بالعجز وأن وجه الظلم مُبْرِقٌ بالقُبْحِ . وأنت إذا استدركت على تقد الصَّيَارِفَةِ ، وتلبت خطأ الحكماء والفلاسفة ، فقد طَرَقَتْ^(١) إلى عيبك لعائبك ، ونَصَرْتَ عَدُوَّكَ على صاحبك . وقد نَجَّيْتُ من حسن ظنك بك ، وأنت إنسان والله المستعان .

تأنيب ابن مُكْرَمٍ لأبي العيناء^(٢)

قال أبو الحسن الأخفش : كتب محمد بن مكرم الى أبي العيناء :
أما بعد فاني لا أعرف للعروف طريقا أومر ولا أحرز^(٣) من طريقه إليك ، ولا مستودعا أقل زكاة^(٤) وأبعد غنا من خير يُحِلُّ عندك ؛ لأنه يصير منك الى دين ردىء وليسان بذىء وجهل قدملك عليك طباعك ؛ فالمعروف لديك ضائع والصنعة عندك غير مشكورة . وإنما غرضك من المعروف ان تُحِرِّزَهُ وفي مواليه أن تَكْفُرَهُ .

تأنيب معاوية لابنه يزيد

كتب معاوية بن أبي سفيان الى ابنه يزيد وقد بلغه مُقَارَفَتُهُ لِلذَّاتِ وانهماكه في الشهوات :

أما بعد فقد أدت ألسنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما بَقِيَ الأمل فيك ، وباعد الرجاء منك ؛ إذ ملأت العيون بهجة ، والقلوب هيبة ، وترامت اليك آمال

(١) طرقت الى كذا : فتحت اليه الطريق . (٢) أبو العيناء من أدباء القرن الثالث كان معروفا بجودة البديهة وحضور الجواب وشدة المارضة وسياق في من أحاديثه وكان يته وبين ابن مكرم مداعبات كثيرة توفي سنة ٢٨٣ هـ . (٣) الحزن من الأرض : الغليظ . (٤) الزكاة هنا : الزيادة . (٥) قارب الذنوب : قاربها وخالطها . (٦) ترامت اليه العيون : تطلعت .

الراغبين ، و هم المنافسين . فَسَخَّتْ بك فتیان قریش و كهول أهلک ، فسا يسوغ لهم ذكرک إلا على الحرة المبهوة ، والكظ الجش^(٢) . انقحمت البوائق^(٣) ، واقطعت الى المعابر ، واعتصمتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر . فليتک — یزید — اذ كنت لم تكن ، مررت يا فاعا ناشئا ، واقطعت كهلا ضائما^(٤) . فواحرزناه عليك یزید ! ويا حرصدر المثلک بك ! ما اشمعت فتیان بنی هاشم ! وأذل فتیان بنی عبد شمس عند تفاوض المغائر ودراسة المناقب ! فمن لصلاح ما أنسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيات ، تمشت^(٥) الدربة وجه^(٦) التصبر بك . وأبت الجناية إلا تتحدرا على الألسن وحلاوة على المناطق . ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها ! انتبه « یزید » لليلة ، وشاور الفكرة . ولا تكن الى ممعك أسرع من معناها الى عقلک . واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزنرفة السلطان ، مما حسن قبحه واحلولى عندک مره ، أمر شركك فيه السواد ، ونافسك^(٧) الأبعد . فاضعت به من قدرک وأمكنت به من قبضک فمن لهذا كله ؟

اعلم يا یزید أنك طريد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للالهى والمزامير كما قال تعالى : ﴿ أتنبئون بكل ريح آية تعذبون وتغفلون مصانع لعلكم تغفلون^(٨) ﴾ وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندک جهرا .

اعلم يا یزید ان أول ما سلبك^(٩) الشکر معرفة مواطن الشکر لله تعالى على نعمه المتظاهرة والآية المتواترة ، وهى الجراحة العظمى . والفجعة الكبرى ترك الصلوات

(١) الجرة : ما يفيض به البعير فأكله ثانية ، وكذا غيره من النعم . والمبهوة : من هو به أى قيامه وهذا تمثيل : يقول : إنهم يستقلون ذكرک . (٢) الكظ : الامتلاء من الطعام والجش : الكثير وهذا تمثيل أيضا . (٣) البوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٤) الضائم والضليج : القوى . (٥) تمش : تعلم . (٦) الدربة : التجربة . (٧) السواد : العامة . (٨) تغفلون : تنسى . شرح غريب الآية فى خطبة قطرى .

المفروضات في أوقاتها، وهي من أعظم ما يحدث من آفاتنا، ثم استحسان العيوب، وركوب الذنوب، وإظهار العورة، وإباحة السر. فلا تأمن نفسك على سرك، ولا تعقد^(١) على فعلك. فما خير لذة تُعقب الندم، وتغنى^(٢) الكرم؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة. فكن الحاكم على نفسك، واجعل المحكوم عليه ذنبك، ترشد إن شاء الله تعالى. وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شارباً من نومه فقد أصبح نصب الاعتزال من كل مؤانس، ودريئة الألسن الشامتة. وفقك الله فأحسن.

لوم

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب :

يا بني عجبت من الكتاب المشيد بكذبه . وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض
للعقاب من ربه ؛ فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصنق ،
وإن أراد خيراً لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله والدال على فضيخته بمقاله .
فما سمع من صدقه نسب إلى غيره ، وما سمع من كذب غيره نسب إليه ، فهو كما قال
الشاعر :

حسب الكذوب من المها نة بعض ما يُحكي عليه
فإذا سمعت بكذبة من غيره أُسبت إليه

(١) يقول : تفقد بالشراب الإرادة والبريعة . (٢) معنى : تذهب . (٣) النصب

هنا : الفرض والمهدف . (٤) الدريئة : الحلقة التي يتعلم الرامي الطين والرزم عليها .

باب الشكوى

كتب عبد الحميد بن يحيى الى أهله وهو منهزم مع مروان :
بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكُرِّ والمرور فمن ساعده الحظ فيها
سَكَنَ اليها ومن عضته بنائها ذَمَّها ساخطا عليها وشكها مُسْتَرِيداً لها . وقد كانت
إذا قُنْتُ أَفْأَوِيَّ اسْتَحْلِيْنَاهَا ثُمَّ جَمَحْتُ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَعْتُنَا مَوْلِيَةً . فَمَلَحْ عَذْبَهَا وَخَشُنَ
لَيْثُهَا فَأَبْعَدْتُنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقْتُنَا عَنِ الْإِخْوَانِ . فَالِدَارُ نَازِعَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِعَةٌ . وَقَدْ
كُتِبَتْ وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا ؛ فَإِنْ تَمَّ الْبَلِيَّةُ إِلَى آخِرِ مَدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ
الْمَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا . وَإِنْ يَلْحَقْنَا ظُلْفُرُ جَارِحٍ مِنْ أَطْفَارٍ مِنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْإِسَارِ
وَالذَّلِّ شَرِجَارٍ . نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلِكُمْ أَلْفَةَ
جَامِعَةٍ فِي دَارٍ أَمْنَةٍ تَجْمَعُ سَلَامَةَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وكتب حافظ بك ابراهيم الى المرحوم الشيخ محمد عبده
يشكو حاله وهو ضابط بالسودان :

كُنَّيْ إِلَى سَيِّدِي وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسِيلِ^(٧) ، وَمِنْ تَهَيُّ بِهِ فَوْقَ الثَّرَةِ^(٨)
وَالْإِكْلِيلِ^(٩) . وَقَدْ تَجَمَّلَتِ السَّرُورُ ، وَتَسَلَّقْتُ الْحُبُورَ ، وَقَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النُّوَابِثِ^(١٠) :

- (١) يقول : ان الانسان في شكايته الدنيا لا يخفف منها بل كأنه يستريدها .
(٢) الأفأوي : جمع أفواق . والأفواق : جمع فقة وهي اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحليتين .
(٣) جمحت الدابة : غلبت راكبا . (٤) ربح الفرس : رفس . (٥) النازح : البعيد .
(٦) البارح من الطير : ماهر من ميامنك الى ميامرك ، ومن الناس من يشاهد به . (٧) السلسيل :
الشراب المجل في الحلق ، وسلسيل اسم عين في الجنة . (٨) الثرة : كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما
لطح يابض كأنه قطعة منجاص . (٩) الاكليل : أربعة أنجم مصطفة وهي منزل القمر .
(١٠) تسلف : افترض . يقول : إن يقضى بوفاء الوعد جعلنى أفرح قبل الانجاز كأنه أنجز .

وَبَشَّرَتْ أَهْلَ بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ فَمَا نَحْنِي إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ
 وَقُلْتُ لَهُمْ : لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةٌ فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا نَتَّأَلُ
 وَجُمِعَتْ فِيهِ بَيْنَ ثِقَةِ الزُّبَيْدِيِّ بِالصَّمْنَصَامَةِ ، وَالْحَارِثِ بِالنَّعْمَةِ ، فَلَمْ أَقُلْ فِيهِ مَا قُلْتُ
 الْمُحَدَّثُ لِصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعَدَهُ ، وَحُجِبَ رُفْدُهُ :
 * يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ *

بَلْ أُنَادِيهِ نِدَاءَ الْأَخِيذَةِ فِي عَمُورِيَّةٍ ، شُجَاعِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَأَمْدَ صَوْتِي بِذِكْرِ
 إِحْسَانِهِ ، مَدَّ الْمُؤَذِّنُ فِي أَذَانِهِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي الْبَعْدِ وَالْقُرْبِ ، اعْتِمَادَ الْمَلَّاحِ عَلَى نَجْمَةِ
 الْقَطْبِ .

(١) الزُّبَيْدِيُّ : هُوَ عَمْرُو بْنُ مَدِّ يَكْرِبُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الشَّجَاعَةِ . وَالصَّمْنَصَامَةُ : سَيْفٌ
 عَمْرُوهُ وَسَيْفٌ مَشْهُورٌ وَأَمْرُهُدَا بِهِ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ آوَى إِلَى دَوْسَى الْهَادِي أُنْثَى الرَّشِيدِ ، وَنَزَلَتْ الصَّمْنَصَامَةُ
 بَيْنَ النَّصَالِ كَنَزَلَتْ صَاحِبَهَا بَيْنَ الْأَبْطَالِ . (٢) الْحَارِثُ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عِبَادِ الْبَكْرِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ
 فِي مَرَاتَةِ الْبَارِدِيِّ لِزَوْجَتِهِ . وَالنَّعْمَةُ : فَرسُهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :
 قُرْبًا مَرِيطُ النَّعْمَةِ نَمِي إِنْ بَيْعَ الْكَرِيمِ بِالسَّعْيِ غَالٍ
 أَخْلَجَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي كَرَّرَهَا الشُّعْرَاءُ الْأَوَّلُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً . (٣) يُشِيرُ إِلَى قِصَّةِ ذِكْرِهَا صَاحِبُ
 الْأَغْنَى بَيْنَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَجُلَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَخَلَّصَهَا أَنْ الْمَنْصُورَ لَمَّا حُجَّ طَلَبَ مِنْ وَزِيرِهِ الرَّبِيعِ أَنْ
 يَسِيرَ بِهِ بِرَجُلٍ يَكُونُ خَيْرًا بِالْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، فَاخْتَارَ الرَّبِيعَ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِمَا يَسْأَلُ
 عَنْهُ ثُمَّ لَمَّا رَضِيَ الْمَنْصُورُ قَالَ لَهُ : أَمَرْتُ لَكَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَاحْتَالِ الرَّجُلَ فِي أَنْ يَقْرِبَها فَلَمْ يُمْكِنَ
 وَأَزْعَجَ الْخَلِيفَةُ عَلَى السَّفَرِ ، فَلَهَا مُمْرَأَةٌ قَالَتْ مَبْتَدَأًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةِ ، فَقَالَ : وَمَا بَيْتُ
 عَاتِكَةِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَحْوَسُ : يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَتَعَزَّلُ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ
 إِنَّهُ يَقُولُ فِيهَا :

وَأَرَأَيْكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَلَقَ الْحَدِيثَ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَذَكَرَ مَا وَعَدَهُ بِهِ وَنَجَّاهُ لَهُ . وَعَلَى ذَلِكَ فَالرَّجُلُ لَيْسَ هَذَا بَلْ هُوَ أَنْصَارِي .

(٤) الْأَخِيذَةُ : الْأُسْرَةُ . وَشُجَاعُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ : الْمُتَصَمِّمُ . يُشِيرُ إِلَى قِصَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَهِيَ أَنَّ امْرَأَةً
 مُسَلِّةً سَبَّاهَا الرُّومُ فَصَاحَتْ وَامْتَصَاهَا ، فَلَهَا بَلَنَةُ الْخَبْرِ قَالَ : لِيَكْ وَنَحْنُ غَازِيَا بِمَجْهَلٍ جَرَّارٍ حَتَّى فَتَحَ عَمُورِيَّةَ
 وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

لَيْتَ صَوْتَا زُبَيْرِيَا هَرَقَتْ لَهُ كَأَنَّ الْكَرَى وَرَضَابَ انْتَرَدَا لِلْعَرَبِ

وقال أصبح أبى وقد هالنى النوى وهالهم أمرى : متى أنت قائل ؟
 فقلت : إذا شاء الإمام فأوبى قريب وربى بالسعادة أهل
 وهالنا^(١) بما سلك حتى تحسر هذه العمرة . ويتطوى أجل تلك الفترة ، وينظر إلى
 سبى نظرة ترفعنى من ذات الصدع ، إلى ذات الرجع ، وتردنى إلى وكرى الذى
 فيه درجت ردّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها .
 فإن شاء فالقرب الذى قد رجوته وإن شاء فالعز الذى أنا آمل
 وإلا فإنى قاف رؤية لم أزل^(٢) يقيد النوى حتى تقول الفوائل
 فلقد حللت السودان حلول الكليم فى التابوت ، والمغاضب فى جوف الحوت ،
 بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة ؛ لابل حلول الوزير فى شور العذاب ، والكافر
 فى موقف الحساب ، بين نارين : نار القيظ ، ونار الغيظ .
 فناديتُ باسم الشيخ والقيظ جمره تذيب دماغ الضبّ والعقل ذاهل^(٣)

(١) أدخل الكاتب ها التنبيه على ضمير ليس بعده إشارة وتفصيح العربية التزام الإشارة فكان عليه أن يقول وهالنا ، وهالنا : المتصبر الحافظ لقواه . (٢) ذات الصدع : الأرض . والصدع : النبات لأنه يصدعها أى يشققها . وذات الرجع : السماء . والرجع : المطر لأنه يرجع مرة بعد أخرى ، والمراد تهديفه من السودان الذى هو من مصر كالأرض من السماء . (٣) رؤية رجاى مشهور كان فى عهد الدولة الأموية وله أربعون رويها قاف ساكنة منها :

❖ وقائم الأعماق خاوى المحترق ❖

وهى طويلة جدا . وتسكين حرف الروى يسمى عندهم تهجيده . ومن أجل اكار رؤية من القافات الساكنة فى هذه الأربعون ضرب بقافه المثل لكل من طالع قيده وجسه . (٤) الكليم : سيدنا موسى . يشير إلى قصته اذ وضعت أمة فى التابوت وألقته فى اليم . (٥) المغاضب : سيدنا يوسف الذى مكث فى بطن الحوت أمدا طويلا . (٦) الوزير هو محمد بن عبد الملك الزيات الذى سبق ذكره . وقد كان اتحد تنورا يملب فيه المبال ، فلما غضب عليه المتوكل ألقاه فيه لتعذيبه ولم يزل به حتى مات . (٧) قدمنا أن الضب : شديد الصبر على الحرارة ، فالحر الذى يذيب دماغه لقع من جهنم .

فصرت كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ تَهَبُّ الصَّبَا فِيهِ وَتَسْدُو الْبَلَابِلُ
والْيَوْمَ أَكْتُبُ إِلَيْهِ وَقَدْ قَعَدْتُ هَيْمَةَ النَّجْمِينَ وَقَصُرْتُ يَدَ الْجَلِيدِينَ ^(١) عَنْ إِزَالَةِ
مَا فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ فَلَقَدْ تَمَّى ضَبُّ ^(٢) ضِغْنِهِ عَلَيَّ ، وَبَدَرْتُ بِوَادِرِ السَّوَاءِ مِنْهُ
إِلَيَّ ، فَاصْبَحْتُ كَمَا سَرَّ الْعَدُوَّ وَسَاءَ الْحَجِيمُ ، وَالْأَيْمَى كَأَنَّمَا جُلُودُ أَهْلِ الْحَجِيمِ ، كُلَّمَا نَضِجَ
حَنَاقُهَا أَدِيمٌ تَجَدَّدَ أَدِيمٌ ^(٣) . وَأَمْسَيْتُ وَمُلْكُ أَمَالِي إِلَى الزَّوَالِ ، أَسْرَعَ مِنْ أَثَرِ الشَّهَابِ
بِقِي الْمَاءِ ، وَدَوْلَةُ صَبْرِي إِلَى الْآخِرِ ^(٤) بِلَالٍ ، أَحَثُّ مِنْ حَبَابِ الْمَاءِ . فَنَظَرْتُ فِي وَجْهِهِ
تِلْكَ الْعِبَادَةِ ، وَإِنِّي لِفَارِسُ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ، فَلَمْ تَقَفْ فِرَاسَتِي عَلَى غَيْرِ بَابِكَ .



وكتب البديع الهمداني الى أبي نصر الميكايلي يشكو اليه خليفته بهرّة :

أطال الله بقاء الشيخ الجليل . الماء اذا طال مَكْنُثُهُ ، ظَهَرَ خُبْنُهُ ، وَإِذَا مَسَكَ
مَتْنُهُ ، تَحَرَّكَ نَتْنُهُ ، كَذَلِكَ الضَّيْفُ يَسْمُجُ لِقَاؤُهُ ، إِذَا طَالَ ثَوَاؤُهُ ، وَيَتَقَلَّ ^(٥) ظِلُّهُ ، إِذَا
أَتَتْهُ ^(٦) عَمَلُهُ . وَقَدْ حَلَبْتُ أَشْطَرَّ تَحْسَةِ أَشْهَرِ بَهْرَةِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَارَ مِثْلٍ لَوْلَا مَقَامُهُ ،
وَمَا كَانَتْ تَسْعَى لَوْلَا ذِمَامُهُ ^(٧) . وَلِي فِي بَيْتِي قَيْسٌ مِثْلُ صَدِيقٍ ، وَإِنْ صَدْرًا مَصْدَرُ
حَشَقٍ :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلٍ يُجِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ ^(٨)
تَجَانِبَتِ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيلَةٌ . وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(١) الجديدان : الليل والنهار . أحدهما الثريا ولعل الآخر الجوزاء .

(٢) الضب : الحقد . (٣) يشير الى قوله تعالى : (كلما نضج جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) .

(٤) أحث : أسرع . (٥) الثواء : الإقامة . (٦) أتته عمله : تناهى حلوه .

(٧) التمام : العهد . (٨) هو قيس بن الملوح الذي يعرف بالمجنون . (٩) العصم : جمع

أعصم أوعصاء وهو ما في ذراعيه أو أحدهما بياض من الظباء والوعول .

نعم قَتَمْتَنِي نِعَمَ الشَّيْخِ فَلَمَّا عَلِقَ الْجَنَاحَ وَقَلَقَ الْبَرَّاحَ طَارَ مَطَّارَ الرِّيحِ لَا بِلَ مَطَارِ
الروح وَتَرَكْنِي بَيْنَ قَوْمٍ : يَنْقُضُ مَتَّهَمَ الطَّهَّارَةِ ، وَتُوْهِنُ أَكْثُهُمُ الْحَجَّارَةُ . وَحُدُثَتْ
عَنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ لَا بِلَ الْخَلِيفَةِ أَنَّهُ قَالَ : فَضِيحَتْ لِفُلَانٍ نَحْسِينَ حَاجَةً مِنْذُ وَرَدَ هَذَا
الْبَلَدُ وَلَيْسَ يَقْنَعُ فَمَا أَصْنَعُ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَحْمَقُ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرَانِي عَنَّا جَا فَاستَطِعْ
أَنْ أَرَاكَ عَنَّا جَا إِلَيْكَ . أَفْ لَقَوْلِكَ وَلِفِعْلِكَ ، وَلِدَهْرِ أَحْوَجَ إِلَى مِثْلِكَ ! وَأَنَا أَسْأَلُ
الشَّيْخَ الْجَلِيلَ أَنْ يُبَيِّضَ وَجْهِي بِكَتَابِ يُسُودُ وَجْهَهُ وَيَعْرِفَهُ قَدْرَهُ وَيَمْلَأَ رُغْبًا صَدْرَهُ .
إِلَى أَنْ تَبَيِّنَ عَلَى صَفْحاتِ جَنْبِهِ آثَارَ ذَنْبِهِ . وَلَهُ فِيمَا يَفْعَلُ رَأْيُهُ الْمَوْفُوقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



(١) وَكُتِبَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْوَزِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَقَدْ حَجَّبَ عَنْهُ :
سَرْتُ إِلَى بَابِكَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — عِنْدَ مَا حَدَّثَ مِنْ أَمْرِكَ فَلَمْ يَقْضِ لِقَاؤُكَ .
وَعَلِمْتُ أَنَّ يَتَقَنَّكَ بِمَا عِنْدِي قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَرَاتُكَ
مَوْضِعِي مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ؛ فَوَكَّلْتُ الْمُدْرَأَ إِلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ إِنَّا نَاتَيْسُكَ مُتِمِّينَ بَطَلَعَتِكَ مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَيْكَ فَيَحْجُبُنَا عَنْكَ مَلَا حَظَّهُ
وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ تَكْذُكُ الصَّنِيعَةِ ، لَيْثِمِ الطَّبِيعَةِ يَجُوبُ عَنْكَ الْكَرَامُ ، وَيَأْذَنُ عَلَيْكَ لِلثَّامِ .
كَلِمَا تَجَمَّعَتْ لَهُ يَدُ بَيْضَاءُ أَتْبَعُهَا يَدَا سُودَاءَ . فَإِنْ رَأَيْتَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — أَنْ تَصْرِفَهُ
عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب . وقد مضى ذكره عند الكلام في أبيه الوزير القاسم .

(٢) يريد قوله الوزارة .

باب في حسن التقاضى ولطف الاستمناح

تأثير لطف الطلب في نفس المؤمل

قال سليمان بن عبد الملك : ما سألني أحد قط مسألة يتنقل على قضاؤها ولا ينفذ لدى أدائها بلفظ حسن يجمع له القلب فهمه ، إلا قضيتها له ؛ وإن كانت العزيمة قصّدت الى منعه وكان الصواب مستقراً في دفعه ، ضناً بالصواب أن يردّ سائله أو يحرم نائله .

استمناح أعرابي لسيدنا علي

يروى أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها بدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له علي : ^(١) حُط حاجتك في الأرض فإنّي أرى الضر عليك . فكتب الأعرابي على الأرض : إني فقير . فقال علي : يا قنبر ^(٢) ادفع إليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حُلّة تبلى عاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حُللاً

لأن الثناء يُخفي ذكر صاحبه كالغيث يُخفي نداء السهل والجبل

لا تزهّد الدهر في عُرف بدأت به فكل عبد سيُجزى بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر أعطه خمسين ديناراً ؛ أما الحلة فلمساألك وأما الدنانير فلا تدبك .

(١) إنما دعاه الى كتابة حاجته ورقابه وصيانة لماء وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب المقدم أنه رضى الله عنه : كان يقول لأصحابه من كانت له الى منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأهون وجوهكم عن المسألة .

(٢) قنبر بكسر : مولى علي وعادته .

استمنح رجل لعبد الملك بن مروان

وقد رجل من بنى ضبة على عبد الملك بن مروان فقال :

والله ما ندرى اذا ما فاتنا طلب اليك من الذي تتطلب ؟

فلقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولا فارشدنا الى من نذهب ؟

فقال عبد الملك : الى ! الى ! وأمر له بألف دينار . ثم أتاه في العام المقبل فقال :

رب الذي يأتي من الخير أنه اذا فعل المعروف زاد وعمما

وليس ككبان حين تم بناؤه تتبعه بالنقض حتى تهتدا

فأعطاه ألفي دينار . ثم أتاه في العام الثالث فقال :

اذا استمطروا كانوا مغايرين في الندى يجودون بالمعروف عودا على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

استمنح العتابي لأحد أصدقائه

كتب كثنوم بن عمرو العتابي الى صديق له :

أما بعد — أطال الله بقاءك ، وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة — فانك كنت

عندنا روضة من رياض الكرم ، تبهج النفوس بها ، وتستريح القلوب اليها ، وكنا

(١) ضرب في الأرض : سافر . (٢) رب : زاد وأملح . (٣) اغزر المعروف :

جعله غزيرا . والمغازير : لا يكون إلا جمعا لمغزرا ومغزير من صبغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس .

حق المخصص : سمجة مغزار : غزير فيكون جمعا لمغزار حيا . (٤) من سلاة عمرو بن كثنوم صاحب

الحلقة ، وكان شاعرا مترسلا بلينا مطبوعا منصرفا في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن شعره في الشكر :

فلو كان الشكر شخص يبين اذا ما تأمله الناظر

لنلتشه لك حتى تراه لملم أنى امرؤ شاكر

حله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أعيار ووفاد .

نَمِيهَا مِنَ النَّجْمَةِ اسْتَقَامَا لَزْمَتْهَا ، وَشَفَقَ عَلَى خُضْرَتِهَا ، وَادْخَارَا ثَمَرَتَهَا ، حَتَّى أَصَابَنَا سَنَةٌ كَانَتْ عِنْدِي قِطْعَةً مِنْ سَنَى يَوْسُفَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا كَلْبُهَا ، وَغَابَتْ قِطْعَتُهَا ، وَكَذَّبْنَا غُيُومَهَا ، وَأَخْلَفْنَا بُرُوقَهَا ، وَقَدَدْنَا صَالِحَ الْإِخْوَانِ فِيهَا ، فَاتَّجَعْتُكَ . وَأَنَا بِاتِّجَاعِي إِيَّاكَ شَدِيدُ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ ، مَعَ عَلَيَّ بِأَنَّكَ مَوْضِعُ الرَّائِدِ وَأَنَّكَ تُفْطِي عَيْنَ الْحَاسِدِ . وَانَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا أَعْطَيْتُكَ إِلَّا فِي حُومَةِ الْأَهْلِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا اسْتَحْيَا مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ وَلَمْ يَكُنْهُ الْكَثِيرُ لَمْ يَعْرِفْ جُودَهُ وَلَمْ تَظْهَرْ هِمَّتُهُ . وَأَنَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ :

إِذَا تَكْرَمْتَ عَنْ بَذْلِ الْقَلِيلِ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
بِتِ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

قِيلَ فُشِطَ طَرَفُهُ جَمِيعَ مَالِهِ .
فَلَمْ يَكُنْ يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ .

استمناح أعرابية لعبد الله بن أبي بكر

دَخَلْتُ أَعْرَابِيَةً عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالْبَصْرَةِ فَوَقَفْتُ بَيْنَ السَّمَاطِينَ فَقَالَتْ :
— أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَمْتَعَ بِهِ — حَدَرْتُ إِلَيْكَ سَنَةً أَشَدَّ بَلَاءُهَا ، وَانْكَشَفَ غَطَاؤُهَا ، أَقُودُ صَبِيَّةَ صَغَارًا ، وَأَتَحْرِيصُ كِبَارًا ، فِي بَلَدَةٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِيَلْمَاتِ مِنَ الدَّهْرِ أَذْهَبِينَ لِحْمِي ، وَبَرِينَ عَظْمِي ، وَتَرْكَنِي وَاهِلَةً أَدُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ . فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : مِنَ الْكَامِلَةِ

- (١) النجمة : طلب الكلاء في موضعه . (٢) الكلب : القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب الكلاب . (٣) الرائد : الطالب . (٤) الحومة هنا : الجماعة والطائفة . (٥) هكذا ذكر القائل في أماليه وقد حذفنا من روايته ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالنرض . وهذا والحروف أن هذه الأبيات لشاعر يسمى حماد مجرد أولبشار بن برد لا العنابي وتبعية هذا على القائل . (٦) هو ابن أنس بن زياد ابن أبيه . (٧) السباط : الصف . (٨) الواهية والوهى :

الشديدة اللون جالطمرض

فضائله ، المُعْطَى سَأَلَهُ ، الكافي نأمله ؟ فدللت عليك — أصلحك الله تعالى — وأنا امرأة من هوازن^(١) ؟ قد مات الوالد ، وغاب الرَّافِد ، وأنت بعد الله غيائي ومنتهى^(٢) دأمل^(٣) ، فاصنع بي إحدى ثلاث خصال : إما أن تُرَدِّيَ الى بَلَدِي ، أو تحسن صَفْدِي ، أو تقيم أودِي . خَصَرَنِي .

فقال : بل أجمعهن لك . ولم يزل يُجَرى عليها كما يُجَرى على عياله حتى ماتت !

استمناح حكيم فارسي للمهلب

قال المهيمن بن مدي : قدم حكيم من حكمة أهل فارس على المهلب فقال : — أصلح الله الأمير — ما اشغبتني الحاجة ، وما قنعت بالمقام ، ولا أرضى منك بالنصف اذ قمت هذا المقام . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأن الناس ثلاثة : غني وفقر ومُستَرِد . فالغني من أعطى ما يستحقه ، والفقر من منيع حقه ، والمستريد الذي يطلب الفضل بعد الغني . وإني نظرت في أمرك فرأيت أنك قد أدت الى حق ، فتأقت نفسي الى استردادك ، فان منعتني فقد أنصفتني ، وان زدتنى زادت نعمتك علي .

فانجَب المهلب كلامه وقضى حوائجه .

تلطف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فتكلم معه كلاما حسنا . فقال له أبو جعفر : حاجتك . فقال : يُثَبِّك الله يا أمير المؤمنين . قال : حاجتك فانه

(١) هوازن : قسم من قيس وعبد الله بن أبي بكره فيه في تحيف وهم من هوازن فهي تريد أن تميله بماطفة القرابة . (٢) الصدف : الطاء . (٣) الأود : الاحويج .

ليس كل ساعة يمكك هذا ولا تؤمر به . فقال : والله ما استقصى عمرى ، ولا أخاف
بُحْلك ، ولا أغتم مالك ، وإن سؤالك لشرف ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرئ بذل
وجهه إليك نقص ولا شين . فأمر له المنصور بمنحة سنية .

وقد ألم الرجل في أكثر معانيه بقول أمية بن أبى الصلت يستمنح عبد الله
ابن جُذعان ^(١) القرشي :

عطاؤك زين لامرئ إن جبوته ببذل وما كل العطاء يزين .
وليس بشين لامرئ بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين .



ومن اللف الاستمنح قول أمية يُخاطب ابن جُذعان أيضا :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حبائك إن شيمتك الجباء .
وعلمك بالأمور وأنت قرم لك الحسب المهدب والسناء ^(٢)
كريم لا يغيبه صباح عن الخلق الجميل ولا مساء .
تُبَارى الرّيح مكرمة وبجدا إذا ما الكلب أبحر الشتاء ^(٣)
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الشتاء ^(٤)

استمنح عبد العزيز بن زُرارة لمعاوية

قال العتي : وقد عبد العزيز بن زُرارة على معاوية ، فلما أُذِن له وقف بين يديه
وقال : يا أمير المؤمنين ! لم أزل أهرُّ ذوائب الرجال إليك ، إذ لم أجد معولا ^(٥)

(١) عبد الله بن جُذعان من بني تم رطل سيدنا أبى بكر الصديق وهو جواد مشهور وكان أمية مداحا له
مقطعا اليه توفى أمية بن يزيد الاسلام . (٢) القرم : الفحل والسيد . والسناء : الشرف ، والسناو
الضوء . (٣) أبحر : ألبأه . (٤) يقول : إنك لا تحجم المحتاج مؤنة السؤال لأنك
تستنى بثأته عن استجدائه . (٥) الذوائب : جمع ذؤابة وهى الجلدة المعلقة على آخرة الرجل .

إلا عليك، أمتطى الليل بعد النهار، وأسم^(١) المخايل بالآثار، يقودنى اليك أمل،
وتسوقنى بلوى والمجهد يُعَدِّر وإذ قد بلغتك فقطنى^(٢).
فقال معاوية : أحطط عن راحلتك .

ولما وثى الخليفة المهندي سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوى
حرمة فقال : — أحرز الله الوزير — أنا خادمك المؤمل لدولتك، السعيد بأياك، المنطوى
القلب على ذلك، المنشور اللسان بمدحك، المُرْتَن بِشكر نعمتك . وقد قال الشاعر :
وفيت كلَّ صديقٍ ودنى ثمتاً إلا مؤتملاً دولاى وأيامى
فانى ضامن أن لا أكافئه إلا بتسويفه فصلى وإنعامى^(٣)

وإني لكما قال الفقيمي : ما زلت أمتطى النهار اليك، واستدل بفضلك عليك ،
حتى إذا اجتنَّ الليل ففَضَّ البصر، وعما الأثر، قام الرجا يدنى سائر أمل ، والنفس
راغبة والاجتهاد طائر وإذ قد بلغتك فقدنى . فقال سليمان : لا عليك فاني طارف
بوسيتك محتاج الى اصطناك وكفائتك، ولست أؤثر عن يومى هذا توليتك ما يحسن
عليك أثره، ويطلب لك خبره .

وكتب رجل من أهل البصرة الى أخ له :

أما بعد فإنه يُسَهَّل على طلب الحاجة أمران فيك، وأمران لى، وأمر من قبل
الله وبه تمامها ؛ فأما اللذان فيك فاجتهادك فى التَّجْع، ومبا^(٤)لتك فى الاعتذار، وأما

(١) ومع الأرض كوعد : ترك فيها أثرا . (٢) خلقى اسم فعل بمعنى يكفينى ويدلها قدنى .
(٣) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدّم ذكر ابنه عبد الله وحفيده القائم . توفي
سليمان سنة ٢٧٢ هـ . (٤) سوزه : أناله . (٥) يريد بالقيسى عبد العزيز بن زرة
المقدم لأنه من بنى حارثم من هوازن ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمناها لا بقفلها .

اللذان لى فانى لا أضيق عليك بئسرى ، ولا أصون عنك شكرى ، وأما الذى من قبل الله عز وجل فإيمانى بأن كل مُقدركائن والسلام .



وكتب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى :

أنا إن سألتك حاجتى — أحزنك الله — وبسّطت اليك يد رجائى فقد طرقتُ باب المكارم ، واستمطرت غيث المراحم ، ورجوت واحد الدهر همة وحزما ، ونادرتُ الوجود كرما وفضلا . فان أنجزتها فليست أولى الهِمَم ، ولا واحدة النعم ، فلم تسبق الى منك أيادٍ تخرس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق بها جرائد الحُصر . ولقد مثّلت — أيدك الله — بين أن أستشفيع اليك بذوى الجاه عندك ، والزلفى لديك ، وبين أن أكل ذلك الى كرمك وفضلك وما طُبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخيرو وسجاياء البر ، فראيت أن الثانية بك أحرى ، وفضلك أجدر . والسلام .

استمناع الصابى لبعض الرؤساء

كتب أبو اسحاق الصابى الى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة — أطال الله بقاء الأمير — بالتمهيد للحاجة قبل مَوْرِدِها ، وإسلاف الظنون الداعية الى نجاحها . وسالك هذه السبيل يُبْسِئُ الظن بالمستول ، فهو لا يلمس فضله الا جزاء ، ولا يستدعى طولُه الا قضاء . والأمير يكرمه الغريب ، ومذهبه البديع ، يُؤثّر أن يكون السلف له ، والابتداء منه ، ويوجب على المهاجم

(١) الجرائد : جمع جريدة وهى السفة وكانت يكتب فيها ، فالمراد الصحائف . (٢) الزلفى : القرية والمنزلة . (٣) كرد الكاتب بين توكيدا ، وهو جائز مسبوح وأنا استحسنه اذا طال ما قبل المطوف كما هنا . (٤) الصابى : هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال كاتب ديوان الانشاء من الخليفة وعن عن الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفى سنة ٥٣٨ هـ . (٥) الاسلاف : التقديم .

برغبته إليه، حقَّ الثقة به . فالحمد لله الذى أفرده بالطرائق الشريفة، ووحَّده بالخلال
المُتيقة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولَمَعَتِ الباقية المنيرة .^(١)



وكتب محمد بن عباد الى جَعْفَر بن محمد وزير المعتر وكان يخلص به ويتقرب
إليه قبل الوزارة :

ما زلت — أيدك الله تعالى — أذمُّ الدهر بذكِّ إياه، وانتظر لنفسى ولك
عقباه، وأتمنّى زوال من لا ذنب له ، الى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ، وأترك
الإعذار فى الطلب ، على الاختلال الشديد ضناً بالمعروف عندى إلا عن أهله ، وحسبنا
الرجاءى إلا عن مُستحقِّه .^(٢)

ومن أرق الاستمache ما كتبه عبَّيد الله بن عبد الله بن طاهر الى سليمان بن
موهب لما ولى الوزارة، فقد كتب إليه :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نُحب ونُكرِّم .
فقلت له : نِعْمَكَ فيهم أئمَّها ودع أمرنا إن المِهْمُ المُقدِّم .
فأنجِب سليمان بلطف طلبه فى تهنئته وقضى حوائجه .



وقال أعرابى لرجل : ما أنعمتُ حُسْن ظنى بك ، منذ توجه رجائى نحوك ،
حولا قعدت نِجدة فائل باعتمادى عليك ، ولا استدعنى رغبة عنك الى مَنْ سواك ، ولا
أرأى الاختيار غيرك عوضاً منك .^(٣)

(١) الة : البقعة والقطعة من الجسد تترك . (٢) أعلو : بالغ . (٣) الاختلال :

«الاحتياج» . (٤) الاستمache : الاستنتاج . (٥) الجد : الحظ . والقال : المخطئ .



وكتب البديع الحمداني في بابهِ الى بعض أصحابه :

لك — أعزك الله — عادةُ فضل ، في كل فصل ، ولنا شبه مقت ، في كل وقت . ولعمري ان ذا الحاجة مقيت^(١) الطلعة ، ثَقِيلُ الوطأة ، ولكن لَيْسُوا سِوَاهُ .



وكتب أبو العيَّان الى عبيد الله بن سليمان :

أنا — أعزك الله — وولدي وحيالي زرع من زرعك ، ان أسقيته راع^(٢) وزكاه ، وان جفوتة ذبل وذوى . وقد مسنى منك جفاء بعد برٍّ ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو وثميت حاسد ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم لاعبا ، ولهم مُحْرِسا . والله درأبي الأسود في قوله :

لا تُنْفِي بعد إن أكرمتني وشديد عادة منترمة

(١) الحقيت والمنقوت : البغيض المكروه . (٢) راع : نما وزاد وباه باع .

باب الشكر والتاني

فصل في الشكر

كتب مالك بن أسماء الى الهيثم بن الأسود النخعي يشكر له قيامه بأمر رجل من آل حذيفة بن بدر عند الجماج حتى خلّصه منه :

أما بعد، فإنه لما كلّت الأئسن عن بلوغ ما استحققت من الشكر كان أعظم الجليل عندي في مكافأتك إخلاصك صدق الضمير . وكما لم نعرف الزيادة في الملا إذا جريت غاية طوئك، جهلنا غاية الثناء عليك . فليس لك من الناس إلا ما ألهموا من محبتك، فأنت كما وصف الواصف إذ يقول :

فما تعرف الأوهام غاية مدحه يقينا كما ليست بفايته تدرى



وكتب أحمد بن أبي طاهر يشكر على بن يحيى :

وصل الى - وصل الله نعمتك بالمزيد - ما ابتدأت به من ترك المتأج، وفضلتك الواسع، فصادفنا على حال من الخلة^(١) قد دعتنا ضرورة الحاجة بها الى ذل المسألة .

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة من آل حذيفة بن بدر الفزاري وكان شاعرا بارعا وهو القائل د

وحديث الله هو ما * ينبت الناحون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا * فا وغير الحديث ما كان لحنا

وكان الجماج مزججا باخته هند . وله معه أخبار كثيرة . (٢) الطول : القدرة . (٣) هو على

ابن يحيى النخعي من نداء المتوكل ونواصحه وكان أثرا عنده وعند من بعده من الخلفاء حظيا لديهم يفضونه اليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم ، وكان رواية للأشعار والأخبار توفي سنة ٢٧٥ هـ في خلافة المستد .

(٤) الخلة : الحاجة .

فَرم مَاتَمَّه الدهر من مُرُومَتَا ، وَسَدَّ مَا كَشَفَهُ من خَلَّتْنَا ، وَكَفَانَا مَوْوَنَةَ الامْتِحَانِ
لِلْاِخْوَانِ فِي مَوَدَّتِنَا ، وَسَتَرُوجُوهِنَا بِالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَبْقَى جَاهِنَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ .
فَمَا ظَنُّكَ بِمَعْرُوفٍ صَادَفَ حَاجَةً ، وَصَنِيعَةً كَانَ الْبَاسُهَا بِهَا ذِلَّةٌ وَلَا بَذَلَةٌ ، وَمَعْمُونَةٌ
جَاءَتْ بِهَا مَوْوَنَةٌ ، وَغِيثٌ جَادَ بِهَا عَارِضٌ وَلَا حَمِيلَةٌ ، وَأَمَلٌ أُدْرِكَ بِهَا تَعَبٌ ، وَحَقٌّ
أُوجِبَ بِهَا حُرْمَةٌ وَلَا سَبَبٌ ؟ مَا كَانَ إِلَّا كَالْقَطْرِ ، فِي الْأَرْضِ الْقَفْرِ ، أَغْفَلَهَا الزَّمَانُ ،
وَجَفَاها الْعُمُرَانُ . وَكُلٌّ مَعْرُوفٌ وَإِنْ كَثُرَ فَكَثُرَ مِنْهُ فَضْلُكَ ، وَكُلٌّ صَنِيعَةٌ وَإِنْ
كَبُرَتْ فَكَبُرَ مِنْهَا الْأَمَلُ فِيكَ ، وَكُلٌّ شُكْرٌ بَلَغَ غَايَةَ مَجْهُودَةٍ فَاقِلْ كَرَمَكَ يَسْتَفْرِقُهُ .
تَعَدَّ قُتُّ وَاللَّهُ الْمَادِحُ الْمُطِيبُ ، وَقَصُرَ عَنْكَ لِسَانُ الشَّاكِرِ الْمُعْتَرِفِ وَالْحَامِدِ الْمُجْتَهِدِ ،
وَأُنْفَدَ فَضْلُكَ الْمَحَاسِنُ ، وَاسْتَوَى أَقْلُكَ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ ، وَكُلُّ دُونَكَ لِسَانُ الْخَطِيبِ
وَالشَّاعِرِ ، وَتَرَيَنْتَ بِكَ الْأَيَّامَ ، وَازْدَحَمَتْ عَلَيْكَ الْأُمُالُ ، وَامْتَثَلَ مَكَارِمُكَ الْكِرَامَ ،
وَوَقَّصَرَ عَنْكَ الْحَيَاءُ وَالْأَجْوَادُ . فَالْيَ الَّذِي زَيَّنَّا بِإِخَائِكَ ، نَرُغِبُ فِي بَقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ
أَنْ يَهَبَكَ لِفَاقَتِنَا إِلَيْكَ ، وَاتَّكَلْنَا بَعْدَهُ عَلَيْكَ .



وكتب أبو الفضل الميكالي يشكر (من رسالة) :

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِداهَ ، وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ ، فَهِيَاتُ أَنْ يَنْتَسِبَ
إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، وَلَا يَسِيرُ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرفِهِ وَوَالِهِ . وَهُوَ
تَوْبٌ لَا يُحِلُّ إِلَّا بِذِكْرِ طِرَازِهِ ، وَاسْمُ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهِ مَجَازِهِ . وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ
رَبِّي بِأَيَادِيهِ ، وَأَعْجَزَ وَنَسَى عَنْ حَقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ ، خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ
وَمَيِّدَانَهُ ، وَلَمْ يُجَاذِبْنِي عِنَانَهُ ، لَتَحَلَّقْتُ مِنْ بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ ، وَنَهَضْتُ

(١) رم الشيء : أصله . (٢) البذلة : ابتذال النفس وامتثالها . (٣) العارض :

المسحوب المعرض في الأتق . والمسحابة الخيلة : المطهرة .

فيه ولو على وَهْنٍ وظَلَمٍ^(١) . ولكنه يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ ، وَيَسْتَمِ^(٢)
ذُرَا الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ ، فَلَا يَدْعُ فِي الْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا مَسْبَقَ إِلَيْهَا فَارْطَا ، وَخَلَّفَ^(٣)
سِوَاهُ عَنْهُ حَسِيرًا سَاقِطًا ، لِتَكُونَ الْمَعَالَى بِأَسْرَافِهَا مَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ ، مِنْظُومَةً فِي سُلْكِهِ .



وكتب أبو الفضل بن العميد الى بعض القضاة شاكرًا :

وصل كتابك الذي وصلت جناحه بَقُنُونِ صَلَاتِكَ وَتَفَقُّدِكَ ، وضروبِ رِثَاكَ
وَتَعْمُدِكَ ، فارتحت لكل ما أوليت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت لإحسانه
في كل فصل الى نظائره التي وَكَلَّتْ بِهَا دُكْرَى^(٥) ووقفت عليها شُكْرَى . وتأملت النظم
فلمكني المُعْجَبُ بِهِ ، وَبَهْرَتِي التَّعْجُبُ مِنْهُ ، وقد رمت أَنْ أَجْرَى عَلَى الْعَادَةِ فِي تَشْبِيهِهِ
بِمُسْتَحْسَنٍ مِنْ زَهْرٍ جَنَى ، وَحُلٍّ وَحُلٍّ ، وَشُدُورِ الْفَرَائِدِ ، فِي نُحُورِ الْخَرَائِدِ . فلم
أَرَهُ لَشَيْءٍ عَدْلًا ، وَلَا أَرْضَى مَا عَدَدْتَهُ مِثْلًا ، وَاللَّهُ يَزِيدُكَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَا يُخْلِيكَ مِنْ
إِحْسَانِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيُلْهِمُكَ مِنْ رِإْخَوَاتِكَ مَا تُتِمُّ بِهِ صَلَاحَكَ لَدَيْهِمْ ، وَيَرْبُّ مَعَهُ
إِحْسَانَكَ إِلَيْهِمْ .



وكتب الحسن بن وهب يشكر :

من شكرِكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ ثَرَةٍ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا ، فإني شَكَرْتُ لَكَ عَلَى مَهْجَةٍ^(٢٩)
أَحْيَيْتَهَا ، وَحُشَّاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا ، وَرَمَقٍ أَمْسَكَتَ بِهِ وَقُلْتَ بَيْنَ التَّلَفِّ وَبَيْنَهُ ، فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ

- (١) الوهن : الضعف . والظلم : ضرب من السرح . (٢) استقم وتسم : صمد وركب -
والغوارب : جمع غارب وهو ما بين الكاهل والسانم من البعير . (٣) الفارط : المتقدم .
(٤) الحسير : المجهود المتعب . (٥) الذكر : الذكر . (٦) الشذور : جمع شذرة وهو
الثروة الصغيرة والنعمة من الذهب . (٧) العدل : النقيض . (٨) هو أخو سليمان بن وهب
السالف الذكر ، وكان من أعلام البلاغة إلا أنه لم يصل إلَى مَرْتَبَةِ الْوِزَارَةِ كَأَخِيهِ . (٩) المهجة :
الروح ودم القلب . (١٠) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح ، ومثلها الريق .

من نعم الدنيا حدّ تشهى إليه ، ومدى يُوقَف عنده ، وغاية من الشكر تسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف وأطالت الشكر وتجاوزت قدره واثت من وراء كل غاية . ردّدت عنا كيد العدو ، وأرضعت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منك فيها الى ظلّ ظليل وكَنَف كريم فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جُهد المجتهد !



وكتب الأستاذ الكبير المرحوم الشيخ محمد عبده يشكر لحافظ بك ابراهيم تعريه بالجزء الأول من كتاب البائسين (البؤساء) لفكتور هيجو :

لو كان بي أن أشكرك لظن بالغت في تحسينه ، أو أحمدك لرأى لك فينا أبدعت في تزيينه ، لكان لقلبي مطّمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ويمجى في الشكر الى الغاية كما يطلبه فضلك . لكك لم تقف بعُرفك عندنا بل عمّمت به من حولنا وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لُقتنا . زفقت الى أهل اللغة العربية ، عدّراء من بنات الحكمة الغريبة ، بحرّت قومها ، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تُنبّه منهم خامدا ، وتَهز فيهم جامدا ، بل لا تنفك تُنحي من قلوبهم ما أمانته القسوة ، وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة .

حكمة أفاضها الله على رجل منهم فهدى الى التقاطها رجلا منا بقرودها من ثوبها الغريب وكماها حائلة من نسج الأديب ، وجلاها للنّاظر ، وجلاها للطالب ، بعد ما أصلح من خلقها ، وزان من معارفها ، حتى ظهرت محبة الى القلوب ، شقيقة الى مؤانسة البصائر ، تهش للهم ، وتبش للطف الذوق وتسابق الفكر الى مواطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهى من النفس في مكان الإلهام .

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعمى مبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق، ووصل منهم فريق الى ما يحب من مقصده، ولكنه لم يمن بأن يعيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها، ويرد اليها ما سلبه المعتدون عليها من منانة التأليف وحسن الصياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه .

أما أنت فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمريد بعده، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتأنيخ^(١) لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيِّبات الأرواح فظهرت بك اليوم في صورة أبدع ومعنى أنفع . ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويمهلها الزمان الى أبناء ما يستقبل منه، فتكون قد أحسنت الى الأبناء، كما أجملت في الصنيع الى الآباء، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من العجمة سوى ما هو في الأسماء: أسماء الأماكن والأشخاص لا أسماء المعاني والأجناس . ومثل من يعرف قدر الإحسان اذا عمَّ ويعلي مكان المعروف اذا شمل، ويمثِّل رأيه بقول الحكيم العربي:

ولو أني حبيتُ الخُلدَ قردًا لما أَحْبَبْتُ بالخُلدِ انفرادا

فلا هطلتُ على ولا بأرضي صحائب ليس تنظِّم البلادا^(٢)

لما أعجز قلبى عن الشكر لك، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالفاء!

فصل في التهانى

كتب ابن الرومى الى عبيد الله بن سليمان يهنئ به: .

أخترتني العلة من الوزير - أعزّه الله - ففضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ،
ويعمر ما أخلته العوائق منى . وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد

(١) يشير الى ما يذهب اليه بعض أهل الزيغ من أن الأرواح تنقل من جسم الى جسم أى تحمل في الثاني بقاء الأول فقد تكون الروح في جسم فرس وبموته تحمل في جسم انسان . (٢) يريد المرمى . (٣) انتظده : ضمه واشتمل عليه . (٤) الفاء : الهين اليسير .

السالفة بركة على الوزير ودون الأعياد المستقبلية فيما يُحِبُّ ويُحِبُّ له ، ويقبَل ما تَوَسَّل به إلى مرضاته ويَضَاعِفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ، وَيُمَتِّعُهُ بِصُحْبَةِ النعمة ولباس العافية ، ولا يُرِيه في مَسَرَّةٍ قَصْصاً ولا يَقْطَعُ عنه مَزِيداً ويجعلني من كل سوء فِدَاءه .



وكتب البديع يهنئ بمولود :

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعيه ، وإن الشأن لفيما بعده .
وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، وأنيق الروض ونوره .^(١) وحبذا سماءُ
أطلعت فرقداً ، وظابةً أبرزت أسداً ، وظهور وافق سندا ، وذكريق أبداً ، ومجد
يسمى ولداً ، وشرف لحمه وسداً .

أنجب أيام والداه به إذ تجلأ فنيماً ما تجلأ^(٢)

شهاب ذكاء وبدر علاه .



وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن يهنئ الصاحب ابن عباد بسببطه الشريف^(٣)

أبي الحسن عباد بن علي الحسني :

بشري فقد أنجز الإقبال ما وعدنا وكوكب المجدي في أفق العلا صعدنا
وقد تفرغ في روض الوزارة عن دوح الرسالة غصن موريق رشدنا
لله آية شمس للعلا ولدت نجمها وظابة عز أطلعت أسداً .

(١) الصوب : انصباب المطر . (٢) البيت للأعشى وأيام مضافة إلى اذ مع الفصل القبيح

بينهما . (٣) أديب من أدباء أصفيان في القرن الرابع له شعر رقيق وثر رشيق .

وَعَنْصَرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْجَحَهُ كَرِيمٌ عَنْصَرُ إِسْمَاعِيلَ فَاتَّخَذَنَا
وَبَضْعَةً مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَكَّتْ أَصْلًا وَفِرْعَا وَصَحَّتْ ثُجَّةٌ وَسَدَا
يَا دَهْرَهُ حَقٌّ أَنْ تُرْجَى بِمَوْلِهِ فَشَلَهُ مِنْذُ كَانَ الدَّهْرُ مَا وَلَدَا
تَعَجَّبُوا مِنْ هَلَالِ الْعَيْدِ يَطْلُعُ فِي شَعْبَانَ ، أَمْرٌ عَجِيبٌ قَطُّ مَا عُمِدَا
فِي مَوَالِي يُؤَالِي الْحَمْدَ مُبْتَلَا وَمُخْلِصٌ يَسْتَلِيمُ الشُّكْرَ مَجْتَمِدَا
فَلَا رَعَى اللَّهُ نَفْسًا لَا تُسْرَبُ بِهِ وَلَا وَقَاهَا وَغَشَّاهَا رِءَا رَدَى
فَلَيْتَنِي الصَّاحِبَ الْمَوْلُودُ وَلْتَرِدِ السُّ حُودٌ تَجْلُو عَلَيْهِ الْفَارِيسُ النُّجُودَا^(٢)
وَأَزَنْتُ مَا قَتَلْتَهُ شُكْرًا لِرَبِّكَ إِذْ جَاءَ الْمُبَشِّرُ ، يَتَّى سَارَ وَاطْرَدَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدَا إِذْ صَارَ سَبْطُ رَسُولِ اللَّهِ لِي وَلَدَا^(٣)



وكتب أبو الفضل بن العيميد بنى عضد الدولة بن بويه بولدين :

أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة وأدام عزه وتأييده ، وطوَّه وتمهَّده ،
وبسَّطته وتوطَّيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه ما احتفظ به على قرب

(١) واشجيه : شابهه واتصل به ، يقال وشجت الأغصان أو العروق إذا اشتبكت وقد أنكر أستاذنا
المرحوم الشيخ حمزة فتح الله على الشاعر هذه الكلمة لأنه لم يعثر عليها وليست مما يصاغ قياساً لأن صوغ
فعل المقابلة موقوف على السماع إلا عند بعضهم . (٢) التيد كرجل : الشجاع الماضي فيها يسجر
غيره . (٣) كان الصاحب لما بشر بسبطه قال على البدية : الحمد لله الخ ، فتسجى الخازن على
منواله . (٤) كان ابن المبرد تاديرة دهره ونسج وحده أدبا وطبا وثرا ونظما وكان يلقب بالمحافظ
الثاني لسمة إطلاعه واقتنائه في العلوم وفيه يقال : بدت الكتابة بعد الحيد ، ونخمت بابن العيميد . وقد
كان وزيرا في دولة بن بويه ومدسه كثير من الشعراء وفيه يقول المتنبي :

مررت ببلع الأعراب أتى بعدها * شاهدت رسطا ليس والاسكندرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الاله قوسهم والأحصرا

توفي ابن العيميد سنة ٥٣٦٠ هـ .

الميلاد من توافر الأعداد وتكثر الأمداد وتكثر الأولاد^(١)، وأراه من النجابة في البنين والأحفاد ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد، ولا أخل عيته من قرّة ونفسه من مسرة ومتجدد نعمة ومستأنف مكّمة، وزاد في عدده وفسح في أمده حتى يبلغ غاية مهله ويستغرق نهاية أمّله؛ وعرفه الله السعادة فيما بشر به عبده من طلوع بدرين هما أنبعا من نوره، واستنارا من دوره، وحفا بسريه، وجعل وفدهما متلائين وورودهما توأمين بشيرا بتظاهر النعم وتوافر القسَم ومؤذنا بترادف بنين يجمعهم متخرق الفضاء^(٢) ويشرق بنورهم أفق العلاء وينتهي بهم أمد النماء الى غاية نفوت الإحصاء .



وكتب أبو الفرج البغّاء^(٣) يهـ بولاية :

سيدى — أيدّه الله — أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، وأعظم نبلا، وأشرف فضلا، من أن نهته بولاية وإن جلّ خطرها^(٤)، وعظم قدرها، لأن الواجب تهتة الأعمال. بفائض عدله، والرعية بمحمود فعله، والأقاليم بآثار رياسته، والولايات بسماحة سياسته، فعرفه الله^(٥) بمنّ ما تولاه، ورعاه في سائر ما استرعاه، ولا أخلاه من التوفيق فيما يمانيه، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه .

(١) ثمر المال والولد : كثرة . وتكثر : كثر ولم أحصل استمر بمعنى نى . (٢) المتخرق :

المكان تخرق فيه الرياح أى تقايع أى المكان الواسع . (٣) هو عبد الواحد بن نصر شاعر نازم من

أدباء الشام اتصل بخدمة سيف الدولة وتوفى سنة ٣٩٨ هـ . (٤) الخطر كقدر زجل : الشرف .

(٥) مدده : وجهه الى السداد أى الصواب .

باب القصص والمحاورات

« العدل أساس الملك »

المأمون والمرأة المتظلمة

جلس المأمون يوماً للظالم فكان آخر من تقدّم إليه وقد همّ بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى يحيى بن أكرم^(١) فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ! تكلمى في حاجتك . فقالت :

ياخير مُتَّصِفٌ يَهْدِي لهُ الرِّشْدَ ويا إماماً به قد أشرق البلد
تسكو اليك عَمِيدُ الْقَوْمِ أَرْمَلَةٌ عددا عليها فلم يُترك لها سَبَدٌ^(٢)
وإبْتَرَى مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِي ظُلُمًا وَفُرْقًا مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

فِي ذَوْنٍ مَا قَلَّتْ زَالُ الصَّبْرِ وَالْجَلَدِ عَنِّي وَأُقْرِحُ مِنِّي الْقَلْبَ وَالْكَبَدَ
هَذَا أَوَّانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَانصُرْ فِي وَأُحْضِرُ الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُعَدُ
وَالْمَجْلِسِ السَّبْتُ إِنْ يُقْبَضُ الْجُلُوسُ لَنَا تُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ^(٣)

فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدّم إليه تلك المرأة فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام . أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه . فقال :

(١) يحيى بن أكرم قاضي قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكرم بن صفي توفى سنة ٢٤٢ هـ . (٢) أصل السبد : القليل من الشر . ويقال ماله سبد ولا لبد أى لا قليل ولا كثير . (٣) قوله : وإلا المجلس . أسقط منه قاء الجواب للضرورة .

يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخُصُوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها أحمد بن أبي خالد :

يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك . فقال المأمون : دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها إليها وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يُوقر لها ضيعتها ويحسن معوتها وأمر لها بنفقة .



« الوفاء نور أبلج »

عمر بن الخطاب والهرمزان

لما أتى بالهرمزان أسيرا الى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم . فقال له عمر : أحرص عليك الاسلام نصبا لك في عاجلك وآجلك . قال : يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في الاسلام . فدعا له عمر بالسيف فلما هم يقتله . قال : يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتل على ظمأ . فأمر له بشربة من ماء، فلما أخذها قال : أنا آمن حتى ما شربها ؟ قال : نعم . فرمى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : صدقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك . ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده . فقال عمر : أسلمت خير لاسلام لما أترك ؟ قال : كرهت أن تظن أنني أسلمت جزأ من السيف . فقال عمر : إن لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا خيه من الملك ثم أمر به أن يُبر ويكرم، وكان بعد يشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس .

« طيب الأعراق يَسْتَوْجِبُ كرم الأخلاق »

« وزكاة شرف النسب التحلي بحلبة الأدب »

إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع

قال العُتبي : تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطيب بين يدي أحمد .
ابن أبي دؤاد في مجلس الحكم في قنار بناحية السواد ، فأرْبَى عليه إبراهيم وأغْلَظ له .
فأَحْفَظ ذلك ابن أبي دؤاد فقال :

يا إبراهيم إذا نازعت في مجلس الحكم أمراً فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتاً .
ولا أشرت بيد ، ولكن قَصْدُكَ أَمّاً ويرحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، ووقف .
مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير والاستكانة والتوجه الى الواجب ، فان .
ذلك أشبه بك ، وأشكل بمذهبك في عَتِدِكَ وعظيم خَطَرِكَ ؛ ولا تعجلن قرب عجلة .
تهب ريثاً . والله يَعْصِمُكَ من خَطَل القول والعمل ، ويُثَمِّ نعمته عليك كما أتمها على .
أَبَوَيْكَ من قبل إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أصلحك الله ، أمرت بسداد ، وحَضَبْتُ على رشاد ، ولست .
حائداً لما يَثْلُم مروقتي عندك ، ويُسْقِطُنِي من عينك ، ويُجْرِجُنِي من مقدار الواجب .
الى الاعتذار ، فهأنذا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مُقَرَّر بنزبه معترف بِجُرمه .
ولا يزال الغضب يَسْتَفِزُنِي بِبَوَادره ، فيُرْدُنِي مثلك بحلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا .
منك . وقد جعلت حقِّي في هذا العقار لابن بَخْتِشُوع فليت ذلك يكون واقفاً بأَرْش^(٨) .
الجناية عليه ، ولم يَتَلَفْ مال أفاد موعظة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) أُرْبَى عليه : زاد . (٢) أَحْفَظُه : أغضبه . والحفيظة : الحمية والغضب . (٣) الأم :

البن من الأمز والوسط . (٤) المحدث : الأصل . (٥) الريث : الإبطاء والمقدار .

(٦) فلم إلاّ : كره من حره . (٧) استغفزه : استغفنه وأزججه . (٨) الأرض : الدية

وما يعطى تويضاً .

« سبيل الحلم التحلم »

الأخنف بن قيس وقيس بن عاصم

قيل للأخنف بن قيس : ^{مِنْ} تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المِثْقَرى ،
 رأيته قاعداً يَفْناء داره ، ^{مُحْتَبِئاً} بمائل سيفه ، يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف
 ورجل مقتول ؛ فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ما حلَّ حُبوته ولا قطع
 كلامه ، ثم التفت الى ابن أخيه وقال له : يا ابن أُمِّي أسأت الى رَجِيحك ، ورميت
 نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بني فحلَّ كُتاف ابن
 عمك ووَارِ أخاك ، وسق الى أمه مائة ناقة دِيَّةً ابناً فانها غريبة . ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ لا يعطِّي حسبي دَنَسٌ يَهْجَنهُ ولا أَفْنٌ ^(٢)
 من مِثْقَرٍ في بيت مَكْرُمَةٍ والغُصْنُ يَنْبُتُ حوله الغُصْنُ
 خطباءُ حين يقول قائلهم بيض الوجوه مَصَّاقِعُ لُسن ^(٣)
 لا يَقْطُونَ لعب جارهم وهم لَحِظُ جواره فُطن ^(٤)



« من سَلَفَتْ خدمته وجَبَتْ حُرْمته »

معن بن زائدة وجاره بين يدي المهدي

قال سعيد بن مسلم : نذر المهدي دم رجل من أهل الكوفة كان يَسْعَى في فساد
 سلطانه ، وجعل لمن دَلَّ عليه أو جاء به مائة ألف درهم . فأقام الرجل حيناً متوارياً
 ثم إنه ظهر بمدينة السلام ، فكان ظاهراً كغائب خائفاً متربحاً . فبينما هو يمشي في بعض

(١) احتبي : جمع بين ظهره وساقيه بسمامة أو نحوها ، والاسم من ذلك الجبوة . (٢) اطياء :
 دحاه واستواء . والآن : ضيف الرأى ، وقوله كفرح . (٣) رجل لسن والسن : فصيح ويجمع
 السن على لسن كالحروجر . (٤) فطن : جمع فطن ، يكون : جمع جون ، وهذا جمع نادر .
 (٥) مدينة السلام : بغداد أو قسم منها .

نواحيا إذ بَصَرَهُ رجل من أهل الكوفة فعرفه فأهوى الى مجامع ثوبه، وقال :
 هذا بُغْيَةُ أمير المؤمنين . فامكن الرجل من قياده ونظر الى الموت أمامه . فبينما هو
 على تلك الحال اذ سمع وقع حوافر الخيل من وراء ظهره، فالتفت فاذا معن بن زائدة .
 فقال : يا أبا الوليد أبحرني أبارك الله . فوقف وقال للرجل الذي تَعَلَّقَ به : ما شأنك ؟
 قال : بُغْيَةُ أمير المؤمنين الذي نَذَرَ دمه ، وأعطى لمن دَلَّ عليه مائة ألف . فقال :
 يا غلام انزل عن دابتك واحمل أخانا . فصاح الرجل يا معشر الناس يحال بيني وبين
 من طلبه أمير المؤمنين ! قال له معن : اذهب فأخبره أنه عندى . فانطلق الى باب
 أمير المؤمنين فأخبر الحاجب فدخل الى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل ووجهه
 الى معن من يَحْضُرُ به ، فأنته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقُرِّبَت اليه دَابَّتُهُ ،
 فدعا أهل بيته ومواليه وقال : لَا يُخْلَصَنَّ الى هذا الرجل وفيكم عين تَطْرِفُ^(٢) ، ثم رَكِبَ
 ودخل حتى سلم على المهدي فلم يَرِدْ عليه وقال يا معن : أُنْجِئْ عَلى ؟ قال نعم : يا أمير المؤمنين .
 قال : ونعم أيضا ، واشتد غضبه . فقال معن : يا أمير المؤمنين قتل في طاعتكم
 يا معن في يوم واحد خمسة عشر ألفا ، ولى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائى وحسن غنائى ،
 فما رأيتموني أهلا أن تَهْبُوا لى رجلا واحدا مستجارى ؟ فَأَطْرَقَ المهدي طويلا ثم رفع
 رأسه وقد سُرَى^(٣) عنه فقال : قد أجزنا من أجزت . قال معن : فان رأى أمير المؤمنين
 أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه « فعل » قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف . قال :
 يا أمير المؤمنين إن صلوات الخلفاء على قدر جنایات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم
 فأجزل له الصلوة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : فتعجلها يا أمير المؤمنين

(١) مجامع الثوب : ما أحاط بالجيب ويقال لها التلايب . (٢) طرفت العين : تحركت .

(٣) سرى عنه الهم : انكشف ، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور .

بأفضل الدعاء ثم انصرف وحلّقه المال ، فدعا الرجل وقال له : خُذْ صلتك والحق
بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

« ليس العطاء مع المُضْبُول سَمَاحَةً ^{♦♦} حتى تَجُودَ وما لديك قليلُ »

معن بن زائدة والأُسُود

روى مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا جَدَّ الْمَنْصُورُ
فِي طَلَبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ مَا لَا اضْطُرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ
حَتَّى لَوَّحَتْ ^(١) وَجْهِي وَخَفَّفَتْ ^(٢) أَرْضِي ، وَلَيْسَتْ جُبَّةٌ صَوْفٌ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَنَجَرْتُ
مَتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأَقِيمَ بِهَا . فَلَمَّا نَجَرْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ
تَبَعَنِي أُسُودٌ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا ، حَتَّى إِذَا خَبِثَ عَنِ الْحَرَسِ قَبْضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاقَهُ
وَقَبْضَ عَلَى يَدِي . فَقُلْتُ لَهُ : مَا يَكُ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ طَلِبَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ :
وَمِنْ أَنَا حَتَّى أُطَلَّبَ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ ؟ فَقَالَ : دَعِ هَذَا فَأَنْتَ وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ
مَعْنَهُ إِجْلَدَ قُلْتُ لَهُ : هَذَا عِقْدُ جَوْهَرٍ قَدْ حَمَلْتَهُ مَعِيَ بِأَضْعَافٍ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَحْمِلُهُ
بِي نَفْذِهِ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا لِسَفْكَ دَمِي . قَالَ : هَاتِهِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ :
حَبِذْتُ فِي قِيَمَتِهِ ، وَلَيْسَتْ قَابِلُهُ مِنْكَ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَّقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ .
فَقُلْتُ : قُلْ . قَالَ : إِنْ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَا لَكَ كُلَّهُ قَطُّ ؟
قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَنَصِفْهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَتَلْتَهُ ؟ قُلْتُ : لَا . حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ
وَقُلْتُ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا . قَالَ : مَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ . أَنَا وَاللَّهِ رَاجِلٌ وَرَزَقَ مِنْ

(١) لوحه العطش والسكر : غيره ، ولوحته وجهه الشمس : غيرت لونه . (٢) العارضان :
جنازة الوجه وما يكون عليهما من الخيبة . (٣) الطلبة : الحاجة وما يطلب . (٤) الراجل :
غير الراجل

أبى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تُعجبك نفسك ولتُحقّر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة .
فقلت : يا هذا قد والله فضّختني وأسفك دمي على أهون مما فعلت ، فخذ ما دفعته لك .
فأني غني عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذّبي في مقالي هذا والله لأأخذته ولا أأخذ .
لمعروف ثمنا أبدا ! ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يبي .
به ما شاء فما عرفت له خبرا وكان الأرض ابتلعتة .

معاوية والأعرابية

يروى أن معاوية خرج متّزها فرجوا^(١) ضخم فقصده قصد بيت منه ، فاذا بفنانته امرأة برّزة ، فقال لها : هل من غداء ؟ قالت : نعم حاضر . قال : وما غداؤك ؟
قالت : خبز تمير ، وماء تمير ، وحبس فطير ، ولبن حمير ، فتّني وركه وتزل ، فلما تغدى .
قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل الحواء . قال : هاتي حاجتك في خاصة نفسك . قالت : يا أمير المؤمنين إني أكره أن تنزل وأديا فيرفأوله ويقف آخره^(٢) .

« قيمة الرجال في حسن الاحتيال »

الأحنف بين يدي معاوية

روى المدائني أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية مع أهل العراق ، فخرج الأذن فقال : إن أمير المؤمنين يعزّم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه . فلما وصلوا

(١) الحواء : كتاب : جماعة البيوت المتدانية . (٢) البرزة من النساء : الكهلة الجليظة تبرز للقوم ويحدهن مع العفة . (٣) الحبس : تمر يخلط بسمن ولبن ممخوض . (٤) الحمير : الخناثر من اللبن . (٥) رف للنبات : اهتر . (٦) كف النبات : يس .

اليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دقت ونازلة نزلت
ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنين وبره . فقال معاوية :
حسبك يا أبا بجر فقد كفيبت الشاهد والغائب .



« خير الناس أنفعهم للناس »

الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب

قال المدائني : قدم الأحنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه
في أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم
وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أنتك وفود أهل
العراق ، وإن اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية والملوك
الجبارة ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر^(١) ، فهم من المياه العذبة والحنان المختلفة
في مثل حَوْلَاء السِّلَى وَحَدَقَةِ الْبَيْرِ تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةٌ لَمْ تَحْصُرْ^(٢) . وإنا نزلنا أرضًا
حَرْفٌ فِي قَلَاةٍ وَطَرْفٌ فِي مِلْحٍ أَجَاجٍ ، جانب منها مَنَابِتُ الْقَصَبِ وَجَانِبٌ سَبَخَةٌ نَشَاشَةٌ^(٣)
لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا وَلَا يَنْبُتُ مَرَاهَا . يُخْرِجُ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ مَنَا يَسْتَعِذُّ بِهَا مِنَ الْمَاءِ مِنْ
فَرْحَيْنِ وَتُخْرِجُ الْمَرْأَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ رُتْقٌ لَوْلَدِهَا تَرْثِقُ الْعَتْرَةَ خَافَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ وَالسَّيِّعُ .
فَلَا تَرْفَعُ حَبِيبَسَنَا وَتَتَعَشَّرُ^(٤) رِكْسَنَا وَتَجْهَرُ نَاقَتَنَا وَتَرْدُ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا وَفِي رِجَالِنَا رِجَالًا

- (١) يقال : دفت دافة أى أنت فتة مهاجرة . (٢) بنو الأصغر عند العرب : هم الروم .
(٣) السِّلَى : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحَوْلَاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد ،
وهذا يكونون به من الخصب وكثرة الماء والخضرة . (٤) قال في اللسان : وفي حديث الأحنف
نزلوا في مثل حدقة البئر أى نزلوا في خصب وشبهه بحدقة البئر لانها يا من الماء . (٥) خصر :
يرد . (٦) أرض سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ولا ينبت مراها . (٧) رتق الماء : صفاء .
(٨) فضة : رفة كانه شه . والركسة : الضعفة .

وَتَصَغَّرْ دَرَهْمًا وَتَكْبِرْ قَفِيزًا^(١) وَتَأْمُرْ لَنَا بِحَفَرِ نَهْرٍ نَسْتَعِزُّ بِهِ الْمَاءَ هَلْكًَا . فَقَالَ عَمْرٌ :
هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَحْتَفِرَ لَهُمْ نَهْرًا .



« من أعظم المآثر إنهاض العائر »

أُسَيْدُ بْنُ عَنَقَاءَ وَعُمَيْلَةُ الْفَزَارِيُّ

كَانَ أُسَيْدُ بْنُ عَنَقَاءَ الْفَزَارِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَشَدَّهُمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا وَطَالَ
عَمْرُهُ وَنَكَبَهُ دَهْرُهُ وَاخْتَلَتْ حَالُهُ ، فَفَرَجَ عَشِيَّةً يَنْبَقِلُ لِأَهْلِهِ قَرِيبَهُ عُمَيْلَةُ الْفَزَارِيُّ فَلَمَّ
عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَمُّ مَا أَصَارَكَ إِلَى مَا أَرَى ؟ قَالَ : بِخُلِّ مِثْلِكَ بِمَالِهِ وَصَوْنٍ وَجَهِي
عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ . فَقَالَ : لَيْتَ بَقِيتُ إِلَى غَدٍ لِأُفَيِّرَ مَا أَرَى مِنْ حَالِكَ . فَرَجَعَ
ابْنُ عَنَقَاءَ إِلَى أَهْلِهِ فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَهُ لَهُ عُمَيْلَةُ . فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ غَرَّكَ كَلَامُ غُلَامٍ جُنَحَ
ظِلَامٍ . فَكَأَنَّمَا أَقَمْتَ فَاهَ حِجْرًا ، فَبَاتَ مُتَمَلِّيًا بَيْنَ رَجَاءٍ وَيَأْسٍ . فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ^(٢)
سَمِعَ رُفَاءَ الْإِبِلِ وَثِقَاءَ الشَّاءِ وَصَهِيلَ الْخَيْلِ وَجَلَبَ الْأَمْوَالِ . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا :
هَذَا عُمَيْلَةُ سَاقَى إِلَيْكَ مَالَهُ . فَفَرَجَ ابْنُ عَنَقَاءَ لَهُ فَقَمَمَ عُمَيْلَةَ مَالَهُ شَطْرَيْنِ وَسَامَهُ^(٣)
عَلَيْهِ . فَأَنشَأَ ابْنُ عَنَقَاءَ يَقُولُ :

رَأَيْتُ عَلَى مَابِي عُمَيْلَةَ فَاشْتَكَيْتُ	إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَّزْتُ
دَعَانِي قَاسَانِي وَلَوْضَنْتُ لَمْ يَلَمْ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوِي رَجَى وَلَا حَضَرْتُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْبَيْتُ فَعَلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتُ مِنْ ذِمِّ أَوْشَكَرُ
وَلَمَّا رَأَى الْحَمْدَ اسْتَعِيرَتْ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى رِءَاءَ سَابِغِ الذَّنْدِيلِ وَاتَّرَدَّى

(١) القفيز : مِجَالٌ . (٢) تَبَقِلُ : تَخْرُجُ يَطْلُبُ الْبَقْلَ . (٣) جُنَحَ اللَّيْلِ أَوِ الظُّلَامِ :
الطَّاقَةُ مِنْهُ . (٤) الْحَبْجُ : الْجَلْبَةُ وَالصِّيَاحُ وَاضْطِرَابُ مَوْجِ الْبَحْرِ . (٥) سَامَهُ : قَارَعَهُ
أَيَّ ضَرْبِ الْقِرْعَةِ .

غلام رماه الله بالخير مقبلا له سميَاء لا تُشَقَّ على البصر^(١)
إذا قيلت الموراء أغضى كأنه ذليل بلا ذُلَّ ولو شاء لا تنصر^(٢)

«وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصيرُ بدرا كاملا»^(٣)

الفضل وجعفر ابنا يحيى البرمكي

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمى وكانت ليبة من النساء حازمة فصيحة برزة يعجبني أن أجدها عند أمى فاستكثر من حديثها، فقلت لها يوما : يا أم جعفر إن بعض الناس يفضل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبريني . فقالت : مازلنا نعرف الفضل للفضل . فقلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا . فقالت : هانا أحدثك وأقض أنت . وذلك الذي أردت منها . فقالت : كانا يوما يلعبان في داري فدخل أبوهما فدهما بالغذاء وأحضرهما فطعمًا معه ثم آتسهما بحديثه ثم قال لهما : أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر . وكان أجراهما : نعم ! قال : فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر : لا . قال : فآلعبا بها بين يدي لأرى لمن القلب . فقال جعفر : نعم ! وكان الفضل أبصر منه بها . فجاء بالشطرنج فصفت بينهما وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل . فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك ؟ فقال : لا أحب ذلك . فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها مني فيأنتف من ملاحقتي وأنا ألاعبه مخاطرة . فقال الفضل : لا أفعل . فقال

(١) أتد من الإزار قلبت الهمة تاء وادخمت في تاء الافعال . (٢) السياء والسياء والسمياء والسمياء : العلامة . يقول : يخرج به من يراه للطف بحياه . (٣) الموراء : الكلبة القيصة وقريب من هذا البيت قول الآخر :

يسمى من الكهشاه حتى كأنه إذا ذكرت في مجلس القوم غائب

(٤) هو محمد بن هسان بن عبد الرحمن صاحب ضلوة الكوفة . (٥) التصحيح أن يقال هاناذه . (٦) المخاطرة : المراهنة .

أبوه : لاعبه وأنا معك . فقال جعفر : رَضِيتُ وأبى الفضل واستغنى أباه فأعفاه .
ثم قالت لى : قد حَدَّثْتُكَ فاقض . فقلت : قد قضيت بالفضل للفضل على أخيه .
فقالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حَكَمْتُكَ . أفلا ترى أن جعفرًا قد
سَقَطَ أربع سَقَطَاتٍ تَزَّهَ الفضل عنهن . فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب
بالشَطْرَنَجِ وكان أبوه صاحبِ جَدِّ . وسقط في التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة
لغلبه والتَّعَرُّضُ لغضبه . وسقط في طلب المقامرة وإظهار الخرص على مال أخيه .
والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه لاعبه وأنا معك ، فقال أخوه لا ، وقال هو
نعم ، فَنَاصَبَ صَفًّا فِيهِ أبوه وأخوه . فقلت : أَحَسَنْتِ والله وأنتَ لا تقضى من
الشَّعْبِ . ثم قلت لها : عزمت عليك أخبريني هل خَفِيتُ مِنْهُ هَذَا على جعفر وقد
فَظِنَ له أخوه ؟ فقالت : لولا العَزْمَةُ لما أَخْبَرْتُكَ ، إِنِ ابَاهُمَا لما نَجَّحَ قِلْتُ للفضل
خَالِيَةً بِهِ : ما مَنَعَكَ من ادخال السرور على أهلك بملاعبة أخيك ؟ فقال : أمران
حدهما لو أُنِى لَاعْبَتَهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَجْجَلْتُهُ ، والثانى قول أبى لاعبه وأنا معك ، فما يَسُرُّنِى
أَنْ يَكُونَ أبى مَعِى عَلَى أُنْحَى . ثم خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنِ اللَّعْبِ
بِالشَّطْرَنَجِ فَيَصْغُرُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ وَأَبُوكَ صَاحِبُ جَدِّ . فقال : إِنِى سَمِعْتُ أبى
يَقُولُ نِعْمَ مَثَلُ الْبَالِ الْمَكْدُودِ^(٢) . وقد علم ما تلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن أن
يكون بلغه أنا نلعب بها ولا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكَرَ فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ اشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَلَيْهِ ،
وقلت ان كان توبىخ فديته من المواجهة به . فقلت له : يَا بُنَى فَلِمَ تَقُولُ لِأَخِي
مُخَاطَرَةٌ ؟ كَأَنَّكَ تَقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاءَ
الَّتِى وَهَبَهَا لى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَرَضَتْهَا عَلَيْهِ فَأَبَى قَبُولَهَا وَطَمَعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِى فَأَخَاطَرُهُ
عَلَيْهَا وَهُوَ يَغْلِبُنِى فَطُيِبَ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فقلت لها : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاءُ ؟

(١) ناصب الصف : وقف إزاءه وطأه . (٢) كده : أجهده وأثمه .

فقالت : إن جعفرًا دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر
محللة بالياقوت الأزرق والأصفر فرآه ينظر إليها فوهبها له . فقلت إياه . فقالت :
ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناسبة أبيك حين قال
لا عبه وأنا معك ؟ فقلت أنت نعم وقال هولا . فقال : عرفت أنه غالي ولو فتر
لعبه لتغالبت له مع ما له من الشرف والسرور بتعزأبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن
فقلت : ^(١)يَخْ يَخْ هذه والله السيادة . ثم قلت لها : يا أماء أكان منهما من بلغ الحلم ؟
فقالت : يا بني أين يُنْهَبُ بك ؟ أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول « أكان منهما من
بلغ الحلم » لقد كانا تنهى الصبي إذا بلغ العشر وحضر من يُستَحْي منه أن يَتَيْسَم .



براعة الرشيد في الأدب

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من
الخيرات وأبسط له من البركات حتى يكون في كل يوم من أيامه مُرِيًّا على أممه
مُقَصِّرًا عن غده .

فقال له الرشيد : يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث
أفصحاه وأوضحه إذا رام أن يقول لم يُعْجِزه القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحدا تقدمني الى هذا المعنى . قال :
بل أعتنى قمتان حيث يقول :

رأيتك أمس خير بني لؤي وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تريد الخير ضعفاً كذلك تزيد سادة عبد شمس

(١) يقال : يَخْ يَخْ يَخْ إجماعاً بالشئ وظاهراً للسود .

الوائقي وابن أبي دُوَاد

قال أبو العيناء : دخل ابن أبي دُوَاد على الوائقي فقال له الوائقي : ما زال اليوم قوم في ثَلْبِكَ^(١) وتفصك . فقال : يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كِبَرُه منهم له عذاب عظيم . والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورثته ، وما ذَلَّ يا أمير المؤمنين من كُنْت ناصره ولا ضاع من كنت حافظه .
فلماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت يا أبا عبد الله :
وسعى الى بعيد عِزَّةٍ معشر جعل الآله خُدُودُهُن نِعَالُهُن



« المحبة مفتاح كل خير وطريقها التفضل »

المصور والربيع بن يونس^(٢)

قال سعيد بن مسليم بن قُتَيْبَةَ : دعا المصور بالربيع فقال : سَلْنِي ما تريد ، فقد سَكَّتْ حتى نَطَقْتُ^(٣) ، وخَفَفْتُ حتى ثَقُلْتُ ، وأَقَلْتُ حتى أَكْثَرْتُ . فقال : والله يا أمير المؤمنين : ما أَرْهَبُ بِثُكِّكَ ، ولا استقصِرُ عَمْرُكَ ، ولا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَغْنِمُ مَالَكَ ، وإن يومى بِفَضْلِكَ على أحسن من أهْمِي وفدك في تأميلي أحسن . من يومى . ولو جاز أن يَشْكُرَكَ ، مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقنى لذلك أحد .
قال : صدقت ، علمى بهذا منك أحلك هذا المحل فسلى ما شئت .
قال : أسألك أن تُقَرِّبَ عبدك الفضل وتُؤَيِّرَهُ وَتُجِيبَهُ .
قال : يا ربيع إن الحب ليس بمال يوهب ولا رتبة تبذل ، وإنما تؤكده الأسباب .

(١) الثالب : القدح والظعن . (٢) الربيع بن يونس هو حاجب المصور توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٣) يقول : إنك أطلت السكوت فنهيت بذلك على نفسك فقام السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس .

قال : فاجعل لي طريقا اليه بالتَّفضُّل عليه .

قال : صدقت وقد وصلته بألف درهم ولم أصل بها أحدا غير عمومي
تعلم ماله عندي فيكون منه ما يَسْتَدْعِي به حَبْبِي . وكيف سألت له المحبة يا ربيع ؟
قال : لأنها مفتاح كل خير ومغلاق كل شر ، تَسْتَرِ بها عندك عيوبه ، وتصير
حَسَنَاتِ دُؤْبِهِ .

قال : صدقت وأتيت بما أردت .



« الجاهل ان مزح اسخط ، وان اعتذر أفرط »

الأعرابي السائل

وقف أعرابي يسأل فَعَبْتُ به فتى وقال : ممن أنت ؟

فقال : الأعرابي من بنى حامر بن صَمَصَةَ .

قال : من أيهم ؟

قال : ان كنت أردت عاطفة القرابة فَلْيَكْفِكَ هذا المقدار من المعرفة ، فليس
مقامي بمقام مجادلة ولا مفارقة ، وأنا أقول فان لم أكن من هاماتهم فليست من أعجازهم .^(١)

فقال الفتى : ما رَوَيْتَ عن فَضِيلَتِكَ إلا النقص في حَسَبِكَ .

فامتعض الأعرابي لذلك فجعل الفتى يعتذر ويَحْلِلُ الهزل والدُّعَابَ باعتذاره^(٢)
وأطال الكلام . فقال له الأعرابي : يا هذا انك منذ اليوم أدبَتَنِي بمزحك وقطعتني
عن مَسَائِلِي بكلامك واعتذارك ، وانك لَتَكْشِفُ من جهلك بكلامك ما كان السكوت
يَسْتُرُهُ من أمرِك . وَيَحْكُ ! ان الجاهل ان مَزَحَ اسخط ، وان اعتذر أفرط ، وان حَدَّثَ

(١) الهامات : الهمس . (٢) امتعض : تألم . (٣) الدُّعَابُ : اللعب والمزح .

أَسْقَطُ^(١)، وَإِنْ قَدَّرَ تَسَلَّطَ، وَإِنْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ تَوَرَّطَ^(٢)، وَإِنْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْوَقَارِ تَبَسَّطَ^(٣). أَعُوذُ مِنْكَ وَمِنْ حَالِ اضْطَرَّتِّي إِلَى احْتِمَالِ مِثْلِكَ .

رَبِّ كَلَامٍ أَقْطَعُ مِنْ حُصَامِ

معاوية والأحنف بن قيس

أما عزم معاوية - رضى الله عنه - على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه يوفد أهل العراق فبعث إليه يوفد البصرة والكوفة فتكلمت الخطباء في يزيد، والأحنف ابن قيس ساكت، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر فإن العيون اليك أشجع منها إلى غيرك، فقام الأحنف : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين إنك أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، وإعلانه وإسراره، فإن كنت تعلمه لله رضا فلا تشاور فيه أحدا ولا تُهَيِّمَ له الخطباء والشعراء، وإن كنت تعلم بعده من الله فلا تُرَوِّدْهُ من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة، فأنك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقعد يا أبا بحر فإن خيرة الله تجري وقضائه يمضى وأحكامه تنفذ لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . وإن يزيد قى بلواه ولم نجد في قريش قى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين أنت تحكى عن شاهد ونحن نتكلم على غائب وإذا أراد

الله شيئا كان .

(١) أسقط : أخطأ . (٢) تورط في الأمر : وقع وارتبك . (٣) تبسط : أكثر من القول وجانب الاحتشام . (٤) أشجع : أرفع وأكثر نظرا . (٥) الذنوب : الدلو الملاءى ، جمعه أذنبة وذنائب . (٦) أى لا راد لقضائه .

« خير صفات الرسول ان يكون ذا مقول ومعقول »

الحجاج ورسول المهلب

يروى أن المهلب^(١) لما فرغ من أمر عبد ربه الحروري^(٢) دعا بشر بن مالك^(٣) فانفضذه بالإشارة إلى الحجاج . فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر ابن مالك . فقال الحجاج : بشاره ومُلك . كيف خَلَقْتَ المهلب ؟ قال : خَلَقْتَهُ وَقَدْ أَمِنَ مَا خَافَ وَأَدْرَكَ مَا طَلَبَ . قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداءة لهم والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للتقين ؛ فما حال الجند ؟ قال : وسعهم الحق وأغناهم النفل^(٤) وأنهم لَمَعَ رجل يسوسهم بسياسة الملوك ويقا تل بهم قتال الصُّعْلوك ؛ فلهم منه ير الوالد وله منهم طاعة الولد . قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رُعاة البِيات حتى يأمنوه ومُحَمَّاة السَّريح حتى يرُدُّوه^(٥) . قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أيهم . قال : وأنت أيضا فاني أرى لك لسانا وجبارة . قال : هم كالحلقة المفرغة^(٦) لا يدري أين طرفاها . قال : وَيَحْكُ ! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يَعْلَمُ الغيب إلا الله . فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي : كان شجاعا مهيرا قائدا من أكبر قواد الجيوش في الدولة الأموية وهو الذي شنت الخوارج ومنهم كل مزيق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لأنه حاصها من الخوارج توفي سنة ٨٢ هـ . (٢) الحروري نسبة إلى حروراء على غير القياس وهي بلدة بقرب الكوفة . والحرورية : قرية من الخوارج كالازارقة . (٣) كذا في زهر الآداب وفي تلخيص ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشر وأخطب سهل . (٤) النفل : الغنيمة جمعه أُنْفال . (٥) يقول : إنهم يخشون أن يبتهم العدو أي يجمع عليهم ليلا فلا ينامون إلا إذا أمنوا ذلك . (٦) السريح : المشاة في المعركة . (٧) الحلقة المفرغة : المصوبة قطعة واحدة ، وهذه الجملة مثل لامرأة حربية .

حديث معاوية وليلى الأخيلية^(١)

قال بعض الرواة : بينا معاوية يسير اذ رأى راكبا فقال لبعض شرطه ائتني به
وياك أن ترّوّه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين . فقال : إياه أردت . فلما دنا
الراكب حذر لثامه فاذا ليل الأخيلية فأنشأت تقول :

مُعَاوِيَ لَمْ أَكِدْ أَنْيَسْكَ تَهْوِي برحلى نحو ساحتك الرّكّاب
تجوب الأرض نحوك ما تَأْتِي اذا ما الأثم قنعها السّراب^(٢)
وكنّت المرّجى وبك استعاذت لَتَنَعَشَهَا اذا بَحِثَ السّحاب

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلى يطلب الى مثلك حاجة فتخبر ، أنت
أعلى عينا . فاعطاها خمسين من الإبل . ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فاحر
يمضر وحارب بقيس وكأبر بتميم ونأظر بأسد .^(٣)

فقال : ويحك ياليلى ! أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين
ليس كل الناس يقول حقاً . الناس شجرة بنى يحسدون النعم حيث كانت وعلى من
كانت ؛ كان — يا أمير المؤمنين — سبط البنان ، حديد اللسان ، شجى الأقران ،
كريم الخبر ، عفيف المتزر ، جميل المنظر . وكان كما قلت ولم أبعد عن الحق فيه :
بعيد المدى لا يبلغ القرم غوره الله مله يغلب الحق باطله^(٤)

فقال معاوية : ويحك ياليلى ! يزعم الناس أنه كان طاهرا فاجرا . فقالت من
ساعتها مرتجلة :

(١) ليل الأخيلية أشعر امرأة عربية بعد الخنساء . (٢) الأكم : واحدة أكمة ، وسكنت
الكاف الوزن . تقول : إن ركاها تجول في الأرض قاصدة معاوية ولا تتأني عند اشتداد الحر اذ تنطلي الأكام
بالسراب . (٣) مضر : أصل لقيس وعم وأسد . تقول : إن مضر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة
والأقدام وتميم ذور الكثرة والعدد وأسد أهل الجعة واللد . (٤) القرم السيد . والأله : الشديد
الخصومة ، والله مبالغة في الأله . تقول : لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق .

معاذ التَّهَى قد كان والله توبة
 أغر خَفَاجِيًّا يرى البُخلُ سُبَّةً
 جواداً على العِلَّاتِ جَمًّا نَوَافِلُهُ ^(١)
 تُخَالِفُ كِفَاهَ النَّدَى وَأَنَا مِلَهُ
 عفيفاً بعيدَ المَمِّ صُلْباً قَنَانُهُ ^(٢)
 وكان إذا ما الضيفُ أَرغَى بهيره
 وقد علم الجذبُ الذي كان سارياً
 على الضيف والجيران أنك قاتله
 وأنت رَحْبُ الباع يا تَوْبَ بالقرى
 إذا ما لثِمَ القوم ضاقت مَنْزَلُهُ
 بيت قرير العين من كان جَارُهُ
 وَيُضَيِّحِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمَنْزَلُهُ
 فقال لها معاوية : ويحك يا ليل ! لقد جُرِّتِ بتوبة قدره . فقالت :
 يا أمير المؤمنين والله لو رأيته وَخَبَرْتَهُ لَمَلَيْتُ أنى مقصرة في نعمته لا أُلْبِغُ كُنْهَ ما هوله .
 أهل . فقال لها معاوية : في أى سن كان توبة ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :
 أنته المنايا حين تَمَّ تَمَامُهُ وأقصر عنه كل قِرْنٍ يُنَاضِلُهُ
 وصار كَلَيْتِ الغاب يحى عَرِينَهُ فترضى به أَشْبَالُهُ وحلائله
 عطوف حليم حين يطلب حليمه وَسَمُّ دُمَافٍ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ
 فأمر لها بمحاورة وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟
 قالت : يا أمير المؤمنين ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر .
 ولقد أجدت حيث أقول :

جزى الله خيراً والجزاء يكفهُ
 قَتَى من عَقِيلٍ سَادَ قَيْرٍ مُكَلَّفٍ
 قَتَى كانت الدنيا تَهُونُ بِأَمْرِهَا
 عليه فلم يَنْفَكْ جَمُّ التَّصَرُّفِ
 ينال عِلَيَّاتِ الأُمُورِ يَهْوَتُهُ
 إذا هي أَعْيَتِ كل نَرَقٍ مُسَوِّفٍ ^(٣)

(١) على العِلَّاتِ : أى على كل حال . والنوافل : العطايا . (٢) النوائل : الدراهم ، وفلان .
 قليل النوائل : أى ليس فيه ما يهيبه العشير . (٣) الهوة : الثؤدة . والخرق : القى الحسن .
 الكريم السجاي . والمسوف : من يصنع ما شاء لا يردده حد .

« رَبِّ ذَاتِ خَلْخَالٍ ، أُرْشِدْتِ إِلَى أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ »

الحارث بن عوف المُرِّي ومصاهرته أوس بن حارثة الطائي^(١)

يروى أن الحارث بن عوف المُرِّي قال يوما لخارجة بن سنان المرِّي : أتُراني
أخطب إلى أحد فِرْدَنِي ؟ قال : نعم . قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة
ابن لأم الطائي . فقال الحارث لفلانمه : ارحل بنا . ففعل فرجبا حتى أتيا أوسا ،
فلما رأى الحارث بن عوف قال : مَرَّحِبَا بك يا حارث . قال : وبك . قال :
ما جاء بك ؟ قال : جئتُك خاطبا . قال : لست هناك ، فانصرف ولم يكلمه ودخل^(٢)
أوس على امرأته مُغَضِّبًا — وكانت من بنى هبس — فقالت : مَنْ رجل وقف^(٣)
عليك فلم يُطِلْ ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف المُرِّي .
فألت : فما لك لا تستنزه ؟ قال : انه اسْتَحَقَّ . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني^(٤)
خاطبا . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد
العرب قَنَ ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟
فألت : تلحقه قَرْدَه . قال : وكيف وقد قَرَطَ مني ما قَرَطَ إليه ؟ قالت : تقول له :
إنك لقيتني مقتضِبًا بأمر لم يتقدم مني فيه قول فلم يكن عندي فيه من الجواب^(٥)
إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت . فانه سيقعل ، فركب في أثرهما .

(١) هو أحد عطاء ذبيان . ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين اللذين سميا في الصلح
بين هبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي دامت نحو أربعين سنة . وقد احتللا في مالهما خاصة
خزامة تلك الحرب . (٢) هو سيد طيء في زمانه وفيه يقول الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقتضى حاجتي فيمن قضاه

فأطعن الحصا مثل ابن سعدى ولا لبس الثفال ولا احتشاه

(٣) أى لست كفتا . (٤) هبس وذبيان أبناء عم . (٥) استحقق : فعل فعل الحق .
(٦) الاقتضاب : المفاجأة .

قال خازجة بن سنان : فوالله انى لأسير إذ حانت منى التفاتة فرأيتُهُ فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمُنِي غمًا ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة فى أثَرنا . قال : وما نصنع به ؟ امض . فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حارث اربع على ساعة ^(١) . فوقفنا له فكلما بذلك الكلام فرجع مسرورا .

فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته : ادعى لى فلانة — لا كبر بناته — . فأنته فقال : يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءنى طالبا خاطبا وقد أردت أن أزوجه منك . فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولله ؟ قالت : لأنى امرأة فى وجهى ردة ^(٢) ، وفى خلقى بعض المهدة ^(٣) ، ولست بانية عمه فيرى رضى ، وليس يبارك فى البلد فيستحى منك ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى . فيكون على فى ذلك ما فيه . قال : قومى — بارك الله عليك — ، ادعى لى فلانة — لابنته الوسطى — فدعتها ثم قال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها وقالت : انى نحرءا ^(٤) وليست بيدي صناعة ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على فى ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمى فيرى حتى ولا جارك فى بلدك فيستحيك . قال : قومى — بارك الله عليك — ، ادعى لى بهيسة — يعنى الصغرى — فأنى بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : قد عرضت ذلك على أختيك فابتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقاتليهما — لكنى والله الجميلة وجهها الصنَّاع ^(٥) يدا الرفيعة : خلِّقا الحسبية أبا ، فان طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك .

(١) ربع عليه : وقف له أو مال إليه . (٢) يقال : فى وجهه ردة أى قبح مع شئ من الجمال .

(٣) المهدة : الضف . (٤) النحرءا : التى لاتحسن صنعة . (٥) امرأة صنَّاع : حاذقة فى الصناعة .

قال خارجة : ثم خرج الينا فقال : قد زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس .
 قال : قد قبلت . ثم أمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر بيث فضرِب له^(١)
 وأنزله إياه . فلما هيئت بعث بها إليه فلم يلبث عندها إلا هنيهة^(٢) ثم خرج الى ، فقلت :
 أبنيَت بأهلك ؟ قال : لا والله فاني لما دنوت منها قالت : مه ، أعند أبي واخوتي ؟
 بهذا والله ما لا يكون . قال خارجة : ثم ارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم انتهى بها
 ناحية ولم يلبث أن عاد الى . فقلت : أبنيَت بأهلك ؟ قال : لا والله فقد قالت :
 أسما يفعل بالأمة الجلية والسبية الأخيذة^(٣) ؟ لا والله حتى يتجر الجُر ، وتذبح الغنم ،
 وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثل . قلت : والله اني لأرى همة وعقلا وأرجو
 أن تكون المرأة منجبة ان شاء الله . فرحلنا حتى قدمنا وأحضر الإبل والغنم ثم خلا بها
 ولم ينشب أن يخرج . فقلت : أبنيَت بأهلك ؟ قال : لا فقد قلت لها : قد أحضرنا
 من المسال ما قد تريدين . فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك .
 قلت : وكيف ؟ قالت : أنفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا — وذلك في أيام
 حرب عبس وذبيان — قلت : فإذا تريدين ؟ قالت : أخرج الى هؤلاء القوم فأصلح
 بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك . قال خارجة : فقلت : والله اني لأرى همة
 وعقلا . قال : فانخرج بنا نحن . فاجتأنا القوم فمشينا فيما بينهم بالصالح فاصطلحوا^(٤)
 وجمنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين فانصرفنا بأجل الذكر^(٥) .

(١) أقيم وبني . (٢) الهنيهة : الزمن اليسير . (٣) الجلية : المجلوبة .
 (٤) الأخيذة : المأخوذة . (٥) وقد خلد زهير هذا الذكر الجليل في مملته إذ يقول
 سن أبيات كثيرة :

بيننا لنم السيدات وجدتما على كل حال من محيل ومهم
 تذاكرنا هيسا وذبيان بعد ما تفاؤوا ودقوا بينهم عطر منم

«ولو كان النساء «كمثل هذى» لَفُضِّلَتِ النساء على الرجال»

سودة بنت عُمارة ومعاوية

قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عُمارة بن الأشتر الحمْدانية على معاوية ابن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سألت ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر لفعل أبيك يا بن عُمارة يوم الطعان ومُنْتَقَى الأقران

وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

لأن الإمام أخا النبي عهد علم الهدى ومثارة الإيمان

فقد الجيوش وسر أمان لوائه قُدُما بأبيض صابم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبُتِرَ الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نُسِيَ . قال : هيات ، ليس مثل مقام أخيك نُسِيَ . قالت : ضدقت والله يا أمير المؤمنين . ما كان أنسى خفيّ المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن محضراً لتأتّم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتني . قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك . قالت :

يا أمير المؤمنين إنك للناس سيّد ولا مَورم مُقلّد . والله سائلك عما افترض عليك من حقنا . ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزك ويسطّ بسلطانك فيخصّصنا بحصاد السنبُل ويدوسنا دِباس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليّة . هذا ابن أُرطاة قَدِم بِلادى وقَتَلَ رِجالى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عِزٌّ ومنعة ، فإما عزله

(١) هند هي أم معاوية . . (٢) ساء الأمر : كلفه إياه . تقول : يجهنمنا دنائاً الأجر .

خشكرناك، وإما لا فعرفناك . فقال معاوية : إلماي تهلدين بقومك ؟ والله لقد هممت
بأن أردك إليه على قَتَبِ أَشْرَسٍ ^(١) فَيُفِذَ حَكَمَهُ فِيكَ . فسكت . ثم قالت :
صَلَّى إِلَهِهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَتْهُ قَبْرُ فَاصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنًا فصار بالحق والإيمان مقرونًا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبي طالب رحمه الله . قال : ما أرى عليك
منه أثرًا . قالت : بلى ، أَيْتَهُ يَوْمًا فِي رَجُلٍ وُلَّاهُ صَدَقَاتِنَا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ
الْفَتْحِ وَالسَّمِينِ . فوجدته قائمًا يُصَلِّي فَأَنْقَضَ عَنْ الصَّلَاةِ ^(٢) ثُمَّ قَالَ بِرَأْفَةٍ وَتَعَطُّفٍ :
أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ فَبَكَى ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَمْرِهِمْ
بِيُظْلَمْ خَلْقُكَ وَلَا تَرْكُ حَقِّكَ . ثم أخرج من جيبه قطعة من حراب فكتب فيه :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . (قد جاءكم بينة من ربكم فآذنبوا الكيل والميزان ولا تجسوا
الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين .
وما أنا عليكم بحفيظ) . إذا أتاك كُتَابِي هَذَا فَاحْفَظْ بِمَا فِي يَدِيكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي مَنْ يَقْبِضُهُ
مَعَكَ وَالسَّلَامَ . فعزله يا أمير المؤمنين ما تحزنه بخزام ولا ختمه بختام . فقال معاوية :
اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها . فقالت : ألي خاصة أم لقومي عامة ؟
نقال : وما أنت وضيرك ؟ قالت : هي والله إِذْنُ الْفَحْشَاءِ وَاللَّوْمِ ؛ أَنْ كَانَ جَدًّا
شَامِلًا ، وَلَا يَسْتَعْنِي مَا يَسْعَى قَوْمِي . قال هيهات ، لَمْ تُكَلِّمْ ^(٣) ابْنَ أَبِي طَالِبٍ الْجُرَّاءَ
وغيركم قوله :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْ دَاخِلُوا بِسَلَامٍ

(١) القتب : الرجل الصغير . والأشرس : الحشن التليظ .

(٢) انقضى : انصرف .

(٣) لَمْ تُكَلِّمْ : منحه إياه .

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مُغلقة ويمثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بماحتها .

أم سنان بنت جُشمة ومعاوية

قال سعيد بن أبي حذافة : حبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بني ليث في جناية جناها فأنته جثة الغلام وهي أم سنان بنت جُشمة المذحجية فكلمته في الغلام فأغظ مروان لها ، فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانسبت فعرّفها فقال لها : مرحبا بابنة جُشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكَ تَسْتَمِينَنَا وَتَحْضِينَ عَلَيْنَا ، صدونا ؟ قالت : إن لبي عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهون بعد حلم ، ولا يتقِمون بعد حقو ؛ وإن أولى الناس باتباع ما سنّ أبائهم لأنّهم قال : صدقت نحن كذلك . فكيف قولك :

عَزَبَ الرِّقَادُ مُقَلَّتِي لَا تَرْقُدِ والليل يُضِيدُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدِ .
يَا آلَ مَذْيَجٍ لَا مُقَامَ فَشَمُّرُوا إن العدو لآلُ أَحَدٍ يَقْصِدُ .
هَذَا عَلَى كَالْمَلَالِ تَحَقُّه وَبِطَلَمِ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعِدُ .
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ نَحْمَدُ إِنْ يَهْدِكُمُ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا .
مَا زَالَ مَذْهَبُ الْحُرُوبِ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُعْقَدُ^(١) .

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا . فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهي القائلة :

(١) ما مصدرية ظرفية ، تقول : إن النصر لا يفارق لواءه مادام مقدودا .

إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تَزَلْ بالحق تُعَرِّفْ هَادِيًا مَهْدِيًا
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَادَعْتَ فوق الغصون حَمَامَةً قَرِيًّا
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَا فَكُنْتَ وَفِيًّا
وَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤَمِّلُ بَعْدَهُ هِمَاتٍ نَأْمِلُ بَعْدَهُ لِأَنْسِيَّا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . ولئن تحقق ما ظننا لحظك .
الأوفر . والله ما ورثك الشَّتان^(١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض مقاتلهم وأبعد
منزلتهم ؛ فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حُباً . قال : وانك
لتقولين ذلك . قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتد إليه بكذب .
وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله على أحب اليانا منك وأنت أحب
اليانا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي .
قال : وبهم استحققت ذلك عندك ؟ قالت بصحة حلمك وكريم عفوك . قال :
لما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ان مروان تَبَنَّى^(٢) بالمدينة تَبَنُّكَ من لا يريد منها
الْبَرَّاح ، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتَّبِعْ عثرات المسلمين ويكشف عورات
المؤمنين ؛ حبس ابن ابي فائيته فقال : كنت وكنت ، فاستمعت أخشن من الجحيم
وألقتته أمر من الصاب . ثم رجعت الى نفسي باللائمة وقلت : لم لا أصرف ذلك
الى من هو أولى بالعفو منه . فأنتيك يا أمير المؤمنين لتكون في أمرى ناظراً وطيباً
مُعَدِّيًّا^(٣) . قال : صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحُجَّتِهِ . اكتبوا لها باطلاقه .
قالت : يا أمير المؤمنين وأتى لي بالرجعة وقد نَفَذَ زادى وكَلَّتْ راحلتي ؟ فأمر لها
براحلة ومنحة .

(١) الشَّتان : الدابة . (٢) أدحض همه : أطلها . (٣) تَبَنَّى بالمكان :
أقام . (٤) الصاب : مجرم . (٥) أعداه طيه : نصره وأعان .

لطيفة — حسن الاعتذار وحضور البلدية

كان أبو اسحاق الجيزي في حضرة كافر الأخشيدى فدخل عليه أبو الفضل
ابن بجاس فقال : ^(١) أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بخفض أيام) فتبسم كافر إلى
أبي اسحاق فقال أبو اسحاق ارتجالا :

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا وغص من هيبة بالريق وأبهر ^(٢)
لمثل سيدنا حالت مهابته بين البليغ وبين القول بالصر
فإن يكن خفض الأيام من دهش من شدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاعلت في هذا لسيدنا والقال مأثرة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب وإن دوتته صقوبا كدر ^(٣)

فأمر له بثلاثمائة دينار ولابن بجاس بمائتين .

لطيفة أخرى

قال يموت بن المزروع : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه الشاعر فلم يرض شعره
قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله .
فتحماه الشعراء إلا المجيدين منهم ، بغناه الحسين بن عبد السلام المصري وأستاذته
في الانشاد فقال : قد عرفت الشرط . قال نعم وأشدته :

أردنا في أي حسن مديحا كما بالمدح ينتجع الولاة
فقلنا : أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفراة
فقالوا : يقبل المدحات لكن جوائزه طهرن الصلاة

(١) : هو كاتب كافر وكان لغويا عارفا بالأخبار مضطلعا بالأدب . (٢) من أدباء مصر
في عهد كافر . (٣) البير : تردد النفس من خوف أو تريب . (٤) خفض العيش : ليته .

فقلت لهم : وما تغنى صَلَاتِي عيالى انما الشارب الزكاة
 فيأمر لى بكسر الصاد منها فتصبح لى الصلابة هى الصلوات
 فاستظرفه ابن المدر وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال من قول أبى تمام :
 هن الحام فان كمرت عيافة^(١) من حاتين فانهن حاتم
 فاجزل صلبته .

باب العمرانيات والخلقيات

مختار من مقدمة ابن خلدون

(١) المقدمة الأولى فى أن الاجتماع الانساني ضرورى

ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : الانسان مدنى بالطبع أى لا بد له من الاجتماع
 الذى هو المدينة فى اصطلاحهم ، وهو معنى العمران . وبيانه أن الله سبحانه خلق
 الانسان ورَّكَّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهذه الى التماسه بفطرته
 وبما رَّكَّب فيه من القدرة على تحصيله ؛ الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن
 تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمائة حياته منه ، ولو فرضنا^(٢) أقل
 ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً ؛ فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن^(٣)
 والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواين وآلات
 لاتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفأخوى . هب أنه يأكله حباً من غير
 علاج فهو أيضاً يحتاج فى تحصيله حباً الى أعمال أخرى أكثر من هذه : من الزراعة

(١) الحياة : استنباط الأغيار المستقبلية بواسطة زجر الطير تشاؤماً أو تفاؤلاً . (٢) المواين :
 جمع ما عون وهو كل ما يستمر من الأدوات كالقدر والفأس ونحوهما . (٣) الفأخوى نسبة الى
 الفأخورة وهى ما يشوئ فيها الفأخور ويظهر أنها مولدة .

والحصاد والدراس الذى يُخْرِج الحب من غلاف السُّبُل ؛ ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير . ويستحيل ان تفى بذلك كله أو ببعضه قُدرة الواحد فلا بد من اجتماع القُدَر الكثيرة من أبناء جنسه ليَحْصُل القوت له ولهم ، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف . وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله سبحانه لما رَكَّب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القُدَر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العُجْم من القدرة أكل من حظ الانسان ، فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الانسان ، وكذا قدرة الجمل والثور ، وقدرة الأسد والذئب أضعاف من قدرته . ولما كان العُنوان طَبِيعِيَا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمداقته ما يصل إليه من عادية غيره ، وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد ؛ فاليد مهيَّأة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التى تنوب عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التى تنوب عن القرون الناطحة والسيوف الناثبة عن المخالب الجارحة والرأس الناثبة عن البشريات الجلسمية ، الى غير ذلك مما ذكره جَالِينُوس في كتاب منافع الأعضاء . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العُجْم ولا سيما المفترسة فهو عاجز

(١) يستعمل ابن خلدون حيوانات أكثر الاخوان يشكرها لأنها لم تسمع عن العرب . ورأينا بأن استعمالها صواب يميزه القياس ، فقد نص العلماء على أن جمع المؤنث يقاس في كل نحو لم يسمع له جمع تكسير ولا ريب أن هذه من ذلك . (٢) ينسب ابن خلدون الى طبيعة على لغتها ويرى البعض أن ذلك خطأ على أننا نستنتج هذا الخطأ لأن الطبيعة والسليقة من واد واحد وعلماء اللغة لم يحصروا الشواذ حصرا تاما وقد وجدنا ابن جنى وهو من كبار أئمة اللغة وله القلم الأعلى ينسب الى الطبيعة على لغتها في غير ما موضع من كتاب انطصائس . (٣) العادية : الاعتداء . (٤) التراس جمع ترس كقفل وهو الخنجر . (٥) الجماعى : الصلب .

عن مدافعتها وحده بالجملة . ولا تقي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة للدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواصين المعدة لها ، فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون لا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركبته الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر .

وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للدافعة ونمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضرورى للنوع الانسانى وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتبار العالم بهم واستخلافه إياهم . ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرأناه وتم عُمُرُان العالم بهم فلا بد من وأزع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، وليست الأسلحة التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات السجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض . ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاباتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد الى غيره بعدوان . وهذا هو معنى الملك ؛ وقد تبين لك بهذا ان الملك للانسان خاصة طبيعية ولا بد له منها . وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النمل والجراد لما استقرئ فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنها في خلقه وجنانه إلا أن ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة . أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

(١) الوازع : الرادع ، ولفظه كوضع .

(٢) في أن الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروّنه حيثئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى في ذلك ، وعلى قدر الاعتناء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى في الاكتساب . فإذا كان الاعتناء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ، وإن كان الاعتناء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفاقه أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين : فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كُثِرَتْ أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال ، وابتُذِرَ^(٢) الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة^(٣) في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها ، تخفّ ساكن القطر وخلت دياره . وتحرّبت أمصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة ، وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن المؤبّدان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرّض به لللك في انكاز ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له : إن يوما ذكرا يروم الاقتران بيوم أنثى وإنما شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام ، فقبل شرطها وقال لها : أن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية ، وهذا أسهل مرام ، فتلبه الملك من غفلته وخلا بالمؤبّدان وسأله عن مراده ، فقال له أيها الملك : أن

(١) الشاق : الراج أي ضد الكساد . (٢) ابتذروا : تفرقوا وفروا .

(٣) الإيالات : الأردية .

الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا
قوام للشرعية إلا بالملك، ولا عزٌ للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال،
ولا سبيل إلى المال إلا بالعارة ولا سبيل إلى العارة إلا بالعدل، والعدل الميزان
المنصوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قِيَمًا وهو الملك، وأنت أيها الملك عمّدت
إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمّارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال
وأقطعتم الحاشية والخدم وأعلّ البطالة فتركوا العارة والنظر في العواقب وما يصلح
الضياع وسوّموا في الخراج لقربهم من الملك، ووقع الحيف على من بقى من أرباب
الخراج وعمّار الضياع، فاتّجّلوا عن ضياعهم، وخلّوا ديارهم وأوّلوا إلى ما تعمّر من
الضياع فسكنوها فقلّت العارة ونحرت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية،
وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لهمهم باقتطاع المواد التي لا تستقيم دعائم
الملك إلا بها . فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من
أيدي الخاصة وردّت على أربابها، وحملوا على رؤسومهم بالساقطة، وأخذوا في العارة
وقوى من ضعف منهم، فعمّرت الأرض وأخصبت البلاد، وكثرت الأموال عند
جباة الخراج، وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء ونجّحت الثغور . وأقبل الملك
على مباشرة أموره بنفسه، فحسّنت أيامه وانتظم ملكه . فنفهم من هذه الحكاية أن
الظلم مخزّب للعمران، وأن طائفة الخراب في العمران على الدولة الفساد والانتقاض .
ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأبصار العظيمة من الدول التي هي بها
ولم يقع فيها خراب . وأعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال
أهل المصر، فلما كان المصر كبيراً وعمّارته كثيراً وأحواله متسعة بما لا ينحصر، كان
وقوع النقص فيه بالاعتساء والظلم يسيراً لأن النقص إنما يقع بالتدرّج فإذا خفي
يكثرت الأحوال واتساع الأعمال في المصر لم يظهر أثره إلا بعد حين . وقد تنهد

تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل نراب المصرتجىء الدولة الأخرى فترفعه يحدتها
وتجبرُ النقص الذى كان خفيا فيه فلا يكاد يُشعر به؛ إلا أن ذلك فى الأقل النادر .
والمراد من هذا أن حصول النقص فى العمران من الظلم والعدوان أمر واقع لا بد
منه لما قدمناه، وبالله عائد على الدول . ولا تحسب الظلم انما هو أخذ المال
أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من
ذلك وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه فى عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه
حقا لم يقرضه الشرع فقد ظلمه، بخبأة الأموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها
ظلمة والمتنبهون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصباب الأملاك على العموم
ظلمة وبالله ذلك كله عائد على الدولة بخواب العمران الذى هو مادتها لإذهابها الآمال
من أهله . واعلم أن هذه هى الحكمة المقصودة للشارع فى تحريم الظلم وهو ما ينشأ
عنه من فساد العمران ونحابة وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشرى . وهى الحكمة
العامة المراعاة للشرع فى جميع مقاصده الضرورية الخمسة : من حفظ الدين والنفس
والعقل والنسل والمال . فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى اليه
من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهيما وأدلتبه من
القرآن والسنة كثير، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر . ولو كان كل واحد
قادرا عليه لوضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وُضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع
الذى يقدر كل واحد على اقترافها من الزنا والقتل والسرقة، إلا أن الظلم لا يُقدم عليه
إلا من يُقدر عليه لأنه انما يقع من أهل القدرة والسلطان فبولغ فى ذمه وتكرير
الوعيد فيه، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه . (وما ربك بظلام للعبيد) .
ومن أشد الظلمات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسيير
الرعايا بغير حق : وذلك أن الأعمال من قبيل التموللات لأن الرزق والكسب انما

هو قيم أعمال أهل العمران فأذن مساعهم وأعمالهم كلها مُمَوَّلَات ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها . فان الرعية المتعلمين في العارة إنما معاشهم ومكاسبهم من أعمالهم ذلك ، فإذا كلفوا العمل في غير شأنهم وأُتخذوا مِغْفَرًا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو مُمَوَّلهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة . وان تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فأدى ذلك الى انتفاض العمران وتخريسه . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

منزلة السلطان وبيان أن منافعه عامة كثيرة،

وأن مضاره خاصة يسيرة

قال ابن المقفع في اليتيمة : مثل قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سُقْيَا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السُّفَرُ ويتداعى له البُنيان وتكون فيه الصَّواعق وتلذَّ سُوْلُهُ فِيمَا لِكَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ . وَمَوْجٌ لَهُ الْبَحَارُ فَتَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ ؛ فَلَا يَمْنَعُ النَّاسُ — إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَحْيَا وَالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَ وَالرِّزْقِ الَّذِي بَسَطَ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي نَشَرَ — أَنْ يَعْظُمُوا نِعَمَ رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا وَيُلْفُوا ذِكْرَ خَوَاصِّ الْبَلَايَا الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخَلْقِ . ومثل الرياح التي يرسلها الله تُشْرَايِنُ يَدِي رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ وَيَجْعَلُهَا لِقَاحًا لِلشَّجَرَاتِ وَأَرْوَاحًا لِلْعِبَادِ ، يَنْسَمُونَ مِنْهَا وَيَقْبَلُونَ فِيهَا

(١) سمح : كلفه ما لا يريد بطريق التهر والسف فهو سمحى أى مكاف بما لا يريد .

(٢) تداعى البنيان : تساقط أو كاد يتساقط . (٣) در البيل : فاض وجرى .

(٤) نشر : جمع نشور : كسر ودسول ، ومماها ناشرة أى محبة ، وقرئ بشر بالباء أى بشرة .

(٥) ملقحة . (٦) الأرواح : جمع روح وهو الرحمة أو نسيم الريح . (٧) قسم : نفس .

وتجرى بها مياههم وقد بها نيرانهم وتسير بها فلكهم؛ وقد تضرر بكثير من الناس في برهم وبحرم ويخلص ذلك الى أنفسهم وأموالهم فيشكوا منهم الشاكون ويتأذى بها المتأذون، ولا يزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي ينظرها له من قوام عبادته وتام نعمته . ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل وإنتاجا للغلب والثمر، يجمعها البرد بإذن الله ويخرجها الحر بإذن الله وينضجها مع سائر ما يعرف من منافعها؛ وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما وسماتهما وزمهريرهما، وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح . ومن ذلك الليل الذي جعله الله سكا ولياما؛ وقد يستوحش له أخو الفقر وينازع فيه ذو البلية والريية وتعذو فيه السباع وتنساب فيه الطوام ويغتتمه أهل السرقة والسلة؛ ولا يرى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذمما ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على ما من به عليهم منه . ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً وتُسورا؛ وقد يكون على الناس أذى الحرق فيظلم وتُصبِحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشَّخْوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه الى الليل وسكونه . ولو أن الدنيا كان شيء من سرائها يعم طامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نعمائها بغير كدر وميسورها من غير معسور كانت الدنيا إذن هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترج والتي ليس فيها نصيب ولا لغوب . فكل جسم من أمر الدنيا يكون ضرره خاصة فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

- (١) القوام كسحاب : ما به العيش . (٢) السائم : جمع سائم وهو الريح الحارة .
 (٣) الزمهرير : شدة البرد . (٤) ينازع : يكاد ويصان . (٥) السرقة : السرقة .
 والسلة : السرقة الخفية . (٦) أذى به : أدخل عليه عيا . (٧) الشخوص : الذهاب .
 (٨) القلوب : أشد الإعياء .

صفة الإمام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه — لآلى الخلافة — الى الحسن البصري^(١)
 أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين
 أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة
 كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفرج كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين
 كالراعى الشفيق على إبله الرقيق الذى يرئد لها أطيب المرعى ويدودها عن مراتع
 الهلكة ويحميها من السباع ويكتنفها من أذى الحر والقر . والإمام العادل يا أمير المؤمنين
 كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صفارا ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم في حياته
 وينذرهم بعد مماته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيعة
 بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه
 تارة وتقطعه أخرى وتفرج بعايقته وتقم بشكايته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين
 كالقلب بين الجوارح ، تصلب الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والإمام العادل
 يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسْمِعهم وينظر إليه
 ويريههم وينقاد الى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد أثمته سيده واستحفظه ماله
 وعياله فبئد المال وشرد اليال فاققر أهله وقزق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين وكبرائهم
 وكان نسيج وحده في الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالعمرة سنة ١١٠ هـ . (٢) قوام الأمر :
 عمادة ونظامه . (٣) الارتداد : طلب الكلا فى مواضعه .

(٤) التشريد : التفريق والطرده .

الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخباثت والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها، وإن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياءك عنده وأنصارك عليه فتروّد له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه تَوَاؤُكَ^(٢) ويفارقك أَحِبَّاؤُكَ ويسامونك في قعره فريداً وحيداً ، فتروّد له ما يصحبك يوم يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعث مافي القبور وجُصِّل مافي الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتّاب لا يتأخّر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين — وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل — لاتحکم يا أمير المؤمنين في عباد الله بمحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تُسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يعترّك الذين يتعنون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم بهاذهاب طيباتك في آخرتك ؛ فلا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في تجمّع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنّت الوجوه لحي القيوم .

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظمتي ما بلغه أولو النهي من قبلي فلم ألك شفقة ونُصْحاً ، فأنزل كتابي اليك كدأوى حبيبته يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

(١) الحدود : العقوبات الرادعة . (٢) التواء : الإقامة أو طولها . (٣) بثر : أثير وأخرج . (٤) حصل : جمع . (٥) الإل : العهد . (٦) هنا : خضع . (٧) يقال : إني لا ألوّك نصفاً : أي لا أقرو ولا أقصر .

مختار من نظرات السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

(١) الرحمة

سأكون فى هذه المرة شاعرا بلا قافية ولا بحر لانى أريد أن أخاطب القلب
وجها لوجه ولا سيل لى إلى ذلك إلا سبيل الشعر .

ان البذور تلقى فى الأرض فلا تنبت إلا اذ حرت الحارث تربتها وجعل عاليها
سافها . وكذلك القلب لا تبلغ منه العظة إلا اذا دخلته وتخلت أجزاءه ، وبلغت
سويده . ولا محراث للقلب غير الشعر .

أيها الرجل السعيد كن رحيا ، أشعر قلبك الرحمة ، لكن قلبك الرحمة بعينها .
ستقول : إني غير سعيد لأن بين جنبي قلبا يلُمُّ به من ألم ما يلُمُّ بغيره من القلوب .
أجل فليكن ذلك كذلك . ولكن أطعم الجائع واكس العارى وعز المحزون وفرج
كربة المكروب يكن لك من هذا المجتمع البأس خير عزاء عن همومك وأحزانك .
ولا تعجب أن يأتيك النور من سواد الحلك فالبدر لا يطلع إلا إذا شق رداء الليل ،
والفجر لا يدرج إلا من مهد الظلام .

لقد يلبت الذات كلها ورثت جبالها وأصبحت أثقل على النفس من الحديث
المعاد ولم يبق ما يعزى الانسان عنها إلا لذة واحدة هى لذة الاحسان .

ان منظر الشاكر منظر جميل جذاب ، ونعمة ثائه وحده أوقع في السمع من
رنات العود في هزجه ورملة وأعذب من نغمات معبد في النقييل الأول^(١) .

(١) المزج والزل : ضربان من أصوات الموسيقى كما أنهما بحران من بحر الشعر العربي .

(٢) معبد : من من أكبر المنيين لمهد بن أمية . والثقيل الأول : صوت من أصوات الفناء العربي .

وقد مر ذلك .

أحسن إلى الفقراء والبائسين وأَعْلَمَكَ وعدا صادقا أنك ستتر في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحدث جاره من حيث لا يعلم بمكانك أنك أكرم مخلوق وأشرف إنسان ثم يُعقب الثناء عليك بالدعاء لك أن يزيك الله خيرا بما فعلت فيدعو صاحبه بدعائه .

وهنا لك تجد من سرور النفس وجورها بهذا الذكر الجميل في هذا الحى الخامل ما يحده الصالحون إذا ذُكروا في الملاء الأعلى .

ليتك تبكى كلما وقع نظرك على محزون أو مفتود، حتى نبسم جميعا سرورا ببكائك؛ لأن الدموع التي تتحدر على خديك أيها الباكي الرحيم سطور من نور تُسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء : أنك إنسان .

إن السماء تبكى بدموع الغمام ويَحْفِقُ قلبها بالهمان البرق وتَصْرُخ بهدير الرعد .
وإن الأرض تنفث بحفيف الريح وتَضِجُ بأموج البحر . وما بُكَاء السماء ولا أنين الأرض إلا رَحْمَةٌ بالإنسان؛ ونحن أبناء الكون فلنجاهر في بكائه وحينئذ .

أن اليد التي تصون الدموع أفضل من اليد التي تُريق الدماء، والتي تشرح الصدور أشرف من التي تبقر البطون . فالمحسن أفضل من القائد، وأشرف من المجاهد .
وكم بين من يُحْيِي الميت ومن يُمِيت الحى !

إن الرحمة كلمة صغيرة ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها والشمس في حقيقتها .

إذا وجد الحكيم بين جوامع الإنسان ضائته من القلب الرحيم وجد المجتمع ضائته من السعادة والهناء .

لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم، ولا فقيرت
الجفون من المدامع، واطمأنت الجنوب في المضاجع، ولحّت الرحمة الشقاء من المجتمع
كما يحو لسان الصبح مدّاد الظلام .

لم يخلق الله الانسان ليقتّر عليه رزقه ولم يكن ليقيّف به في كون لا يعيش فيه .
بل أرادت حكمته أن يخلّقه ويخلّق له في مسارب الأرض وتحت ظلال السماء ما يكفيه
مؤنّته، ويسدّ حاجته . ولكن سلبه الرحمة فبقي بعضه على بعض وغدر القوى
بالضعيف واحتجن دونه رزقه؛ فتغير نظام القسمة العادلة وتشوّ وجهها . ولو كان
للرحمة سبيل الى القلوب لما كان للشقاء اليها سبيل .

الفرد هو المجتمع وإنما يتعدّد بتعدّد الصور . أتدرى متى يكون الإنسان
إنساناً ؟ متى عرف هذه الحقيقة حق المعرفة وأشعرها نفسه لحقيق قلبه لخفقان
القلوب وسكن لسكونها . فإذا انقطع ذلك السلك الكهربائي بينه وبينها انفرد
عنها واستوحش من نفسه . وإذا كان الانس مأخذ الانسان المجتمع، فالوحشة مأخذ
الوحش المنقطع .

وجماع القول أنه لا يمكن أن تجتمع رحمة الرّحماء وشقوة الأشقياء في مكان
واحد، إلا اذا اجتمع الملك الرحيم، والشیطان الرحيم .

(١) المسارب: المذاهب والمراعى، واحد على الأكل سرب وعلى الثاني سربة . (٢) احتجن
المال : استأثر به واخص . (٣) يشير الى الاشتقاق القوي وهو أن الانسان مشتق من الانس
لأنه مدني بطبعه . غير أن من أهل اللغة والأدب من يرى أنه مأخوذ من النسيان لأن ذلك أيضاً من طبيعه ،
قال أبو تمام :

لا تنسين تلك اليهود فأما سميت انساناً لأنك ناسي

إن من الناس من تكون عنده المعونة الصالحة للبر والاحسان فلا يفعل . فإذا
مشى في طريقه مشى مندفعاً مندليلاً لا يُلَوِّى على شيء مما حوله من المناظر المؤثرة
الحزينة ، وإذا وقع نظره على بأْس لا يكون نصيبه منه إلا الإغراب في الضحك
مُخْرِية به وببِذَاذَةِ ثوبه وتَسْوِهِ فُلْقه . وإن من الناس من إذا طاش الناس عاشرهم
لَيَعْرِف كيف يحتلب دِزْتهم ويمتنص دماءهم ، ولا يعاملهم إلا كما يعامل شُوَيْهاته
وبِقَرَاتِهِ ، لا يَقْرُبُها ولا يطعمها ولا يسقيها إلا لما يترقب من الربح في الاتجار بالبائنا
وأصوافها ، ولو استطاع أن يهدم بيتا ليربح حجرا لفعل . وإن من الناس من
لا حديث له إلا الدُّرَارَ وأين مُسْتَقَرُّه وكيف الطريق إليه وما السبيل إلى حبسه ،
والوقوف في وجهه والحيلة لفراره ، بيت ليله حزينا كثيبا لأن حَزَانَتِهِ يَنْقُصُها درهم
كان يتخيَّل في يقظته أو يرى في منامه أنه سيأتيه فلم يَقِصُّ له . وإن من الناس
من يؤذى الناس لا يجلب بذلك لنفسه منفعة أو يدفع عنها مضرة بل لأنه شَرِير
يدفعه طبعه إلى ما لا يعرف وجهه أو يُضْرى نفسه بالأذى مخافة أن ينسأه عند
الحاجة إليه . حتى لو لم يبق في العالم شخص غيره لكانت نفسه مدبَّ عقاربه وغرض
سهامه . وإن من الناس من إذا كشف لك عن أنيابه رأيت الدم الأحمر يترقرق
فيها ، أو عن أظافره رأيت تحتها مخالب حادة لا تسترها إلا الصورة البشرية ، أو عن
قلبه رأيت حجرا صلباً من أحجار العَرَايِث لا يَبِضُّ بقطرة من الرحمة ، ولا تُلْخِصُ
إليه نسمة من العظة .

(١) الاندلاث : التقدّم بلا فكرة ولا روية . (٢) يقال : مر لا يلوى على شيء أى لا يلتفت
ولا تنعلف . (٣) بذاذة الثوب : رثائه . (٤) ضراء بكنا : عوده لِمَا . (٥) بض
الماء : سال .

فيأياها الانسان احذر الحذر كله من أن تكون واحدا من هؤلاء فانهم سباع مفترسة وذئاب ضارية . بل أعظك أن تدنو من أحدهم أو أن تقف في طريقه فربما بدا له أن يأكلك فأكلك غير حافل بك ولا آسف عليك .

أيها الانسان ارحم الأرملة التي مات عنها زوجها ولم يترك لها غير صبية صغارا، ودموع غزارة . ارحمها قبل أن ينال اليأس منها فيميت الهيم بقلها فتفضل الموت على الحياة .

ارحم الزوجة أم ولدك ، وقعيدة بيتك ، و امرأة نفسك ، وخادمة فراشك لأنها ضعيفة ولأن الله قد وكل أمرها اليك .

ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه ، فانك إلا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين .

ارحم الجاهل ، لا تفحين فرصة عجزه عن الانتصاف لنفسه فتجمع عليه بين الجهل والظلم . ولا تغخذ عقله متجرا ترّبح فيه ليكون من الخاسرين .

ارحم الحيوان لأنه يُحسّ كما تحس ، ويتألم كما تتألم ، ويبكي بغير دموع ولا يكاد يُبين . ارحمه وكذب من يقول : ان الانسان طبع على ضرائب لئلا أقفها أنه يُقبل يد ضاربه ، ويضرب من لا يمدّ إليه يدا .

ارحم الطيور ، لا تحبسها في الأقفاص ودعها في فضائها تهم حيث تشاء ، وتقع حيث يطيب لها التغريد والتنقير . ان الله وهبها فضاء لا نهاية له فلا تغتصبها حقها فتضمها في محبس لا يسع مد جناحها . أطلق سبيلها وأطلق سمعك وبصرك وراعيها

لتسمع تغريدها فوق الأشجار وفي الغابات وعلى شواطئ الأنهار، وترى منظرها وهي طائرة في جو السماء فيخيل اليك أنها أبجل من منظر الفلك الدائر والكوكب السيار .
أيها السعداء : أحسنوا الى البائسين الفقراء ، وامسحوا دموع الأشقياء ، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

(٢) أين الفضيلة

قرأت في بعض الروايات أن قتي قضي حقة من دهره مؤلماً بحب فتاة خيالية لم يرها مرة واحدة في حياته ، وإنما تتجلى في ذهنه صورة ألقتها من شق الحاسن ومتفرقاتها في صور البشر، فلما استقرت في مخيلته تجسست في عينيه فراها ، فأحبها حباً ملك عليه قلبه وحال بينه وبين نفسه وذهب به كل مذهب ، فأنسا يفتش عنها بين شمع الأرض وبصرها أعواماً طوالاً حتى وجدها .

لا أستطيع أن أكذب هذه القصة لأنني أنا ذلك الفتى . لا فرق بيني وبينه إلا أنه يسمى صلاته الفتاة واسمها الفضيلة ، وأنه قش عنها فوجدها وقششت عنها حتى عيشت بأمرها فلما وجدت اليها سبيلاً .

قششت عن الفضيلة في حوانيت التجار فرأيت التاجر لصاً في أثواب بائع ، ووجدته يبيع بينارين ما ثمنه دينار واحد ، فعلمت أنه سارق للدينار الثاني . ولو وكل إلى أمر القضاء ما هان على أن أعاقب لصوص الدراهم وأغفل لصوص الدنانير ما دام كل منهما يسلبني مالى ويتغفلني عنه .

أنا لا أنكر على التاجر بجه ولكن أنكر عليه أن يتناول منه فوق جزائه على جهده نفسه في جلب السلعة وبذل راحته في صونها وإحرازها . وكل ما أعرف من

الفرق بين حلال المال وحرامه أن الأول بدل الجسد والعمل ، والثاني بدل الغش والكذب .

فتشت عن الفضيلة في مجالس القضاء ، فرأيت أن أعدل القضاة من يحرص الحرص كله على أن لا يهفو في تطبيق القانون الذي بين يديه هفوة يحاسبه عليها من منحه هذا الكرمي الذي يجلس عليه مخافة أن يسلبه آياه . أما انصاف المظلوم والضرب على يد الظالم ، وإراحة الحقوق على أهلها ، وإنزال العقوبات منازلها من الذنوب فهي عنده ذبول وأذئاب لا يابيه لها ولا يحتفل بشأنها إلا إذا أشرق عليها الكوكب بسعده فشت مع القانون في طريق واحد مصادفة واتفاقا . فإذا اختلف طريقهما بين يديه حكم بغير ما يعتقد ونطق بغير ما يعلم ، ودان البريء وبراء الجاني . فإذا عتب عليه في ذلك عاتب كانت معذرتة اليه ، حكم القانون عليه ، كأنما يريد أن يجعل العقل أسير القانون . وما القانون إلا حسنة من حسنات العقل وصنعة من صنائعه .

هذا شأن أعدل القضاة وأهداهم الى الحق وأقومهم سبيلا .

فتشت عن الفضيلة في قصور الأغنياء ، فرأيت الغنى إما شحيحا أو متلافا : أما الأول فلو كان جاراً لبيت فاطمة رضى الله عنها ، وسمع في جوف الليل أينها وأنين ولديها من الجوع ما مَدَّ أصبعيه الى أذنيه تمة منه أن قلبه المتحجر لا تتفقه نسمات الرحمة ، ولا تميز أشائنه نسمات الاحسان ؛ وأما الثاني : فما له بين نغم الحسنة ونغم الصبياء ، فلي يد أي رجل من هذين الرجلين تدخل الفضيلة قصور الأغنياء .

فتشت عنها بين رجال الدين ورجال الصحف فرأيت أنهما يتجبران بالعقول في أسواق الجهل ورأيت كلا منهما قد تفرله في كل رأس من رؤوس البشرية فتفره ينحدر منها الى العقول فيفسدها والقلوب فيقتلها ليتوسل بذلك الى الذخائر فيفسرها، والخرائن فيسلبها، هذا باسم الوطنية وذاك باسم الدين .

فتشت عنها في كل مكان أعلم أنه تربتها وموطنها فلم أضر بها . فليت شعري هل أجدها في الحانات والمواخير أو في مغارات اللصوص أو بين جدران السجون ؟

سيقول كثير من الناس : قد فلا الكاتب في كلمه وجاوز الحد في تقديره . فالفضيلة لا تزال تجد في صدور كثير من الناس صدرا رحبا وموردا عذبا . وأنى قائل لم قبل أن يقولوا كتبهم : إني لا أنكر وجود الفضيلة ولكني أجهل مكانها ، فقد عقد رياء الناس أمام عيني صحابة سوداء أظلم لها بصرى حتى ما أجد في صفحة السماء لمجا لاما ولا كوكبا طالما . كل الناس يدعى الفضيلة ويتنحلها وكلهم يلبس لباسها ويرتدى رداءها ويمد لها عندها من منظر يستهوى الأذكياء والأغبياء ومظهر ينخدع أسوأ الناس بالناس ظنا .

فمن لى بالوصول إليها في هذا الظلام الحالك والليل الأئيل ؟

ان كان صحيحا ما يتحدث به الناس من سعادة الحياة وطيبها وغبطتها ونعيمها فسعادتي فيها أن أضر في طريق في يوم من أيام حياتي بصديق يصدقنى الود وأصدقته فيقنعه منى ودى وإخلاصى دون أن يتجاوز ذلك الى ما وراه ، وأن يكون شريف النفس ، فلا يطمع في غير مطمع ، شريف القلب ، فلا يتجمل حقدًا ولا يحفظ ورا ، ولا يحدث نفسه في خلوته بغير ما يحدث به خلطاءه في محضره ، شريف اللسان فلا يكذب ولا يئثم ولا يلئم بعرض ، ولا ينطق بهجر ، شريف الحب ، فلا يحب غير الفضيلة ، ولا يبغض غير الرذيلة .

هذه هي السعادة التي أتمناها ولكني لا أراها ، اني لأرى الرياض الغناء تهفو
أشجارها ، وترن أطيافها ، وأرى جداول الماء تنساب بين أنوارها وأزهارها انسياب
الأفاعى الرقطاء ، فى الرمال البيضاء ، وأرى أنامل النسيم تبعث بمشورات الأوراق
عيب الهوى بألباب العشاق ، وأسمع ما بين صفير البلابل ، وحرير الجداول ، نغمات
شجية تبلغ من نفس الانسان ، مالا تبلغ أوتار العبدان ، فلا يسترى منظر ، ولا يطربنى
مسمع ، لأنى لا أرى بين هذه المشاهد التى أراها ضائتى التى أنشدتها .

لقد سُمج وجه الرذيلة فى عيني ، وثقل حديثها فى مسمى ، حتى أصبحت أتمنى
أن أعيش بلا قلب ، فلا أشعر بغير الدنيا وشرها ، ومرورها وحزنها .

ولولا بنيات صغار يفقدن بفقدى طيب العيش ونعيمه ، لقررت من هذا العالم
الناطق ، الى ذلك العالم الصامت ، فسأجد من الأنس به والسكون اليه ما وجدته
الذى يقول :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت انسان فكدت أطيرو

(٣) الغنى والفقر

~~سررت ليلة أمس برجل بائس~~ ، فرأيت به واضعا يده على بطنه كأنما يشكو ألمًا ؛
فرأيت لحاله ، وسألته ما باله ؟ — فشكا إلى الجوع ؛ ففتأته^(١) عنه ثم تركته وذهبت .
الى زيارة صديق لى من أرباب الثراء والنعمة فادهشنى أنى رأيت به واضعا يده على
بطنه ، وأنه يشكو من الألم ما يشكو ذلك البائس الفقير ؛ فسألته عما به فشكا إلى
البطنة^(٢) ؛ فقلت : يا للعجب ! لو أعطى الغنى الفقير ما فضل عن حاجته من الطعام
ما شكا واحد منهما سقمًا ولا ألمًا . لقد كان جديرا به أن يتناول من الطعام ما يسع

(١) نأ للظنب ونحوه : دفع حدة وسكته . (٢) البطنة : النخمة .

جَوْعَتِهِ ، ويطغى غُلَّتُهُ ، ولكنه كان محبا لنفسه مغاليا بها ، فضم الى مائدته ما اختلسه من صحفة الفقير ، فعاقبه الله على قسوته بالبطنة حتى لا يَهَيَّ^(١) للظالم ظلمه ، ولا يطيب له عيشه . وهكذا يصدق المثل القائل : ”بطنة الغنى انتقام لجوع الفقير“ .

ماضت السماء بمائها ، ولا تَحْتِ الأرض بنباتها ، ولكن حسد القوى الضعيف عليهما فزواهما عنه ، واحتجتهما دونه ؛ فأصبح فقيرا مُعلِما ، شاكيا متظالما ، غرماؤه المياسير الأغنياء ، لا الأرض والماء .^(٢)^(٣)

ليتني أملك ذلك العقل الذى يملكه هؤلاء الناس فاستطيع أن أتصور كما يتصورون حجة الأقوياء فى أنهم أحق بإحراز المال ، وأولى بامتلاكه من الضعفاء . ان كانت القوة مجتهد عليهم ، فلم لا يكون بهذه القوة سلب أرواحهم كما ملكوا سلب أموالهم ؟ وما الحياة فى نظر الحى بأثن قيمة من اللقمة فى يد الجائع . وان كانت محجته أنهم ورثوا ذلك المال من آبائهم ، قلنا لهم : ان كانت الأبوة حيلة الميراث فلم ورثتم آباءكم فى أموالهم ولم تروهم فى حقواتهم ؟ فلقد كان آباؤكم أقوياء فاغتصبوا ذلك المال من الضعفاء وكان حقا عليهم أن يردوا اليهم ما اغتصبوا منهم . فان كنتم — لا بُدَّ — ورثائهم فلخفّفوهم فى ردّ المال الى آريابه ، لا فى الاستمرار على اغتصابه .

ما أنظّم الأقوياء من بنى الانسان وما أقسى قلوبهم ! ينام أحدهم ملء جفنيه على فراشه الوثير ، ولا يُقَلِّقُهُ مضجعه أنه يسمع أنين جاره ، وهو يُرصد بردا . ويجلس أمام مائدة حافلة بصنوف الطعام قنيدته وشوائه ، حُلُوّه ومُرّه . ولا يُنْغِص عليه شهوته علمه أن بين أقربائه وذوى رحمه من تَلَبَّ أحشاؤه شوقا الى ثَنَات تلك

(١) هنا من باب ضرب ونصر وضع . (٢) زوى عنه الشيء : نجاه وأبعد .

(٣) المياسير جمع ميسر وهو جمع شاذ فلا تقل فى جمع مكرم ومحسن مكاريم ومحاسين وإنما قياس هذا يجمع المذكور السالم للعاقل وجمع المؤنث لنير العاقل .

المائدة، ويسيل لمأبه تلّها على فضّلاتها . بل إن بينهم من لا تخاط الرحمة قلبه . ولا يعقد الحياء لسانه ، فيظل يسرد على مسمع الفقير أحاديث نعمه ورفاهيته ، وربما استعان به على عدّ ما تشتمل عليه خزائنه من الذهب وصناديقه من الجواهر وغرفه من الفراش والرياش ليكسر قلبه ويُنقص عيشه ويُبغض إليه حياته . وكأنه في كل كلمة من كلماته وحركة من حركاته يقول له : أنا سعيد لأني غني ، وأنت شقي لأنك فقير .

أحسب لولا أن الأقوياء في حاجة الى الضعفاء يستخدمونهم في مرافقهم وحاجتهم كما يستخدمون أدوات منازلهم ، ويُسخرونهم في مطالبهم كما يسخرون مرابكهم ، ولولا أنهم يؤثرون الإبقاء عليهم ليتمتعوا أنفسهم بمشاهدة عبوديتهم لهم ويهجوهم بين أيديهم ، لامتصوا دماءهم كما اختلسوا أرزاقهم ، ولحرمهم الحياة كما حرمهم لذّة العيش فيها .

لا أستطيع أن أتصور أن الانسان انسان حتى أراه محسنا ، لأني لا أعتد فصلا صحيحا بين الانسان والحيوان إلا الإحسان . وإنى أرى الناس ثلاثة : رجل يحسن الى غيره ليتخذ إحسانه اليه سبيلا الى الإحسان الى نفسه ، وهو المستبد الجبار الذي لا يفهم من الاحسان إلا أنه يستعبد الانسان ، ورجل يحسن الى نفسه ولا يحسن الى غيره وهو الشر المتكالب الذي لو علم أن الدم السائل يستحيل الى ذهب جامد لنذبح في سبيله الناس جميعا ، ورجل لا يحسن الى نفسه ولا الى غيره وهو البخيل الأحمق الذي يُبيع بطنه ليشبع صندوقه . أما الرابع الذي يحسن الى غيره ويحسن الى نفسه فلا أعلم له مكانا ولا أجد اليه سبيلا . وأحسب أنه هو ذلك الذي كان يفتش عنه الفيلسوف اليوناني « ديوجنس » ^(١) حينما سئل ما يصنع بمصباحه — وكان يدور به في بياض النهار — فقال : أفتش عن انسان .

(١) هو الفيلسوف الذي كان في عصر الاسكندر وقد تلمذ ذكره في باب الوصف .

رسالة سهل^(١) بن هرون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحنف
 ابن قيس : يامعشر بني تميم لا تُسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم
 حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيآبا
 فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن يعيب
 ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى مُرَشِدًا وان تُغري بِمُشْفِقٍ . وما أردنا بما قلنا إلا
 هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل
 حُسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ،
 ولا نفسنا قبلكم ، وشُرُونا به في الآفاق دونكم ؛ ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح
 لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
 وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ فما كان أحقنا منكم في حُرْمَتنا بكم أن
 تَرَوْا حَقَّ قَصْدِنَا بذلك اليكم على ما رَعَيْنَاهُ من واجب حقكم ؛ فلا العُدْرَ المُسَوِّطَ
 بَلَّغْتُمْ ولا بواجب الحرمة قُتِمَ . ولو كان ذكر العيوب يراد به نحر لرأينا في أنفسنا عن
 ذلك سُفْلا .

عَبَثُونِي بقولي لخادمي : أجيدي العَجِين فهو أطيب لَطْعَمِهِ وَأزِيد في رِيْعِهِ^(٢) .
 وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أملكوا العَجِين فإنه أحد الرِّعَيْنِ^(٣) .

وَعَبَثُونِي حين خَتَمْتُ على ما فيه شيء ثَمِين من فاكهة رَطْبَةٍ نَقِيَّةٍ ومن رُطْبَةٍ
 غَرِيْبَةٍ على عَيْدِ نَهْمٍ وَصَبِيٍّ حَشِيعٍ وَأُمَةٍ لَكَمَاءٍ وَزَوْجَةٍ مُضِيْعَةٍ^(٤) .

(١) هو من أبناء القرم وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون وقد وضع كتابا
 حاكي به كتاب كلية ودمنة وسماه ثعلة وصفرة . وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون .
 (٢) الرِّيع : النساء ، والزيادة . (٣) أملك العَجِين : أنعام بجمه . (٤) اللكماء : الجمقاء .

وعبتموني بالخم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ .
وقال : طينة خير من طية فأمسكتم عن ختم على لاشيء وعبتم من ختم على شيء .
وعبتموني أن قلت للغلام : إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج ليجمع مع
التأدم بالظم طيب المرق .

وعبتموني بخصف النعل^(٢) وبصدير القميص^(٣) وحين رعمت أن الخصفوفة من
النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشدة وإن الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع . وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول : لو أهدى إلى
ذراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس
الخلق . وبست زياد رجلا يرتاد له محمدنا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأناه به موافقا
فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا . ولكني رأيته في يوم فأنظ بلبس خلقا
ويلبس الناس جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق
في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قدرا ومما به موضعا
كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم وأمات بالدواء
وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسيين كما زعموا أن قلة العيال أحد
اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد حتر وأمر مالك بن أنس بفرك النعل .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس
سالم بن عبد الله جلد أخصية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك
دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضا .

(١) المزود : وعاء الزاد . والسويق : طعام ينخذ من الحنطة أو الشعير . (٢) خصف النعل :

خرزما . (٣) تصدير القميص : أن يجعل لصدرة بطاقة .

وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وضیعة الماء وجدت في الأعضاء فضلاً عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخارج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشبعتم علي ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما إنه ليكون في الماء والكلاً فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلاً .

وعبتموني أن قلت : لا يفتن أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقعة عظمه . ووهن قوته وأن يرى نحوه أكثر ذريته فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده وتحويله إلى ملك غيره وإلى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فاعله يكون معمرًا وهو لا يدري وممدودا له في السن وهو لا يشعر ولعله أن يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يتخطر على بال ولا يدركه عقل ، فيسترده ممن لا يرده . ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أضعف ما كان عليه الطلب وأقبح ما كان به أن يطلب ؛ فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص :

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبتموني بأن قلت : بأن السرف والتبذير إلى مال الموارث وأموال الملوك وإلى ما لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتضام القلب . أسرع ، وأن الحفظ لئال المكتسب والغنى المحبلى أقرب . ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أودن بالفقر وطاب نقسا بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كَسْبَ الحلال يضمن الاتفاق في الحلال . وإن الخبيث يترع الى الخبيث ، وإن الطيب يدعو الى الطيب ، وإن الإنفاق في الهوى حجاب دون الهدى ؛ فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذرا قط إلا والى جنيته تضییع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل حاله فانظروا فيماذا ينفقه فإن الخبيث إنما ينفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأتم في دار الآفات والحوائح غير مأمونات فإن أحاطت بآل أحدكم آفة لم يرجع إلا الى نفسه . فاحذروا التعم باختلاف الأمكنة فإن البلية لا تجري في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : قزفوا بين المنايا . وقد قال ابن سيرين لبعض البحرّيين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفترقها في السفن فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر مما حملنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : «تحتسبها نخوة وهي صناع»^(١) .

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم : إن الغنى لسكرا والسال لذوة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله . فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلا من غني أمن الفقر . وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :

وهو بيلاد المال فيما ينوبه متوَّع اذا ما منعه كان أحزما

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُقاد العلم وبه يقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالتمصيل من

(١) هذا مثل يضرب لمن تنظن فيه الغفلة وهو ظن يقظ . (٢) الزومة : اللوعة أو الزوبة .

الفرع . فقلتم : كيف هذا؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت : حالهما هي القاضية بينهما . وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : اذا بسط الله لك الرزق فأبسط . واذا قبض فأقبض .

وعبتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت اذا احتيج اليها استعملت وإن استغنى عنها كانت مودة . وقد قال الحنفيين ابن المنذر : وددت أن أرى مثل أحد ذهباً لا أتنفع منه بشيء . قيل له فما كنت تصنع به؟ قال : لكثرة من كان يحثمني عليه لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الفنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عزّ في قلبك ودلّ في قلب صدّوك . لكان الحظ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ؛ ولستم على تردون ولا رأيي تُفقدون ، فقدموا النظر قبل العزم وأدركوا مالكم قبل أن تُدركوا مالكم . والسلام عليكم .



وقال حافظ بك إبراهيم يدعو الى مكارم الأخلاق ويعيب بعض الرذائل الفاشية في طبقات الأمة المصرية ويحّض على تربية المرأة وإصلاح شأنها :

إلى تُطْرِئُ الحلال كريمةً طَرَّبَ الْفَرِيبَ بِأُوبَةِ وَتَلَاقِ
ويَهْزِي ذِكْرُ المروءة والنسبى بينَ الشَّامِلِ هَزْزَةُ الْمُشْتَاقِ
فَإِذَا رَزِقْتَ خَلِيقَةَ مَحْمُودَةٍ فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
فَالنَّاسُ : هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْرِهِ مُحَصِّصًا بِالْعِلْمِ كَانَ نَهَايَةَ الْإِمْلَاقِ
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تُكْتَنِفْهُ شِمَائِلُ تَعْلِيهِ كَانَ مَطْيَةِ الْإِخْفَاقِ^(١)
لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجَّعْ رَبُّهُ بِحِمْلِاقِ
كَمْ حَالٌ مَدَّ الْعُلُومَ حَيَاتِلًا لَوْ قِيعَةً وَقَطِيعَةً وَفِرَاقِ
يَدْعُونَهُ عِنْدَ الشَّقَاقِ وَمَا دَرَوْا أَنْ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنَ شَقَاقِ^(٢)
وَطِيبِ قَوْمٍ قَدْ أَحْلَلْ لَطِبَهُ مَا لَا يُحِلُّ شَرِيعَةُ الْخَلْقِ
فَقَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبَطُونِ وَتَارَةً جَمَعَ النَّوَاقِي مِنْ دَمٍ مُهْرَاقِ^(٣)
وَأَدِيبِ قَوْمٍ نَسَحَقَى يَمِينِهِ قَطَعَ الْأَنَامِلَ أَوْ لَقَى الْإِحْرَاقِ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانُهُ فَكَانَتْهُ فِي السَّحَرِ رُقِيَّةٌ رَاقِ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَجُّ لُعَابُهُ سُبًّا وَيَنْفِثُهُ عَلَى الْأَوْدَاقِ
يَرِدُ الْحَقَاقِ وَهِيَ بَيَضُ نُصْعِ قُدْسِيَّةٌ طُلُوبِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ
فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابَتِهَا مِنْ ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفَ نِطَاقِ
عَرِيتُ مِنَ الْخُلُقِ الْمَطْهُرِ نَفْسُهُ لِحْيَاتُهُ يُقْلِعُ عَلَى الْأَعْقَاقِ
لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَا سَعْدَ قَوْمِهِ بَيَانُهُ وَبَرَاعُهُ السَّبَّاقِ

(١) الانشقاق : الخيبة ، يقال أخفق الصياد أو الثاجر أو الغازي أو الطالب إذا لم يدرك ما سعى إليه .

(٢) الخلدن : الصاحب . (٣) الحراق : جمع دائق وهو سدس الدرهم .



من لى بتربية النساء فانها	فى الشرق علّة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تمهّد الحيا	بالرى أورك أيمًا ليراق
الأم أستاذ الأماتة الألى	شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لأقول: دعوا النساء سوافرا	بين الرجال يجلن فى الأسواق.
فى دورهن شؤونهن كثيرة	كشؤون رب السيف والمزراق ^(١)
كلام ولا أدهوكم أن تُسرفوا	فى المحب والتضييق والارهاق
ليست نسأوكم حِلَّ وجواهرنا	خوف الضياع تصان فى الأحقاق.
نتشكّل الأزمان فى أدوارها	دوكلات وهن على الجلود بواق
فتوسطوا فى الحائتين وأنصفوا	فالشبر فى التقييد والإطلاق.
ربوا البنات على التفضيلة إنّهنا	فى الموقفين لمن خير وثاق.
وعليكم أن تستبين بناتكم	نور الهدى، وعلى الحياء الباق.



وقال سالم الأسدى فى حسن الخلق :

أحب الفتى يننى الفواحش سممه	كأن به عن كل فاحشة وقرة
سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى	ولا مانعا خيرا ولا قائلا مجرا
اذا شئت أن تدعى كريما مكرما	أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا.
اذا ما أنت من صاحب لك زلة	فكن أنت محالا لزنته عدرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلة	فان زاد شيئا عاد ذاك الفنى فقرا



وقال محمود بن الحسين الوراق في كرم الصفح :

إني وهبت لظالمى ظلمى وشكرت ذاك له على علمى
ورأيت أنه أسدى إلى يدا لما أبان بجهله على
رجعت إساءته عليه ولى فضل، فعاد مضاعف الجرم
فكأنما الاحسان كان له وأنا الميئء إليه في الزعم
ما زال يظلمنى وأرحمه حتى رثيت له من الظلم



وقال بشار بن برد في استبقاء الصديق :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
نفس واحد أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبة
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظلمت وأى الناس تصفو مشارب
ومن ذا الذى تُرضى بجايه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاينة



وقال معن بن أوس المنزى في استصلاح ذى القربى :

وذى رحم قلمت أظفار ضغننه بحامى عنه وهو ليس له حلم^(١)
يحاول رعى لا يحاول غيره وكالموت حنذى أن يحل به الرجم^(٢)
فان أعف عنه أغض حيناً على قذى وليس له بالقصح عن ذنبه علم
وان انتصر منه أكن مثل رأس سهام عدو يستأض بها العظم^(٣)

(١) الضغن : الحقد . . (٢) الرجم : القتل . . (٣) راض النهم : الزق طيه الریش
حذلك أعون على تسديده ومرعه . واستأض العظم وعاضه واعتاضه : كمره بعد الجبر .

صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه التأني والمرء قادر
ويشتم عيرضى في مغيبى جاهدا
إذا شتمته وصل القرابة ساهى
فإن أدمه للتصنف ياب ويعصى
فلولا انشاء الله والرحم التي
إذن لعلاه بارق وخطمته
ويسمى إذا أبغى ليهدم صالحى
يود لو أنى مُعْصِم ذو خصاصة
ويعند غنى في الحوادث نكبتى
لما زلت في لىنى له وتعلقتى
وخفّض له منى الجناح تألقا
وقولى إذا أخشى عليه ملبسة
وصبرى على أشياء منه تُرينى
لاستل منه الضيق حتى استلته
رأيت انسلاما بيننا فرقته
وأبرأت غل الصدر منه تومعا
فداويته حتى أرقأت نفاهه
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه
وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه مادام في كفه السهم
وليس له عندى هوان ولا شتم
قطيعها ، تلك السفاهة والإثم
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
رعايتها حق وتعطيها ظلم
بوسم شار لا يشا كعه وسم
وليس الذى بينى كمن شأنه الهدم
وأكره جهدى أن يخالطه العدم
وما إن له فيها سناء ولا غم
عليه كما تحنو على الولد الأثم
لتدنيه منى القرابة والرحم
ألا اسلم فذاك الخلال ذو العقد والعم
وكظري على غيظى وقد ينفع الكظم
وقد كان ذا ضغن يضيق به الحرم
يرفقى وأحيائى وقد يرفع النلم
بجلى كما يشفى بالأدوية الكلم
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم
فاصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

(١) البارق : السيف . وخطمه : ضرب أفعه أو جعل عليه الخطام أو قهره . الوسم : أثر الكلى .
وشاكه : شابهه . (٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة . (٤) الحرم : الحلق .
(٥) الكلم : الجرح . (٦) أرقأت : سكن بعد قار .



وقال أيضا يتمدح بالعفة ومكارم الأخلاق :

لعمرك ما أهويتُ كفى لريبة	ولا حملتني تحرفاً فاحشة ريجل
ولا قادني سمعى ولا بصرى لها	ولا دلتني رأبى عليها ولا عقل
واعلم أنى لم تُصِبنى مصيبة	من الدهر الا قد أصابت قفى قبل
ولست بمأش ما حيثُ لُنكر	من الأمر ما يمشى الى مثله مثل
ولا مؤبراً نفسى على ذى قرابى	وأوثر ضيبنى ما أقام على أهل



وقال المُقنع الكِنْدَى يتمدح أيضا بكرم أخلاقه من السخاء والعفة والشجاعة والحلم

والنَّجْدَة وجبل الصَّفح والمواساة :

يُعَانِنِى فى الدِّينِ قَوْمِى وَإِنَّمَا	دُبُونِى فى أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
أَلَمْ يَرْقُومِى كَيْفَ أُوسِرَ مَرَّةً	وَأُعْسِرَ حَتَّى تَبْلُغَ الْعُمُرَةَ الْجَهْدًا
فَمَا زَادَنِى الْإِقْتَارُ مِنْهُمْ تَقَرُّبًا	وَلَا زَادَنِى فَضْلُ الْغَنَى مِنْهُمْ بُعْدًا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَبِعُوا :	تُفَوِّرُ حَقُوقِى مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
وفى جَفَنَةٍ مَا يُفْلِقُ الْبَابَ دُونَهَا	مُكَلَّلَةٌ لَهَا مُدَقِّقَةٌ تُرَدًّا
وفى فَرَسٍ نَهْدٍ حَقِيقٍ جِلَّتْهُ	حِجَابًا لِيَتَقَى ثُمَّ أَخَذْتُهُ عِصْدًا
وَأَنْ الذِّى بَنَى وَيَسَّ بَنَى أَبِى	وَيَسَّ بَنَى عَمِى لِحَتَّافٍ يَجِدًّا
فَأَنْ يَأْكُلُوا لَحْمِى وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ	وَأَنْ يَهْدِمُوا مَجْدِى بَنَتْ لَمْ مَجْدًا
وَأَنْ ضَبِعُوا غَيْبِى حَفِظْتَ غُيُوبِهِمْ	وَأَنْ هُمُ هُوَا غَيْبِى هَوَيْتْ لَمْ رُشْدًا
وَأَنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تُمَزِّى	زَجَرْتُ لَمْ طَيْرًا يَتَمَزُّ بِهِمْ سَعْدًا
أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِى رِطَاءً وَإِنْ هُمْ	دَعَوْنِى إِلَى نَصْرِى أَتَيْتُهُمْ شَدًّا

ولا أُحْمِلُ الحَقْدَ القديمَ عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جُلٌّ مَالِي لِمَنْ نَتَاجَ لِي غَنَى وإن قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدَا
وإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلَا وما شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا



وقال مسكين الدارمي في حفظ الأسرار :

وَقَتَّانَ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَنِّي جَمَاعَهَا
لِكُلِّ أَمْرٍ شَعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغٌ وَمَوْضِعٌ تَجْوِي لِأَيَّامِ إِطْلَاعَهَا
يَظْلُونَ شَقًى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى مَخْزَنَةِ أَهْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعَهَا



وقال بشار بن برد في فضل الاستشارة :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ بِرَأْيِ تَصْبِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْمَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَابُهُ فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
وَحَلَّ الْمُوَيِّقَى لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ نَزُومًا فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ
هَازِكٌ لَا تَسْتَطِرِدُ الْهَمُّ بِالْمَنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلْيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ

باب الأجوبة الحاضرة

قال أحمد بن عبد ربه : هي أصعب الكلام كله مَرَكًا وأعزّه مطلبًا وأعظمه مذهبًا وأضيقه مسلکًا، لأن صاحب الجواب يُسجل مُناجاة الفكرة واستعمال القرينة ويروم في بديته نقض ما أهرم القائل في رويته؛ فهو كن أخذت عليه الفعاج وسُلت عليه المخارج، قد اعترض الأُسنة واستهتف للراي لا يدري ما يُقرع به فيتأهب له ولا ما يَفْجوه من خصمه فيقرعه بمثله ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ يجامع الكلام فقاده بزمامه بعد أن روى فيه واحتفل وجمع خواطره واجتهد وترك الراي يُنب حتى يختمر. فقد كرهوا الراي القطيع كما كرهوا الجواب الدبري^(١). فلا يزال في تسج الكلام واستناسه حتى إذا اطمأن شارد وسكن تأفره صك به خصمه جملة واحدة ثم قاله له : أجب ولا تُخطئ، وأسرع ولا تُبطئ. فتراه يجواب من غير أناة ولا استعداد يُطبق المفاصل ويُنفذ المقاتل كما يُرمي الجنبل بالجنبل ويُقرع الحديد بالحديد فيحل به عراه ويتنقض به مراثيه ويكون بجوابه على أكثر كلام خصمه كسحابة لبنته عجاجة. فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه ويصرع منازعه؛ يقول كمثل النار في الخطب الحزول.

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية

كان إياس بن معاوية المزمى لِسَنًا بليغا يضرب به المثل في الزكّن والفطنة وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة. يروى أنه دخل الشام وهو قى قدّم خصما له الى بعض القضاة وكان الخصم شيخا فصال عليه إياس بالكلام، فقال له القاضي: خفف عليك فإنه شيخ كبير. فقال إياس : الحق أكبر منه.

(١) الدبري : الراي يسبح أخيرا عند فوات الحاجة.

فقال له القاضي : أسكت . قال : فرب ينطق بمُحَقِّقٍ ؟ ! قال القاضي :
 ما أراك تقول حقا . فقال لإياس : لا إله إلا الله . فالحم القاضي .
 ويروى أن عدي بن أرطاة وإلى البصرة دخل على إياس وهو قاضها وكان عدي
 أعرج أبي الطبع .

فقال لإياس : يا هناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط .
 قال : فاسمع مني . قال : للاستماع جلست .
 قال : إني تزوجت امرأة . قال : بالرِّقاء والبتين .
 قال : وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط .
 قال : فإنني أريد الخروج . قال : في حفظ الله .
 قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت .
 قال : ففعل من حكمت ؟ قال : على ابن أمي عمك .
 قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

جواب أبي تمام الشاعر

كان أبو تمام ينشد قصيدته « ما في وقوفك ساعة من بام » . للأمير أحمد
 ابن المعتصم وقد مدحه فيها فلما بلغ إلى قوله :
 لاقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
 قال الفيلسوف الكندي وكان حاضرا : الأمير فوق من ذكرت . فاطرق قليلا
 ثم قال :

لا تتكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
 فأنه قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

ومضى في إنشاد القصيدة . ولما أخذت نسختها من يده أقيمت خالية من اليتيم
فعلموا أنه ارتجلهما ردًا على الكندي .

ثلاثة أحفموا المأمون

ويروي أن المأمون قال : ما أعياني جواب أحد قط سوى ثلاثة :
أحدهم أم الفضل بن مهمل ، لأنني عزيتها عنه وقلت : لا تجزعي ودعي البكاء
فأنا ابنك مكانه . فقالت : وكيف لا أجزع ولا أبكي على من جعل مثلك لي ولدا !
والثاني رجل جاء به إلى لا دعائه أنه نبي الله موسى فقلت له : إن الله تعالى
أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي :
متى فعل ذلك ؟ اليس ذلك بعد أن لقي فرعون ؟ فاعمل أنت كما عمل فرعون
حتى تعمل كما عمل موسى !

والثالث رجل جاء في جماعة من أهل الكوفة يشكون إلى عاملها واختاروه
للكلام فظمن على العامل وأكثر ، فقلت له : كذبت ومنت بل هو العفيف الورع
العدل . فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم . ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين
هو كما ذكرت وليس من العدل أن تؤثروا به وتحرم منه سائر رعيتك .^(١)

أجوبة معن بن زائدة المنصور

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فقال له :
كبرت يا معن . قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .
قال : وانك جلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين .

(١) هذا التمييز خطأ لأن حرم يتعدى إلى المفعولين بنفسه . والصواب : وتحرم سائر رعيتك لماه .

قال : وإن فيك لبقية . قال : هي لك يا أمير المؤمنين .
 قال : أئى الدولتين أحب إليك ، أهذه أم دولة بنى أمية ؟
 قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب
 إلى . فقال المنصور : صدقت .

أجوبة أبي العيناء المتوفى سنة ٢٨٣ هـ

كان أبو العيناء من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأظرفهم نادرة وأسرعهم
 جوابا وله في ذلك مواقف مشهورة وقصص مذكورة .
 قال له المتوكل يوما : قد والله أشقتك ؛
 فقال : إنما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فمضى أراد
 عبده دعاه .

وقال له الوزير عبيد الله بن سليمان يوما : آخذنى فإنى مشغول .
 فقال : إذا فوغت من شغلك لم نحتاج إليك .

فلا تعذر بالشغل عنا وإنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
 وشكا الى عبيد الله مرة سوء حاله فقال له : ألم نكتب لك الى ابراهيم بن
 المدبر ؟ فقال كتب الى رجل قصر من همته طول الفقر وذلل الأسر ومعاذة عن الدهر
 فأحقق سعي وخابت طريقي . فقال له عبيد الله : أنت قد اخترته .

قال : وما على أعز الله الوزير في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين رجلا
 فما كان منهم رجل رشيد . واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كانبا فرجع
 الى المشركين مرتدا . واختار على بن أبى طالب أبا موسى حاكما له فحكم عليه .

وقيل له : إن فلانا يَضْحَكُ منك : فقال : إن الذين أجهلوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .

وقيل له : ما أحسنُ الجواب ؟ قال : ما أسكت المَبْطِلَ وحيَّرَ المُحِقَّ .

أجوبة القاضي أحمد بن أبي دُواد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

قال أبو العيَّاء : قلت لابن أبي دُواد إن قوما من أهل البصرة قدموا مُرَّمينَ رَأى يَدًا على .

فقال : يد الله فوق أيديهم .

قلت : إن لهم مَكْرًا .

فقال : ولا يَحِقُّ المَكْرَ السَّيِّئُ إلا بأَهْلِهِ .

قلت : لأنهم كثير .

فقال : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .

فقلت : لله دَرُّ القاضي !

باب الحكم والأمثال

الفصل الأول - في الحكم المشورة

نختار من حكم سيدنا ومولانا رسول الله

- (١) المؤمن لأئمن كالألبان يشد بعضه بعضا . (٢) يد الله مع الجماعة . (٣) الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . (٤) كفى بالسلامة داء . (٥) دَعُ ما يُرِيك الى لا يريك . (٦) احترسوا من الناس بسوء الظن . (٧) المرء كثير بأخيه . (٨) إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . (٩) لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . (١٠) إن المُنْتَهَى لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . (١١) الدال على الخير كفاعله . (١٢) جُلبت القلوب على حب من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها . (١٣) ان ذا الوجهين لا يكون وجيها عند الله . (١٤) زُرْ غِيَابَ تَرَدُّدُ حُبًّا . (١٥) ما عال من اقتصد . (١٦) الحياء شُعبَة من الإيمان . (١٧) خير الأمور أوسطها . (١٨) إياك وما يُعْتَذِر منه . (١٩) الوَحْدَة خير من جليس السوء . (٢٠) البركة في البُكور . (٢١) المرء على دين خليله . (٢٢) كاد الفقر أن يكون كفرا . (٢٣) خير المال عين ساهرة لعين نائمة . (٢٤) اليد العليا خير من اليد السفلى . (٢٥) من أصبح مُعَاقٍ في بدنه آمنا في مِرْبِهِ عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .

(١) أنبت : أقطع فهو منبت ، والمراد بالمنبت : المسافر الذي يجهد دابته حتى تهلك في أثناء العاري فيقطع فلا هو حفظ دابته ولا بلغ قايته ، وهذا مثل لكل من جاوز الحد في العمل . (٢) القب في الزيادة أن تكون خير متتابعة ، وحده في القاموس بأسبوع وليس بلام . (٣) العين الساهرة : هي عين الماء . يكون صاحبها نائما وهي تسقي زرعه وتروى أرضه .

(٢٦) رحم الله عبدا قال خيرا فغتم أو مسكت فسلم . (٢٧) التمسوا الرزق في خبايا الأرض . (٢٨) ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبت أو تصدقت فأبقيت . (٢٩) الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله . (٣٠) جمال الرجل فصاحة لسانه . (٣١) التاجر الجبان محروم . (٣٢) العالم والمتعلم شريك في الخير .

من حكم سيدنا أبي بكر الصديق

(١) صنائع المعروف تقي مصارع السوء . (٢) ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة . (٣) ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنكت والمكر . (٤) كثير القول يئس ببعضه واما لك ما وعى عنك . (٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

من حكم سيدنا عمر بن الخطاب

(١) من بتم سره كان الخيار في يده . (٢) أشقى الولاة من شقيت به رعيته . (٣) لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلقا . (٤) من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه . (٥) أعقل الناس أعدلهم للناس . (٦) لا تؤخر عمل يومك الى غدا . (٧) أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . (٨) من يئس من شيء استغنى عنه .

من حكم سيدنا عثمان

(١) ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقول . (٢) أتم الى إمام فقل أحوج منكم الى إمام قوال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك .

(١) وذلك اما يكون بحرثا وتغليبا للزراعة . (٢) الكلف : الإغرام وفرض المحبة . (٣) يقول : ان الذين يردعون عن الشر ذروا سطة الفهر والحكم أكثر من يردعون برأسطة الدين لأن الناس كما قيل : حيد الصماء وإن الدين يؤزنهم الوازع الديني قليل جدا .

من حكم سيدنا علي

(١) رأى الشيخ خير من مَشْهَد الغلام . (٢) الناس أعداء ما جهلوا . (٣) الناس من خوف الذل في الذل . (٤) الصَّبْرُ مِطْيَةٌ لَا تَكْبُؤُ وَسَيْفٌ لَا يَنْبُو . (٥) اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . (٦) قيمة كل امرئ ما يُحْسِن . (٧) المرء محبوب تحت لسانه . (٨) استغن عن شئت تكن نظيره، واحتج الى من شئت تكن أسيره، وأحسن الى من شئت تكن أميره . (٩) خير أموالك ما كفاك وخير أخوانك من واساك . (١٠) الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . (١١) ما هلك أمرؤ عرف قدره . (١٢) من عذب لسانه كثُر أخوانه . (١٣) بَشْرُ مَالٍ الْبَخِيلِ بِمَحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ . (١٤) بِالْبَرِّ يَسْتَعِيدُ الْحَزَنُ . (١٥) اعادة الاعتذار تذكير الذنب . (١٦) اذا تَمَّ العقل نقص الكلام . (١٧) كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . (١٨) من أكثر فكه في العواقب لم يَشْجَعْ . (١٩) الشرف بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب . (٢٠) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . (٢١) قلب الأحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . (٢٢) يعيش البخيل في الدنيا يعيش الفقراء ويُنَاسَبُ في الآخرة حساب الأغنياء . (٢٣) الولايات مضامير الرجال . (٢٤) الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه . (٢٥) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . (٢٦) الحرمان خير من الامتنان .

من حكم سيدنا معاوية

(١) المزوجة احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة، والتبذل الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة . (٢) ما رأيت تبذيرا قط إلا والى جنبه حق مُضَيِّعٌ . (٣) أنقص

(١) المضامير : جمع مضار وهو الوقت أو الموضع الذي تضر فيه الخليل لأجل السباق .

الناس عقلا من ظلم من هودونه . (٤) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .
(٥) إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس .

من حكم بزرجمهر حكيم الفرس

قال بزرجمهر :

نصحنى النصحاء ووعظنى الوعظاء شفقة ونصيحة وتأذيا ، فلم يعظنى أحد مثل شيبى ولا نصحنى مثل فكرى . ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر ، فلم أمتضئ بضياء أضواء من نور قلبى . وملكت الأحرار والعبيد فلم يملكنى أحد . ولا قهرنى غير هواى . وعادانى الأعداء ، فلم أر أعدى الى من نفسى اذا جهلت . واحترزت لنفسى بنفسى من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة ، فوجدتها شر الأنفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتها الفساد إلا من قبلها . وزاحمتنى المضايق فلم يزحمنى مثل الخلق السوء . ووقعت من أبعد البعد وأطول الطول ، فلم أقع فى شئ أضر على من لسانى . ومشتبت على البحر ووطئت على الزمضاء ، فلم أر نارا أحر على من غضبى . اذا تمكن منى . وطالبتنى الطللاب ، فلم يدركنى مدرك مثل إساءتى . ونظرت ما الداء القاتل ومن أين يأتينى ، فوجدته من معصية ربه سبحانه تعالى . واتمسست الراحة لنفسى ، فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعينها . وربكت البحار ورأيت الأهوال ، فلم أر هولا مثل الوقوف على باب سلطان جائر . وتوحشت فى البرية . والجبال ، فلم أر أوحش من قرين السوء . وطالجت السباع والضباع والذئاب . وعاشرتها وعاشرتنى وطلبتها ، فغلبنى صاحب الخلق السوء . وأكلت الطيب وشربت الحمىء ، فلم أجد شيئا ألد من العافية والأمن . وتوسطت الشياطين والجبال ، فلم أخرج إلا من الاتساق السوء . وأكلت الصبر وشربت المر ، فلم أر شيئا أمر من الفقر . وشهدت الجروب ولقيت الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأفران ، فلم أر قرنا أظلب من المرأة السوء . وطالجت الحديد وقتلت الصخر فلم أر نحلا

أثقل من الدين . ونظرت فيما يُدَلُّ العزيز ويَكْثُر القويّ ويضع الشريف ، فلم أرَ
أَذَلَّ من ذى فاقة وحاجة . ورُشِقت بالنشأ ورُجِحت بالحجارة ، فلم أرَ أنفذ من
الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق . وعمّرت السَّجَنَ وشِدَدَتِ فى الوثاق
وضربت بعمد الحديد ، فلم يهدمنى شئٌ مِثْلُ ما هدمنى النَّم والحَم . وطلبتُ الغنى
من وجوهه ، فلم أرَ أغنى من القنوع . وتصدقت بالذخائر ، فلم أرَ صدقة أنفع من
ردِّ ذى ضلالة الى هدى . ورأيت الوحدة والغربة والمَدَلَّة ، فلم أرَ أَذَلَّ من مقاساة
الجار السوء . وشِدَدَتُ البُليان لأعزَّ به وأذكُر ، فلم أرَ شرفاً أرفع من اصطناع
المعروف . ولبست الكسَّ الفاحرة ، فلم أَلْبَسْ شيئاً مِثْلَ الصلاح . وطلبتُ أحسن
الأشياء عند الناس ، فلم أرَ شيئاً أحسن من حسن الخلق .

ومن مأمور حكمه : ان كان شئٌ فوق الحياة فالصحة . وان كان شئٌ فوق
الموت فالمرض . وان كان شئٌ مثل الحياة فالغنى . وان كان شئٌ مثل الموت
فالفقر . وسئل : أى الاكتساب أفضل ؟

فقال : العلم والأدب كثران لا يَنفَدَان ، ومِراجان لا يَطْفَأَان وحُلَّتَان لا تَبْلِيَان ،
من نالهما أصاب الرشاد ، وعرف طريق المعاد ، وطاش رفيعا بين العباد .

وسئل : ما المروءة ؟ فقال : ترك ما لا يعنى . قيل : فما الحزم ؟ قال :
اتهاز الفرصة . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند القدرة . قيل : فما الشدة ؟
قال : ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حُبُّ مُفْرِطٍ وبُغْضُ مَفْرِطٍ .

من حكم اكثم بن صيفي

(١) من سلك الجُدَّ ^(١) أَمِنَ العِشَارَ . (٢) كَلَّمَ اللسانَ أَتَنَّى من كَلَمَ اللسانَ .

(٣) رب عَجَلَةٌ تَهَبُّ رَيْثًا . (٤) رضا جميع الناس غاية لا تدرك . (٥) أقيع

أعمال المقتدرين الانتقام . (٦) آفة الرأي الهوى . (٧) قبل الزملاء تملأ الكائن .
 (٨) من يزد غبا يزد حبا . (٩) من سأل فوق قدره استحق الحرمان . (١٠) فضل
 القول على الفعل لئوم وفضل الفعل على القول مكرمة . (١١) الاتقياض من الناس
 مكسبة للعداوة والتقرب من الناس مجلبة لجلس سوء ، فكان من الناس بين المنقبض
 والمسترسل . (١٢) من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من علمه زاجر .
 (١٣) قُسُولَةُ^(١) الوزراء أضرم من بعض الأعداء . (١٤) مقتل الرجل بين فكيه .
 (١٥) إن قول الحق لم يدع لي صديقا . (١٦) لم يذهب من مالك ما وعظك .
 (١٧) وَيَلُّ^(٢) لعالم أمر من جاهله . (١٨) ويل للشجي من الخلي . (١٩) يتشابه
 الأمر إذا أقبل فاذا أدبر عرفه الكيس والأحمق . (٢٠) لا تمنعنكم مساوى رجل
 من ذكر محاسنه .

من حكم الأحنف بن قيس

قال رجل من بني تميم : حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم
 مجتمعون في أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الكرم منع الحرم . ما أقرب النعمة من أهل البنى . لا خير في لذة تعقب
 ندما . لن يهلك من قصد ، ولن يفقر من زهد . رب هزل قد عاد جدا . من
 أَمِن الزمان خانته ، ومن تعظم عليه أهانه . دَعُوا^(١) المزاج فانه يورث الضغائن .
 وخير القول ما صدقه الفعل . احتملوا لمن أدل^(٢) عليكم واقبلوا عذر من اعتذر اليكم .
 أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك . أنهف من نفسك قبل أن يتصرف
 منك . واعلم أن كفر النعمة لئوم ، وصحبة الجاهل شؤم . ومن الكرم الوفاء بالذمم .

(١) القسولة : قلة المروءة مع الحق . (٢) أدل عليه : وثق من محبة فأفرط عليه في المعاملة .

ما أقيح القطيعة بعد الصلوة والجفاء بعد اللطف^(١) والعداوة بعد الود . لا تكونن على
الاساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا الى البخل أسرع منك الى البذل . واعلم
أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك فأنفق في حق ولا تكونن خازنا لغيرك .
وان كان الغدر في الناس موجودا فالثقة بكل أحد عجز . اعرف الحق لمن عرفه
لك واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

الفصل الثاني - في الحكم المنظومة

قال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما : ما أحكم أربعة أبيات قالتها
العرب في الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاء تقلب الشمس	وطلوعها من حيث لا تُشمس
وطلوعها بيضاء صافية	وغروبها صفراء كالورس ^(٢)
تجرى على كبد السماء كما	يجرى حمام الموت في النفس
اليوم أعلم ما يجيء به	ومضى بفصل قضائه أمس

فقال له عبد الملك أحسنت .



وقال الصلتان^(٣) العبدى :

أشباب الصغير وأفنى الكيب	مررُّ الغداة ومرَّ العشي
إذا ليلة هُرمت يومها	أتى بعد ذلك يوم قتي
نروح ونغدو لحاجتنا	وحاجة من عاش لا تنقص

(١) اللطف بكيل : البر والتكريم . (٢) الورس نبات أصفر اللون يكون بالعين .

(٣) الصلتان : شاعر من غزل شعراء الدولة الأموية .

تموت مع المراء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي
إذا قلت يوما لمن قد ترى أروني السرى أروك الغنى



(١) وقال العباس بن مرداس السامى :

ترى الرجل النعيف فتدريه وفي أئواه أسد مرير^(٢)
ويجيبك الطير فتتليه فيخلف ظنك الرجل الطير^(٣)
لما عظم الرجال لم يقهر ولكن غفرم كرم وخير^(٤)
يقاها الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات تزور^(٥)
ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة ولا الصقور^(٦)
انقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير^(٧)
يصرقه الصبي بكل وجهه ويحسسه على الخفيف الجير^(٨)
وتضربه الوليدة بالمرأوى فلا غير لديه ولا تكير^(٩)
فإن لك في شرارك قليلا فاني في خباركم كثير



(٧) وقال محمد بن بشير :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ارتجاف^(٨)
لاتياسن وإن طالت مطالبة إذا اصمعت بصبر أن ترى فرجا

(١) العباس بن مرداس : شاعر من المخضرمين وهو من الخوفاة فلو بهسم في الاسلام وكان فارسا مقداما . (٢) المرير : القوي الشديد من المرة وهي القوة . (٣) الطير : الحسن المنظر . (٤) بنات الطير : صغارها وما لا يصيد منها . والمقلات : التي تلد واحدا ثم لا تلد بعده أو التي لا يمشي لها ولد والقل من ذلك أقلت . والتزود : القليلة الأولاد . (٥) الجير : الخبيل يجره البعير . (٦) المرأوى : جمع مرأوة وهي العصا المليظة . (٧) محمد بن بشير : من عدنان شاعر فصيح مجازي . ن شعراء الدولة الأموية . (٨) ارتجج : أظن والرتاج : الباب الكبير يفتح وفيه باب صغير مفتوح .

أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْنِ التَّرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَأْبَا
قَدْرُ لِحْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلْجًا^(١)
وَلَا يَغْنُوكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبِهِ فَرَبِّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُتَجَرِّبَا



وَقَالَ الْأَضْبُطُ بْنُ قُرَيْبٍ :^(٢)

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأَمْرِ مَبْعَةٌ وَالصَّبْرُ وَالْمُسَىُّ لِلْأَفْلَاحِ مَعَةٌ^(٣)
قَدْ يَجْعُ الْمَالُ غَيْرَ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالُ غَيْرَ مِنْ جَمْعِهِ
وَيَقْطَعُ الثَّوبُ غَيْرَ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوبُ غَيْرَ مِنْ قِطْعِهِ
فَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَعَيْنَا بِمَيْشِهِ نَفْعُهُ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْإِلَ حَبْلٌ وَأَقْصِ الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ حَتَّى أَنْ تَرْتَعِ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٤)



وَقَالَ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :^(٥)

صَبْرُ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مَلِمٍ إِنْ فِي الصَّبْرِ حِيلَةٌ لِلْمَحْتَالِ
لَا تَضِيقُنَ بِالْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفَّ عَمَّاوَهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رَبِّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ سِرُّهُ لَهْ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

(١) زَلْجٌ كضرب : زلق . (٢) الأضبُط : شاعر تميمي قديم العهد جدا وهو فيما يذكر أقدم من مهلهل وغيره من الشعراء المشهورين . (٣) المسى من المساء كالصبح من الصباح . يقول إن حركة الفلك تلحقنا بمن هلك . (٤) ويرى : لا تهين الفقير الخ فتح الترن على أن تون التوكيد محذوفة . (٥) عيّد كليد شاعر جاهلي من أشهر الشعراء وهو من بني أسد .

وقال عبيد أيضا :

لعمرك ما يَحْتَشِي الجليس تَفَحُّشِي عليه ولا أناى على المتوَدِّدِ
ولا أبتنى وَدَّ امرئ قَلَّ خيرُه وما أنا عن وصل الصديق بأجيد
إذا أنت حملت الخفون أمانة فإنك قد أسندتها شَرَّ مُسَدِّدِ
ولا تظهرن ود امرئ قبل خُبْرِه وبعد بلاء المرء فاذنم أو احمِدِ
ولا تَتَّبِعَنَّ الرأى منه تَقْصُصُه ولكن برأى المرء ذى اللب فاتقِدِ

وقال عدى بن زيد ^(١) :

أعاذل ما أدنى الرِّشَاد من الفقى وأبسله منه إذا لم يُسَدِّدِ
كنى زاجرا للره أيام دهره تروح له بالواعظات وتقتدى
فنفسك فاخفظها عن النى والردى متى تُفَوِّها يَغْوَى الذى بك يهتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم فِعِفْ ولا تطلب بيهود فَنُكِّدِ ^(٢)
عمى مائل ذو حاجة أن منحه من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد
إذا ما رأيت الشريعت أهله وقام جُناة الشر بالشر فاقعد
عن المرء لا تسأل ومسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال ابن الرومى :

مَدُّوك من صديقك مستفاد فلا تَسْتَكْثِرَنَّ من الصحابِ
فإن الداء أَكْثَرُ ما تراه يكون من الطعام أو الشرابِ

(١) عدى بن زيد : شاعر من شعراء الجاهلية وكان ذا بصيرة بالكتابة ودراية باللغة الفارسية ولذلك كان
سفير المناذرة ملوك الحيرة عند الأكاسرة ملوك الفرس . - بعض الناس يخلط بين أبيات عدى وأبيات عبيد
السابقة لأن البحر واحد والقافية واحدة . (٢) نكبه : منه سؤله أو لم يعطه إلا أقله .

فدع عنك الكثير فكم كثير يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٌ مُسْتَطَابٌ
وما المُلْجُ المَلَّاحُ بِمُرويات وَيُلْقَى الرِّىُّ فِي التَّطَفِّ العَذَابِ^(١)



وقال أيضا :

لما تُؤْذِن الدنيا به من صروفها يَكُونُ بكاءُ الطفل ساعة يولَدُ
والألفا يبيكه منها ولأنها لا تُسَمِّحُ بما كان فيه وأرُفِدُ
إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوف يلقى من أذاها يَهْدُ^(٢)



وقال الطُّغْرَانِي :

أصالة الرأى صانتني عن الخطل وَحِلَّةُ الفضل زانتني لدى العطل
مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع والشمس راد الضحا كالشمس في الطل^(٣)
حب السلامة يئسني هم صاحبه عن المعاني ويغري المرء بالكسل
فان جَنَحَتْ إليه فاتخذ نفقا في الأرض أو سُلَّما في الجوف فاضل
ودع غمار العلا للقدمين على ركبها واقتنع منن بالبلل^(٤)
يرضى الدليل بحفض العيش مسكنه والعز عند رسم الأينق الدلل^(٥)
لأن العلا حذنتني وهي صادقة فيما تحدثت أن العز في النمل
لو أن في شرف الماوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل^(٦)
أغلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!

(١) التطف : جمع طفلة وهي الماء القليل . (٢) استهل : رفع صوته بالبكاء . (٣) العطل : وقت الأصيل . (٤) الفار : المياه الكثيرة . (٥) خفض العيش : سهله وليسه . والرسم : ضرب من سيز الابل . (٦) دارة الحمل : برج في السماء تحمله الشمس في فصل الربيع .

أَعَدَى عَدُوَّكَ أَدْنَى مِنْ وَثِقَتْ بِهِ لِحَاذِرِ النَّاسِ وَاتَّقِهِمْ عَلَى دَخَلِ^(١)
فَأَنَّمَا رَجُلِي الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا مِنْ لَا يُعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
وَحَسَنَ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ فَظُنُّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ



وقال المتلبي :

ذو العقل يَشَقُّ فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْتَمِ
وَالْهَمُ يَخْتَرِمُ الْجَسَمَ نَحَافَةً وَيُنِيبُ نَاصِيَةَ الْعَبِيِّ وَيُهِرِمُ^(٢)
وَالنَّاسُ قَدْ تَبَدُّوا الْخِفَافَ فُطْلَقَ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَّى وَوَفَّيَ يَنْدَمُ^(٣)
لَا يَتَحَدَّثَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ وَارْحَمِ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوِّ تَرَحُّمِ
لَا يَسْلَمْ الشَّرَفُ الرِّفْعَ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
يُؤْذِي الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثَامِ بِطَبْعِهِ مِنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ
وَالْفَلَسَمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَمَّدَ ذَا عَفَا فَلَمْلَمَةٌ لَا يَظْلَمُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مِنْ لَا يَرَعُو عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابٍ مِنْ لَا يَفْهَمُ^(٤)
وَالنَّلَّ يَظْهَرُ فِي اللَّثَمِ مَوْدَةً وَأَوْدَ مِنْهُ لِمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمِ^(٥)
وَمِنَ الْعِدَاوَةِ مَا يَنْتَالِكُ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُلْمُ



وقال زهير بن أبي سلمى المُرَبَّى :

وَمَنْ لَا يَصْنَعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمُشِيمِ^(٦)
وَمَنْ يَحْمِلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَهْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ^(٧)

(١) الدخول : المكر والحديفة . (٢) الحفاظ : المحافظة على العهد . والمافي : ذو السفوف يقول
إن الناس اطرسوا الوفاء فلا المحسن إليه يشكر الصنيعة ولا المحسن يتبعج بالاحسان . (٣) الأرقم :
أخشب الحيات وأطلبها للناس . (٤) اللثم : طرف الخلف من الامام كالسنيك من الحافر يقول :
من لم يدار الناس في كثير من الأمور ينله أذى كثير .

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فاته يطيع العوالي ركب كل طمدم^(*)
ومن لا يئذ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

الفصل الثالث - في أمثال مختارة

(١) إن من البيان لسحرا . (٢) إن البلاء مُوسَّل بالمنطق . (٣) أن الموصين
بنو سهوان . (٤) إن الشقي وأفد البراجم . (٥) إن البغاث بأرضنا يستنسر .
(٦) إن الجبان حقه من فوفه . (٧) إن المعافى غير مخدوع . (٨) إن في الشر
خيأرا . (٩) إن الحديد بالحديد يُفْلَح . (١٠) إن الشفيق بسوء ظن مُولَع .
(١١) إن وراء الأكمة ما وراءها . (١٢) إن العصا من العصية . (١٣) إن
العوان لا تُعلم الخمرة . (١٤) إن الغني طويل الذيل مياس . (١٥) إن الليل
طويل وأنت مقمر . (١٦) إن العصا قُرِعت لذي الحلم . (١٧) إن الحبيب

(*) الزجاج : جمع زوج وهو حديدة تكون في أسفل الرمح لوقيته . واللهزم : ستان الرمح القاطع .
ركان من عادتهم أنهم إذا حاج الشر بينهم توافقت الصفان ووجه كل زوج رجه الى مقابله وسعى الساعون
في دفع الشرفان لم يفلحوا قلبوا الرياح وطعنوا بالهاذم ، يقول : من لم يخضع للين خضع لشدة .

(١) يضرب في استحصان المنطق . (٢) يضرب لمن يسوعن طلب في أمر به . (٤) البراجم :
بطن من تميم . يضرب لمن يقع قسه فيهلكه طمعا . (٥) يضرب للضعيف يصبر لوقيا . (٦) يضرب
في أن الحذر لا ينجي من القدر . (٧) يضرب لمن يتحدع فلا يتحدع . (١١) يضرب لمن يفشى على قسه
أمرا مستورا . (١٢) يضرب في مشاكة الفرع للأصل . (١٣) العوان : المرأة النصف ، والخمرة :
لبس الخمار . يضرب في استغناء المحزوب عن الارشاد . (١٤) أى لا يستطيع ذو الغنى أن يكتمه .
(١٥) يضرب للأمر بالصبر في طلب الحاجة . (١٦) يضرب لمن إذا نبه انتبه .

الى الإخوان ذو المال . (١٨) إن الهزِيل إذا شَبِعَ مات . (١٩) إن غدا
لناظره قريب . (٢٠) إن أخاك من آسأك . (٢١) إنك لا تجنى من الشوك
العنب . (٢٢) أنلك بماتن رجلاه . (٢٣) إنما أُكِلَت يوم أكل الثور الأبيض .
(٢٤) إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر . (٢٥) إن كنت ربحا فقد لاقيت
إعصارا . (٢٦) أن ترد الماء بماء أكيس . (٢٧) إحدى حُطَيَّات لُقْمَات .
(٢٨) أكل عليه الدهر وشرب . (٢٩) إنه ليعلم من أين تُؤْكَل الكَيْف .
(٣٠) أكل لحمي ولا أدمه لا كل . (٣١) إياك وما يُتَدْرَمته . (٣٢) إذا زلَّ
العالم زلَّ بزلته حالم . (٣٣) أنت تيق وأنا متيق فتى تتيق . (٣٤) إياك أعني
واسمى بإجارة . (٣٥) إذا حان القضاء ضاق القضاء . (٣٦) أم إلحان لا تقترح
ولا تحزن . (٣٧) إذا جاءت السنة جاء معها أحوانها . (٣٨) إن حالت القوم
فستسمى صائب . (٣٩) ألا من يشتري سهرا بنوم . (٤٠) إذا ما القارظُ العتري آبا .
(٤١) إن كنت كدوبا فكن ذكورا . (٤٢) إنما يُجْعَل الكل على أهل الفضل .
(٤٣) إذا تخاصم اللسان ظهر المسروق . (٤٤) إذا تفرقت الغنم قادتها العتار الجرباء .

(١٨) يضرب فمن استغنى فتجبر على الناس . (٢٠) يضرب في الحث على مراعاة الاخوان .
(٢٢) يضرب في المرء يسعى لحظه بظالقه . (٢٣) يضرب المرء يردأ بأخيه . (٢٤) يضرب للأمر
المشهور . (٢٥) يضرب للدهاء الشديد يبل بمن هو أدهى منه وأشد . (٢٦) يضرب للأخذ في الأمور
بالاحتياط . (٢٧) يضرب في الشر يصدر عن عرف به، وحطيات لقمان : صباه (وفى القاموس خطأ) .
(٢٨) يضرب لمن طال عمره . (٢٩) يضرب في الهزول المحتك . (٣٠) يضرب في الرجل ينصر
قريبه وإن كان عدوه . (٣٣) التيق : السريع إلى الشر . والمتيق : السريع إلى البكاء . يضرب
للخفيفين أخلاقا . (٣٤) يضرب لمن يخاطب شخصا وهو يريد غيره تمرضا . (٣٧) السة : القحط
وأحوانها الجراد والأمراض ، يضرب في تجمع الشدائد . (٣٨) حالت القوس : زالت عن استقامتها .
يضرب فيمن زالت نعمته ولم تولد مروره . (٣٩) يضرب لمن غطى النعمة وكزه العافية . (٤٠) يضرب
في امتداد النية . (٤١) يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيناقض نفسه . (٤٢) الكل : القتل .
(٤٤) يضرب في القوم يختفون فيسود فيهم الأشرار .

(٤٥) اذا غاب البراز ثوبا فاعلم أنه من حاجته . (٤٦) اذا أردت أن تطاع فسل ما استطاع . (٤٧) إن يكن الشغل مجهدا فان الفراغ مفسدة . (٤٨) اذا قدم الإخاء بمنع الثناء . (٤٩) بلغ السيل الزبى . (٥٠) بعض الشراهُون من بعض . (٥١) بلغ السكين العظم . (٥٢) باقعة من البواقع . (٥٣) ابدأهم بالصراخ يفرّوا . (٥٤) أبدى الصريح عن الرغوة . (٥٥) بعض الجلبد أمرأ للهزيل . (٥٦) بنان كف ليس فيها ساعد . (٥٧) بعد البلاء يكون الثناء . (٥٨) أبلغ من قس . (٥٩) أبحل من مآدر . (٦٠) أبصر من زرقاء الجمامة . (٦١) أبصر من غراب . (٦٢) أبق من التهر . (٦٣) أبقى من وحي في حجر . (٦٤) أين من فلق الصبح . (٦٥) أبكر من غراب . (٦٦) ترك الذنب أيسر من طلب التوبة . (٦٧) تجويع الحرة ولا تأكل بشديتها . (٦٨) تسألني برامتين سلجما . (٦٩) تجشأ لقائم من غير شبع . (٧٠) تضرب في حديد بارد . (٧١) تلذغ العُقرب ويصق . (٧٢) تركتهم في حيص بيص . (٧٣) تطلب أثرا بعد عين . (٧٤) تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . (٧٥) اتخذ الليل جملا . (٧٦) ترى الفتيان كالنخل وما يذكرك ما الدُّخل . (٧٧) التثبث نصف العفو . (٧٨) تقطع أعناق الرجال

(٤٥) البراز : بالغ الثياب . (٤٦) الزبى : جمع زبية وهي أعلى الجبل . يضرب لمن جاوز الحد . (٥٠) يضرب في الشرين يختار أهونهما . (٥١) يضرب لمن جاوز الحد . (٥٢) الباقعة : الداهية يقال في الرجل يكون داهيا منكرا . (٥٣) يضرب في الظالم يتظلم ليسكت عنه . (٥٤) يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره . (٥٥) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الفتي بل يخاف فيه . (٥٦) يضرب فيمن له قوة ولا قدرة له على بلوغ ما في نفسه . (٦٣) الرضى : الكتابة . (٦٧) أى لا تكون مرضعا . يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب . (٦٨) السليم : الوقت . يضرب لمن يطلب شيئا في غير موضعه . (٦٩) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . (٧١) يضرب لمن يظلم ويتظلم . وصامت العُقرب : صوته . (٧٢) يضرب فيمن وقع فيا لا غلص له . (٧٣) يضرب فيمن ترك الشيء ثم طلبه بعد ذهابه . (٧٤) يضرب فيمن منظره دون خبره . (٧٥) أى أدى واجبه من العمل ليلا . (٧٦) يضرب لدى المنظر لاخير فيه .

المطامع . (٧٩) اتبع السينة الحسنة تَمْحُهَا . (٨٠) اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ .
 (٨١) تَضَرَّعْ إِلَى الطَّيِّبِ قَبْلَ أَنْ تَمْرُضَ . (٨٢) تَجْرَى الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهْيِ السُّفُنُ .
 (٨٣) التَّقْدِيرُ أَحَدُ الْكَاسِمِينَ . (٨٤) التَّدِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ . (٨٥) جَزَاءُ سَيِّئٍ .
 (٨٦) جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طَعْنًا . (٨٧) جَوَّعَ كَلْبَكَ يَبْهَمَكَ . (٨٨) جَاوَزَ الْحُرَامَ
 الطَّيِّبِينَ . (٨٩) جَانِكَ مَنْ يَنْجِي عَلَيْكَ . (٩٠) جَلِيسُ السُّوءِ كَالْقَتَنِ إِنْ لَمْ يَمُوتْ
 ثَوْبَكَ دَخَنَهُ . (٩١) جَاءُوا عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ . (٩٢) أَجُودُ مِنْ حَاتِمٍ، وَمِنْ كَسْبٍ
 ابْنُ مَامَةٍ . (٩٣) أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ، وَمِنْ نَعَامَةٍ . (٩٤) أَجْهَلُ مِنْ فَرَاشَةٍ .
 (٩٥) أَجْمَعُ مِنْ نَمْلَةٍ . (٩٦) حَالُ الْحَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . (٩٧) حَنْ قَدَحٍ
 لَيْسَ مِنْهَا . (٩٨) حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . (٩٩) حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ
 بِالْعُنُقِ . (١٠٠) حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصَمِّمُ . (١٠١) الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ .
 (١٠٢) حَافِظُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . (١٠٣) أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ .
 (١٠٤) الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . (١٠٥) الْحُبَّارَى خَالَةُ الْكَرْوَانِ . (١٠٦) الْحَاجَةُ
 تَفْتَقُ الْحِيلَةَ . (١٠٧) أَحْمَقُ مِنْ هَبَّتَقَةٍ وَمِنْ بُحْمَا . (١٠٨) أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ .
 (١٠٩) أَحْكَمُ مِنْ ثِقْمَانٍ . (١١٠) أَحْلَرُ مِنْ غَرَابٍ، وَمِنْ ذَنْبٍ، وَمِنْ ظَلَمٍ .

(٨٥) يضرب في مقابلة الاحسان بالاساءة . (٨٦) يضرب فيمن يهد ولا يفي .
 (٨٧) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به النسيم . (٨٨) يضرب في تفاهم الأمر . (٨٩) أي لا تزد وازدة
 وزر أخرى . (٩٠) القَيْن : الحداد . (٩١) أي جاءا جميعا . (٩٢) الصافرون
 الطيور بنائها وضاعفها . (٩٣) الجريض : النصة . والقريض : الشعر . يضرب في الأمر ييسر
 حين لا ينع . (٩٤) يضرب في الرجل يختار يقوم ليس منهم أو يتدح بما ليس فيه .
 (٩٥) يضرب في المقالة البسيطة وما يخشى منها . (٩٦) الشجون : الفنون . يضرب في الحديث
 يتذكر به غيره . (٩٧) يضرب في الجمع بين خصمتين مكروهتين . (٩٨) يضرب في مناسبة
 أحد الشينين للآخر . (٩٩) الضم : ذكر النعام .

(١١١) أَحْفَظُ مِنَ الشَّعْبِي . (١١٢) خُذْ مِنْ جِدْعٍ مَا أَعْطَاكَ . (١١٣) خَالَفَ
تَذَكَّرَ . (١١٤) نَرَقَاءٌ وَجَدَتْ صَوْفًا . (١١٥) خَيْرَ الْمَالِ عَيْنُ نَرَارَةٍ فِي أَرْضِ
خَوَارَةٍ . (١١٦) أَخْطَبَ مِنْ يَحْيَى، وَمِنْ قُس . (١١٧) أَخَوْنَ مِنْ ذِئْبٍ .
(١١٨) دُونَ ذَا وَيَنْفُقُ الْحَمَارُ . (١١٩) أَذْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ، وَمِنْ عَمْرٍو
أَبْنِ الْعَاصِ . (١٢٠) ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا . (١٢١) الذِّئْبُ خَالِيًا أَسَدًا . (١٢٢) ذَكَّرَتْنِي
الطَّمَنُ وَكُنْتُ نَاسِيًا . (١٢٣) رَمَنِي بِدَائِمَا وَأَنْسَلْتُ . (١٢٤) رَمَاهُ اللَّهُ بِثَالِثَةِ
الْأَثَافِي . (١٢٥) رَبُّ قَوْلِ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ . (١٢٦) رَبُّ أَيْحَ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ .
(١٢٧) رَجَعَ بِحُفَيٍّ حُثَيْنٍ . (١٢٨) رَبُّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ . (١٢٩) الرَّاوِيَةُ
أَحَدُ الشَّامَتَيْنِ . (١٣٠) رَبُّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً . (١٣١) رَبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .
(١٣٢) رَبُّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ . (١٣٣) أَرْوَى مِنْ صَبٍّ . (١٣٤) أَرَقَ
مِنَ النَّسِيمِ، وَمِنْ رَقَرَقِ السَّرَّابِ، وَمِنْ غِرْقِي الْبَيْضِ . (١٣٥) الزَّيْتُ فِي الْعَجِينِ
لَا يَضِيعُ . (١٣٦) زَكَاةُ النَّعْمِ الْمَعْرُوفُ . (١٣٧) أَزْكَى مِنْ إِيَّاسٍ . (١٣٨) أَزْهَى
مِنْ طَاوُسٍ . (١٣٩) سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلُ . (١٤٠) أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِبْجَابَةً .

(١١٢) جِدْعٌ : اسم رجل . يضرب في اغتنام ما يجود به البخل . (١١٤) النَرَقَاءُ : التي لا تحسن
العمل . يضرب لمن يفسد ماله بسوء تصرفه . (١١٥) الخَوَارَةُ : الأرض التي فيها لبن وسهولة .
(١١٨) يضرب في المبالغة في المدح بغير احتياج إليها . (١٢٠) أَيْ خَوَّرُوا قَفَرًا لَا اجْتِمَاعَ مَعَهُ
كَمَا تَفَرَّقَتْ سَبَا . (١٢٢) يضرب في تذكر الشيء بغيره . (١٢٣) يضرب فيمن يعبر صاحبه يعيب
هو فيه . (١٢٤) الأَثَافِي : جمع أُنْثَى وهي الحجر توضع عليه القلدر وهما اثنتان وثالثتهما الجبل والمراد بها
الداهية العظيمة . (١٢٥) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به . (١٢٧) يضرب في الخيبة .
(١٢٩) هذا كقولنا شَمَكٌ مِنْ بَلْعَكِ . (١٣٣) تَرَمَّ الْعَرَبُ أَنْ الضَّبَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْبِ الْمَاءِ
بَلْ يَفْتَحُ نَاحِيَةَ الْهَوَاءِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ رِيحُهُ . (١٣٤) النَرَقُ : القشرة الرقيقة الملتصقة ببياض البضة .
(١٣٥) يضرب في الاحسان إلى الأتارب . (١٣٨) الزهو : السجب . (١٣٩) يضرب
في الخلط بلام فاعله يمد وقوعه .

(١٤١) سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ خَلْفًا . (١٤٢) سُرِقَ السَّارِقُ فَانْتَحَرَ . (١٤٣) السَّيْلِمُ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ . (١٤٤) سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ . (١٤٥) شَرَّ الرَّاىِ الدَّبْرِىِ . (١٤٦) تُخْبِئُ فِي الْأَنَاءِ وَتُخْبِئُ فِي الْأَرْضِ . (١٤٧) شَيْشِنَةُ أُعِيرَ فِيهَا مِنْ أَخْرَمَ . (١٤٨) شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يُتَمَتَّى مَعَهُ الْمَوْتُ . (١٤٩) أَشَامُ مِنَ الْبُسُوسِ ، وَمِنْ أَحْمَرَادٍ ، وَمِنْ غَرَابِ الْبَيْنِ . (١٥٠) أَشْكُرُ مَنْ كَلَّبَ . (١٥١) صَدَقْتَنِي سِنَّ بَكْرِهِ . (١٥٢) صَادَفَ دَرَّةَ السَّيْلِ دَرَّةً يَصْدَعُهُ . (١٥٣) صَدْرَكَ أَوْسَعُ لِمَسْرُوكٍ . (١٥٤) أَصْدَقُ مِنْ قِطَاعَةٍ . (١٥٥) أَصْعَبُ مِنْ رَدِّ الشُّخْبِ فِي الضَّرْعِ . (١٥٦) ضَرَبَ أَحْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ . (١٥٧) أَضْيَقُ مِنْ ظِلِّ الرَّخِ . (١٥٨) أَضْعَفُ مِنْ بَعُوضَةٍ . (١٥٩) أَضْبَطُ مِنْ نَمْلَةٍ . (١٦٠) أَطْرُقُ كَرَاءً ، إِنْ النِّعَامَةُ فِي الْقُرَى . (١٦١) أَطْوَلُ مُخْبِئَةٍ مِنَ الْفَرْقَدَيْنِ . (١٦٢) أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبِ . (١٦٣) طَيِّبٌ يُلَاوِي النَّاسَ وَهُوَ مَرِيضٌ . (١٦٤) طُفَيْلٌ وَمُقْتَرَجٌ . (١٦٥) ظَنَرْتُ رُؤُومَ خَيْرٍ مِنْ أُمِّ سَوْوَمٍ . (١٦٦) عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى .

(١٤١) انخلف : الردىء من القول . (١٤٢) يضرب لمن ينزع من يده ما ليس له فيجزع عليه . (١٤٣) السليم : المسلوخ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره . (١٤٥) الدبرى : الذى يصنع بعد فوات الفرصة . (١٤٦) الشخب : ما يخرج من الضرع مثلاً من اللبن . يضرب فيمن يصيب امرأة ويخطف أخرى . (١٤٧) الششنة : الطليعة والمادة يضرب في مشابهة الفرع لأصله في الشر . (١٤٩) البسوس : هى المرأة التى حاجت بسببها حرب بكر وتقلب . وأحمراد هو أحمر ثمود وهو الذى حفر الناقة لغل العذاب بثمود من جراء عمله . (١٥١) يضرب فى الانسان يفتقر للحقيقة على غير قصد منه . (١٥٢) هذا كقولهم لا يفل الحديد إلا الحديد . (١٥٤) لأن صوت القطاة واحد لا يتغير . (١٥٦) يضرب فيمن يريد التىء ويظهر غيره . (١٦٠) الكرا : الكروان . يضرب فيمن يتكلم بما لا يقدر عليه . (١٦٥) الظئر : الحاضنة . والرؤوم : الطوف . (١٦٦) يضرب فى تحمل المشقة وجلاء الراحة .

(١٦٧) عند جُهينة الخبر اليقين . (١٦٨) عَرَضَ عليه خَصَلَتِي الضَّيْع .
 (١٦٩) عِشْ رَجَبًا تَرَجَّبًا . (١٧٠) أُعْطِ القوسَ بَآرِهَا . (١٧١) أَعْرَضَ
 ثَوْبَ الْمَلِيس . (١٧٢) العود أحمد . (١٧٣) عند الامتحان يُكْرَمُ المرءُ أو يُهَانُ .
 (١٧٤) أعز من كليب وائل . (١٧٥) أعيان باقل . (١٧٦) أعدى من
 الظليم ، ومن الشنفرى ، ومن السليك . (١٧٧) أعق من ذئبة . (١٧٨) أعقد
 من ذئب الضَّب . (١٧٩) أعجز من قتل الدخان . (١٨٠) غُدَّة كغدة البعير
 وموت في بيت سلوية . (١٨١) غذك خير من سمين غيرك . (١٨٢) في الصيف
 ضيعت اللبن . (١٨٣) في بيته يؤتى الحكم . (١٨٤) في كل شجر نار واستمجد
 المرخ والعفار . (١٨٥) أفرس من إسظام . (١٨٦) أفتك من عمرو بن كلثوم .
 (١٨٧) قطعت جبهة قول كل خطيب . (١٨٨) قد أنصف القارة من رامها .
 (١٨٩) قبل الرماء تملأ الكائن . (١٩٠) اقتلوني ومالكا . (١٩١) القول
 ما قالت حداد . (١٩٢) كان كركا فصار ذراعا . (١٩٣) كلام كالغسل ، وفعل
 كالأسل . (١٩٤) كل فتاة بأبيها مُعجبة . (١٩٥) كطالب القرن جُدعت أذنه .

(١٦٧) يضرب في الرجل يعرف الشيء على وجهه كقولهم : (على الخبير سقطت) .
 (١٦٨) تزعم العرب أن الضيع صادت ثعلبا وشيئته بين أن تأكله وأن تمزقه . يضرب فيمن يسوم غيره
 مالا خيار فيه من البلا . (١٧١) يضرب فيمن إذا سأله عن أمر أبيهم الجواب . (١٨٠) سلول
 قبيلة ذليلة . يضرب في اجتماع خصلتين من الشر . (١٨٢) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه .
 (١٨٤) المرخ والعفار : شجران قويا النار . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض . (١٨٧) يضرب
 لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحافة يأتي بها . (١٨٨) القارة : قبيلة من أربع الناس في المراماة .
 (١٨٩) يضرب في الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه . (١٩٠) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه
 وإن ناله هومته ضرره . (١٩٢) يضرب في الدليل يصبح عزيزا . (١٩٣) الأسل : الرماح .
 (١٩٤) يضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته . (١٩٥) أصل المثل في المنام . ويضرب في طلبه
 الأمر يفضي بصاحبه الى التلف .

(١٩٦) كجبر أم عامر . (١٩٧) كيف أعاولك وهذا أثر فاسك . (١٩٨) كأن
على رؤوسهم الطير . (١٩٩) كأنستجير من الرمضاء بالنار . (٢٠٠) لو ذات سوار
لطمثني . (٢٠١) لو خيرت لأخسرت . (٢٠٢) لو ترك القطا ليلانا .
(٢٠٣) لعل له عذرا وأنت تلوم . (٢٠٤) لأمر ما جُدع قصير أنفه . (٢٠٥) لكل
مقام مقال . (٢٠٦) لا تحباً لِعَطر بعد عروس . (٢٠٧) لا تعدم الحسنة ذاماً .
(٢٠٨) لا تهرف بما لا تعرف . (٢٠٩) لا ناقي فيها ولا جملي . (٢١٠) لا في العير
ولا في النفير . (٢١١) لا يقل الحديد إلا الحديد . (٢١٢) لا تأمن الأحمق
وبيده مسكين . (٢١٣) لا تجزعن من مسنة أنت سرتها . (٢١٤) ما وراءك
يا عصام . (٢١٥) ما يوم حليلة بسر . (٢١٦) ما أشبه الليلة بالبارحة . (٢١٧) مرعى
ولا كالسعدان . (٢١٨) ما كل بيضاء فحمة . (٢١٩) منك أنفك وإن كان
أجدع . (٢٢٠) من استرعى الذئب ظلم . (٢٢١) من مأنه يؤتى الحذر .
(٢٢٢) مواعيد عرقوب . (٢٢٣) مكره أخوك لا بطل . (٢٢٤) أمتع من
عقاب الجؤ . (٢٢٥) نفس عصام سؤدت عصاما .

(١٩٦) أم عامر : الضيع وقد أكلت من أجارها . يضرب في الذي يجزى على إحسانه بالسوء .
(١٩٧) يضرب فيمن لا يثق بالعهد . (٢٠٠) يضرب في الوضع يقع منه المدوان .
(٢٠٢) يضرب فيمن حل على مكره من غير إرادته . (٢٠٦) يضرب فيمن لا يخرجه قيس .
(٢٠٧) يضرب في الشيء الحسن لا يخلو من عيب . (٢٠٨) يضرب لمن يتجمل في مدح الشيء
عقل تام معرفته . (٢١٠) يضرب في الوضع ليس فيه شيء من خلال الشرف . (٢١٢) يضرب في صنف
الجاهل إذا قدر . (٢١٥) حليلة بنت ملك ضان . يضرب للأمر المشهور التي لا يكاد يجهل .
(٢١٧) السعدان : بنت من أقبح الاعتشاب للابل . يضرب في الشيء يفضل على أشكاله وأقرانه .
(٢١٩) يضرب فيمن يلزمك خسیره وشره . (٢٢٣) يضرب فيمن يحمل على ما ليس من شأنه .
(٢٢٥) يضرب في سودد الرجل بنفسه .

(٢٢٦) نعيم كلب في بؤس أهله . (٢٢٧) أندم من الكسبي . (٢٢٨) وافق
 شنّ طبقة . (٢٢٩) أوردّها سعد وسعد مُشْتَمِل . (٢٣٠) أوفى من السمول ،
 ومن الحارث بن عباد . (٢٣١) هما كَقَرَسَي رِهانف . (٢٣٢) يدّلك أو تَنكّا .
 وفُوك نفخ . (٢٣٣) اليوم تمرّ وغدا أمر .

الفصل الرابع - في أبيات يقتل بها

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمزّبه الوحول.

♦ ♦ ♦

إذا أمتحن الدنيا لييب تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديق

♦ ♦ ♦

إذا القلب لم ينصفك في كل موطن فإل سيف إلا آلة حملها إد.

♦ ♦ ♦

إذا ما الجرح رُم على فساد تبين فيه تفريط الطبيب.

♦ ♦ ♦

إذا أنت لم تعلّم طبيبك كلّ ما يسوءك أبعدت الدواء عن السقم.

♦ ♦ ♦

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ وصدق ما يعتاده من توهم.

♦ ♦ ♦

إذا ما الدهر جرّ على أناس حوادثه أناخ بأخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا . سيقى الشامتون كما لقينا

(٢٢٦) يضرب في التابع كأنّكلام يشغل سادته بمصيبة فيعتم ما قدر طيه من أموالهم .

(٢٢٨) يضرب في تمام المشاهدة والانتهاق . (٢٢٩) يضرب للقصر في الأمر . (٢٣٢) يضرب

لن ينجى على نفسه . (٢٣٣) يضرب في قلب الأيام .

♦ ♦ ♦
إذا كان غير الله للسر عُدّة أنته الرزايا من وجوه المكاسب

كما جرت الحفء حث حذيفة وكان يراها عدة للنواب

♦ ♦ ♦
إذا الله لم يحرسك مما تخافه فلا سيف قطاع ولا درع مانع

♦ ♦ ♦
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا نمت على التفريط في زمن البذر

♦ ♦ ♦
إذا المرء أعبته المروءة ناشئا فطلبها كهلا عليه شديد

♦ ♦ ♦
إذا لم يكن مر السنين مترجما عن الفضل في الإنسان سميت طفلا

♦ ♦ ♦
إذا رأيت نيبوب الليث بارزة فلا تظنّ أن الليث يتسم

♦ ♦ ♦
إذا محاسني الآث عرفت بها كانت ذنوبي بقل لي كيف أعذر

♦ ♦ ♦
أرى ماء وبى ظمأ شديد ولكن لا سبيل إلى الورد

♦ ♦ ♦
أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

♦ ♦ ♦
ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عما ليسلم سائر

♦ ♦ ♦
ألم تر أن السيف يزرى بقدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

♦ ♦ ♦
أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

♦ ♦ ♦
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

♦ ♦ ♦
إن كنت تطلب عزاً فادفع تعباً أو فارض بالذل وأختر راحة البدن

♦ ♦ ♦
إن كان منزلي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

♦ ♦ ♦
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن

♦ ♦ ♦
إن السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

♦ ♦ ♦
إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات الخلب السبع

♦ ♦ ♦
بقدر العكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

♦ ♦ ♦
تريدون إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

♦ ♦ ♦
جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس

♦ ♦ ♦
حسن قول نعم من بعد لا وقبح قول لا بعد نعم

♦ ♦ ♦
الخير لا يأتيك متصلاً والشر يسبق سيلة المطر

♦ ♦ ♦
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

♦ ♦ ♦
ذو الفضل لا يستنم من قنح وإن غدا أقوم من قنح

♦ ♦ ♦
رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

♦ ♦ ♦
الرأى يصدا كالحسام لعارض يطرا عليه وصقله التذكير

♦ ♦ ♦
سبكناه ونحسبه لجئنا فابدى الكير من خبث الحديد

♦ ♦ ♦
ستبدى لك الأيام ما كانت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

♦ ♦ ♦
صديق عدوى داخل في عدواني ولانى لمن ودَّ الصديق ودود

♦ ♦ ♦
عفاك عجز أنما عفة الفتى اذا عف عن لذاته وهو قادر

♦ ♦ ♦
فلا يجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يمانى

♦ ♦ ♦
خالدر وهو أجل شيء يقتنى ما حظ قيمته هوان الفائص

♦ ♦ ♦
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعيم

♦ ♦ ♦
قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

♦ ♦ ♦
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خالق وجب فيصه مرقوع

♦ ♦ ♦
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويحمد الفم طعم الماء من سقم

♦ ♦ ♦
كل عيش وإن تناول دهرنا منتهى أمره الى أن يزولا

♦ ♦ ♦
كل حلم أتى بنير اقتدار حجة لا جئ إليها اللثام

♦ ♦ ♦
كل المصائب قد تمز على الفقى وتهون غير شماتة الحساد

♦ ♦ ♦
كنت فى كربى أفر إليهم فهم كربى فأين الفرار

♦ ♦ ♦
كريشة فى مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

♦ ♦ ♦
لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المزم من ثمره

♦ ♦ ♦
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

♦ ♦ ♦
لا تسأل المرأة عن خلائقه فى وجهه شاهد من الخبير

♦ ♦ ♦
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

♦ ♦ ♦
لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجساد بالعلل

♦ ♦ ♦
لولا عجائب صنع الله ما نبئت تلك الفضائل فى لحم ولا عصبه

♦ ♦ ♦
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

♦ ♦ ♦
ليس النجى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتفاني

♦ ♦ ♦
له خلائق بيضن لا يفيزها ضرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

♦ ♦ ♦

ما انت أول سار غزوه قمر ورائد أعجبت به خضرة النمن

♦ ♦ ♦

ما أن يضرب العصب ككون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه

♦ ♦ ♦

ما عاش من عاش مذموما خصائله ولم يميت من يكن بالخير مذكورا

♦ ♦ ♦

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجود

♦ ♦ ♦

ما بالثراء يسود كل مسود مثر ولكن بالفعال يسود

♦ ♦ ♦

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقبه من العين

♦ ♦ ♦

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

♦ ♦ ♦

من يزرع الخير يحصد ما يسره وزارع الشر منكوس على الراس

♦ ♦ ♦

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

♦ ♦ ♦

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبان

♦ ♦ ♦

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلاق

♦ ♦ ♦

وما الحداثة عن حلم بهانة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

♦ ♦ ♦

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

* * *
 وما للره خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع
 * * *
 وما انتفاع أنى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
 * * *
 وكل أمرئ يولى الجمال محب وكل مكان ينبت العز طيب
 * * *
 وفي تعب من يمحذ الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها بضرب
 * * *
 ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خائنه فروج الأصابع
 * * *
 ومن يمحذ الطريق إلى المعالي فلا يذر المطى بلا سنام
 * * *
 ومن يك ذا فم مر مريض يمحذ مرا به الماء الزللا
 * * *
 ومن يك الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
 * * *
 ومن البلية جيل من لا يرعى عن غيه وخطاب من لا يفهم
 * * *
 ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
 * * *
 والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكل يوم مضى يذنى من الأجل
 * * *
 وأول ما يكون الليث شبلا ومبدأ طلعة القمر الحلال
 * * *
 والنجم تستنصر الأبصار رؤيته والذنب للعين لا للنجم فى الصغر

5



THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS



0529986